

الخطيب المنبرية

لكتاب

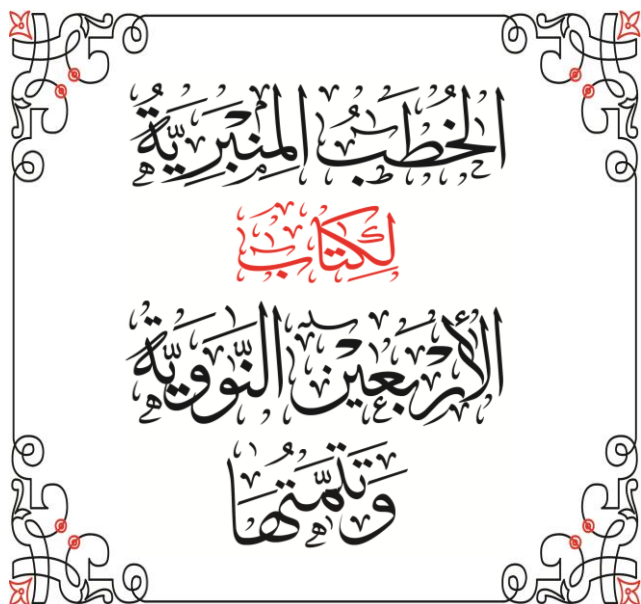
الأربعين النووية

وتلخيصها

د. عبد الله القاسم

دار القاسم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام، على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن من أشهر مصنفات علماء المسلمين كتاب: «الأربعين
النووية» نسبة إلى جامعها الحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف النووي
- رحمه الله تعالى - وأصل كتابه: «الأربعون النووية» أن ابن الصلاح
رَحِمَهُ اللهُ جمع ستة وعشرون حديثاً كلية فزادها النووي ستة عشر حديثاً
فبلغت اثنين وأربعين حديثاً، فسميت بـ: «الأربعون النووية» تجوزاً،
ثم زاد عليها الحافظ ابن رجب ثمانية أحاديث فصارت خمسين
حديثاً. وهي التي شرحها في كتابه: «جامع العلوم والحكم في شرح
خمسين حديثاً من جوامع الكلم».

ولقد أکّب العلماء على هذه الأربعين بالتدريس والشرح،
واشتهرت بذلك، فإنها مشتملة على أحاديث جامعة لقواعد كلية في
الاعتقاد والفقه والسلوك.

وعلى كثرة شروحها، وعناية العلماء وطلبة العلم بتدريسها وحفظها؛
لم أجد مَنْ جَعَلَهَا خطباً تلقى على المنابر يوم الجمعة.

فأشار بعض الفضلاء أن أجعلها كذلك، فاستعنت بالله، ولتمام النفع أكملتها خمسين حديثاً من جامع العلوم والحكم، وقد سبق أن ألفت كتاب: «خطب التوحيد المنبرية» وخطب كتاب: «كشف الشبهات» وخطب كتاب: «الأصول الثلاثة» وخطب «أسماء الله الحسنى» وغيرها؛ فأردت أن أتمم هذه المجموعة ب: «الأربعين النووية» لتكون خطباً سهلة ميسرة، وقد جعلت المتن باللون الأحمر.

أسأل الله أن يجعل أعمالنا صواباً خالصة لوجهه الكريم.

عبدُ الملِك بن محمد بن عبدِ الرَّحْمَنِ الْقَاسِم

الخطبة الأولى^(١)

١

الحمد لله الذي أوجدنا من العدم، وربانا بالنعم، وجعل الوحي لنا نوراً نهتدي به في حالك الظلم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قد أفلح من بحبله اعتصم، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه الأقوم.

أما بعد:

فاتقوا الله -عباد الله-، فقد فاز من اتقاه، وأخذ من دنياه لأخراه، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨].

أيها المسلمون: جاء في الحديث الذي رواه إمام المحدثين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزیه البخاري، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري النيسابوري في صحيحيهما الذين هما أصح الكتب المصنفة.

(١) الحديث الأول: «إنما الأعمال بالنيات».

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

عباد الله:

هذا حديث جليل متفق على صحته، وعظيم موقعه، وكثرة فوائده، وهو أصل من أصول الإسلام، ومن جوامع الكلم التي أوتيها الرسول الله ﷺ، وهو أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام. لأن موضوعه الإخلاص في العمل، وبيان اشتراط النية وأثر ذلك.

قال الإمام أحمد عن هذا الحديث: (يدخل فيه ثلث العلم).
قال البيهقي: (وسبب ذلك؛ أن كسب العبد يكون بقلبه ولسانه وجوارحه).

وروي عن الشافعي أنه قال: (يدخل هذا الحديث في سبعين باباً من الفقه، واستحب العلماء أن تستفتح المصنفات بهذا الحديث تنبيهاً للطالب على تصحيح النية).

قال أبو داود: (كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث، انتخبت منها ما تضمنه هذا الكتاب - يعني كتاب السنن -، جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث: أحدها قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» والثاني قوله ﷺ: «من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». والثالث قوله ﷺ: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه». والرابع قوله ﷺ: «الحلال بين والحرام بين».

أيها المسلمون: في الحديث قول عمر رضي الله عنه «سمعت رسول الله ﷺ أي؛ سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ بلا واسطة. وهذا الحديث لم يروه عن رسول الله ﷺ إلا عمر رضي الله عنه مع عظم شأنه وأهميته، لكن له شواهد في القرآن والسنة، ففي القرآن قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢] فهذه نية، وقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْلُهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح: ٢٩] وهذه نية، وقال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «واعلم أنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعله في في امرأتك» [رواه البخاري] فقوله: «تبتغي بها وجه الله» فهذه نية.

والنية في اللغة: القصد والعزم على فعل الشيء ومحلها القلب، ولم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه في النية لفظ بحال، وما كان في الحج إنما هو إهلال بالحج ودخول في النسك.

والنية محلها القلب، ولا ينطق بها إطلاقاً، لأنك تتعبد لمن يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والله تعالى عليم بما في قلوب عباده، ولهذا لم يرد عن رسول الله ﷺ ولا عن أصحابه رضوان الله عليهم أنهم كانوا يتلفظون بالنية؛ ولهذا فالنطق بها سرّاً أو جهراً بدعة يُنهي عنها.

قال ابن عثيمين - رحمه الله تعالى -: (وللنية فائدتان:

أولاً: تمييز العبادات عن بعضها، وذلك كتمييز الصدقة عن قضاء الدين، أو صيام النافلة عن صيام الفريضة.

ثانياً: تمييز العبادات عن العادات فمثلاً: قد يغتسل الرجل ويقصد به غسل الجنابة فيكون هذا الغسل عبادة يثاب عليها العبد، أما إذا اغتسل وأراد به التبرّد من الحر فهنا يكون الغسل عادة فلا يثاب عليه).

إذ المقصود بالنية: تمييز العبادات بعضها من بعض كالنفل مع الفريضة، أو تمييز العبادات من العادات.

وفي الحديث قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**» إنما للحصر؛ أي: لا يعتد بالأعمال الشرعية بدون النية. والأعمال: جمع عمل، ويشمل أعمال القلوب وأعمال النطق، وأعمال الجوارح. فتشمل هذه الجملة الأعمال بأنواعها، والمراد بالنية: عزم القلب. قال البخاري: باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ ما نوى، فدخل فيه الإيمان والوضوء والصلاة والزكاة والحج والصوم والأحكام.

وفي قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات...**» كلمة جامعة كاملة، فإن النية للعمل كالروح للجسد، وهي ميزان لكل عمل باطن.

وفي قوله ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو رد**» ميزان للأعمال الظاهرة. وفيها وجوب الإخلاص لله ﷻ في جميع الأعمال، لأنه أخبر أنه لا يخلص للعبد من عمله إلا ما نوى، فإن نوى في عمله الله والدار الآخرة، كتب الله له ثواب عمله، وأجزل له العطاء، وإن أراد به السمعة والرياء، فقد حبط عمله وكتب عليه وزره.

ومعنى قوله ﷺ: «**وإنما لكل امرئ ما نوى**» أي جزاء ما نواه. وفيه تحقيق لاشتراط النية والإخلاص في الأعمال.

والنية نوعان: الأولى: نية العمل نفسه، وذلك في قوله: «**إنما الأعمال بالنيات**».

والثانية: نية من لأجله العمل وذلك في قوله: «**وإنما لكل امرئ ما نوى**» وهذه هي التي عليها المعول في الإخلاص وضده.
عباد الله:

قوله ﷺ: «**وإنما لكل امرئ ما نوى**» أي: ما نواه، فإذا نوى المرء شيئاً فلا يكون له من الأجر أو الثواب إلا بقدر ما نوى، فمن نوى الثواب الدنيوي فإنه لا يثاب عليه ثواباً أخروياً، أما من نوى الأجر الأخروي فإن الله ﷻ يثيب العباد بإعطائهم الثواب الدنيوي على ما نوا به ثواب الآخرة. وإذا نوى العبد بعمله الأجر الأخروي ووجه الله تعالى فإن حصل شيء من النعيم في الدنيا فإنه يحصل تبعاً بغير نية له.

قال ابن رجب في قوله: «**وإنما لكل امرئ ما نوى**»: (إخبار أنه لا يحصل له من علمه إلا ما نواه، فإن نوى خيراً حصل له خير، وإن نوى شراً حصل له شر، وليس هذا تكريراً محضاً للجملة الأولى، فإن الجملة الأولى دلت على أن صلاح العمل وفساده بحسب النية المقتضية لإيجاده، والجملة الثانية دلت على أن ثواب العمال على عمله بحسب نيته الصالحة، وأن عقابه عليه بحسب نيته الفاسدة، وقد تكون نيته مباحة فيكون العمل مباحاً، فلا يحصل له به ثواب

ولا عقاب، فالعمل في نفسه: صلاحه وفساده وإباحته بحسب النية الحاملة عليه المقتضية لوجوده، وثواب العامل وعقابه وسلامته بحسب نيته التي بها صار العمل صالحاً أو فاسداً أو مباحاً).

وفي الحديث: بيان أن جزاء العامل على عمله بحسب نيته من خير أو شر، وبيان أن العمل لا يجرى إلا إن عُينت نيته، والأعمال لا يُعتد بها شرعاً إلا بالنية الموجودة لها.

والنية أمرها عظيم، قال الحافظ التيمي: «النية أبلغ من العمل، ولهذا تُقبل النية بغير العمل، فإذا نوى حسنة؛ فإنه يُجازى عليها، ولو عمل حسنة بغير نية؛ لم يجاز بها».

والنية الصالحة الصادقة لها مكانتها، قال ابن المبارك: «رُبَّ عمل صغيرٍ تُعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية».

والمسلم ينبغي له أن يستحضر النية. أي؛ نية الإخلاص في جميع العبادات. فينوي مثلاً الوضوء، وأنه توضاً لله، وأنه توضاً امتثالاً لأمر الله؛ فهذه ثلاث أشياء: نية العبادة، ونية أن تكون لله، ونية أنه قام بها امتثالاً لأمر الله.

والمسلم يكثر النيات في العمل الواحد، وينوي به تحصيل أكثر من أجر بهذا العمل، كمن يتصدق وينوي أن يكون بالصدقة في ظل

عرش الرحمن، وأن يصل بها رحمه، وأن يكسو بها مسلمًا، أو يطعم جائعًا، وأن يتداوى بها، وأن يفرج بها عن مكروب حتى يفرج الله عنه كربات الدنيا والآخرة، إلى آخر هذه النيات الحسنة.

وفي الحج ينوي أداء فريضة الحج، وينوي اتباع النبي ﷺ في قوله «خذوا عني مناسككم»، وينوي الدلالة على الخير في الحج، ومساعدة الضعيف والفقير، وإعانة المحتاج والكبير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها من النيات الصالحة.

وفي طلب العلم ينوي: رفع الجهل عن نفسه، وعبادة الله على بصيرة، والتقرب إلى الله، وطلب الخشية، ورفع الدرجات عند الله، ونفع المسلمين وتعليمهم، وهكذا...

ويجوز تعدد النيات في العمل الواحد، وليس لها عدد محدود ما دامت في حدود المشروع من النوايا. ذكر عن داود الطائي أنه قال: «رأيت الخير كله إنما يجمعه حسن النية، وكفاك به خيرًا وإن لم تنصب».

وعن مطرف بن عبد الله قال: (صلاح القلب بصلاح العمل، وصلاح العمل بصلاح النية).

أيها المسلمون: أوضح النبي ﷺ قوله: «**إنما الأعمال بالنيات**، **وإنما لكل امرئ ما نوى**» بمثل بين؛ هو تمة الحديث، وذلك بقوله

ﷺ: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

فقد ذكر مثالا من أمثال الأعمال التي صورتها واحدة، ويختلف صلاحها وفسادها باختلاف النيات، قال ﷺ: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله» أي: من كانت هجرته إلى دين الله وإتباع رسوله نية وقصدًا، فهجرته إلى الله ورسوله حكمًا وشرعًا.

وقوله ﷺ: «ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها» أي يحصل عليها وينالها من مال وغيره «أو امرأة ينكحها» أي يتزوجها «فهجرته إلى ما هاجر إليه» ذكره بالضمير تحقيقًا له، حيث أبهم ما يحصل لمن هاجر إلى الدنيا، لأن الهجرة لأمر الدنيا لا تنحصر بخلاف من هاجر إلى الله ورسوله، فإنه صرح بما يحصل له وما ينال من الخير والأجر، وليتناول ما ذكر من المرأة وغيرها. وأيضًا فالهجرة إلى الله ورسوله واحدة فلا تعدد فيها، فلذلك أعاد الجواب فيها بلفظ الشرط.

وقد أخبر ﷺ أن هذه الهجرة تختلف باختلاف النيات والمقاصد بها، فمن هاجر إلى دار الإسلام حبًا لله ورسوله، ورغبة في تعليم دين

الإسلام فهذا هو المهاجر إلى الله ورسوله حقاً. ومن كانت هجرته من دار الشرك إلى دار الإسلام لطلب دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها في دار الإسلام، فهجرته إلى ما هاجر إليه من ذلك؛ فالأول تاجر. والثاني خاطب، وليس واحد منهما بمهاجر. وسائر الأعمال كالهجرة في هذا المعنى، فصلاحها وفسادها بحسب النية الباعثة عليها، كالجهاد والحج وغيرهما.

عباد الله:

وسبب هذا الحديث: أن رجلاً هاجر من مكة إلى المدينة ليتزوج امرأة يقال لها: أم قيس، لا يريد بذلك فضيلة الهجرة، فكان يقال له مهاجر أم قيس.

والهجرة في اللغة الترك. وفي الشرع الانتقال من دار الكفر إلى دار الإيمان. وهي واجبة على القادر عليها، العاجز عن إظهار دينه وأداء واجباته، ومستحبة للقادر على إظهار دينه لمعونة المسلمين، والأمن من غدر الكفار، وأما القادر على إظهار دينه وأداء واجباته، الداعي إلى الله على بصيرة، فالإقامة له أفضل لما يترجى من الدعوة إلى الله ودخول غيره في الإسلام.

قال ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - :

المقصود من هذه النية تمييز العادات من العبادات، وتمييز العبادات بعضها من بعض.

وتمييز العادات من العبادات مثاله:

أولاً: الرجل يأكل الطعام شهوة فقط، والرجل الآخر يأكل الطعام إمتثالاً لأمر الله ﷻ في قوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ [الأعراف: ٣١] أكل الثاني عبادة، وأكل الأول عادة.

ثانياً: الرجل يغتسل بالماء تبرداً، والثاني يغتسل بالماء من الجنابة، فالأول عادة، والثاني: عبادة، ولذا لو كان على الإنسان جنابة ثم انغمس في البحر للتبرد ثم صلى فلا تجزئه ذلك، لأنه لا بد من النية، وهو لم ينو التعبد وإنما نوى التبرّد.

ولهذا قال بعض أهل العلم: عبادات أهل الغفلة عادات، وعادات أهل اليقظة عبادات.

عبادات أهل الغفلة عادات مثاله: من يقوم ويتوضأ ويصلي ويذهب على العادة. وعادات أهل اليقظة عبادات مثاله: من يأكل امتثالاً لأمر الله، يريد إبقاء نفسه، ويريد التكفف عن الناس، فيكون ذلك عبادة. ورجل آخر لبس ثوباً جديداً يريد أن يترفع بثيابه، فهذا لا

يؤجر، وآخر ليس ثوبًا جديدًا يريد أن يعرف الناس قدر نعمة الله عليه وأنه غني، فهذا يؤجر. ورجل آخر لبس يوم الجمعة أحسن ثيابه لأنه يوم جمعة هذه عادة، والثاني لبس احسن ثيابه تأسيًا بالنبي ﷺ فهذه عبادة، وعلى هذا فقس.

ويشهد لما ذهب إليه العلماء قوله ﷺ لسعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه): «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في امرأتك» [رواه البخاري] قال النووي: (وضع اللقمة في فم الزوجة يقع غالبًا في حال المداعبة، ولشهو النفس في ذلك مدخل ظاهر، ومع ذلك إذا وجد القصد في تلك الحال إلى ابتغاء الثواب حصل له بفضل الله).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ شَرِيكَ ۖ الْعَالَمِينَ لَهُ ۖ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق الجنة وجعل مفتاحها لا إله إلا الله، أحمدده - سبحانه - وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة مخلص فيها، موقن بها، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، جدد ما اندرس من معالمها، ومع ذلك قال له ربه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، فصعد بها ونادى، ووالى عليها وعادى، وقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها».

دعا إلى هذا الكلمة عشر سنين ولم يدع قبلها إلى زكاة ولا صيام، ولا حج ولا عمرة إلى بيت الله الحرام، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه؛ الذين جاهدوا من امتنع من قولها، أو صد عنها، أو نقضها.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - حق التقوى، وأخلصوا العبادة لربكم تسعدوا وتنجوا.

أيها المسلمون:

توحيد الله وعبادته وحده لا شريك هو لب دعوة الرسل وذروة سنامها والحد الفاصل بين الإيمان والكفر، والإسلام والشرك، وهو القدر المنجي من الخلود في النار في الآخرة، والعاصم للدم والذرية في الدنيا.

عباد الله:

العمل لغير الله أقسام: فتارة يكون رياء محضاً، بحيث لا يراد به سوى مراعاة المخلوقين لغرض دنيوي، كحال المنافقين في صلاتهم. وعملهم حابط، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة.

وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء، فإن شاركه في أصله بطل وحبط. في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» [رواه مسلم].

وأما إذا كان أصل العمل لله، ثم طرأت عليه نية الرياء، فإن كان خاطراً ودفعه، فلا يضره، وإن استرسل معه فإن عمله لا يبطل بذلك ويجب عليه مدافعتة.

وأما إذا كان العمل لله خالصاً، ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك، ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشر بذلك، لم يضره ذلك.

عباد الله: من عمل للدنيا لا يحصل له إلا ما نوى إذا شاء الله، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨].

وفي الحديث؛ دلالة على أن النية من الإيمان، لأنها عمل القلب، والإيمان عند أهل السنة والجماعة تصديق بالجنان، ونطق باللسان، وعمل الأركان.

وفيه: الحث على الإخلاص، والتحذير من إرادة الدنيا بعمل الآخرة وبيان حقارة ذلك.

وفيه: فضل النية الصالحة والقصد الحسن. وأنه يجب تمييز العبادات بعضها عن بعض.

هذا وصلوا وسلموا على من بعثه الله هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه، وأرض اللهم عن الصحابة أجمعين، والائمة المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين، وانصر عبادك الموحدين^(١)...

(١) كان من هدي النبي ﷺ أن يقرأ في صلاة الجمعة: بسورتي «سبح اسم ربك الأعلى» و«الغاشية»، أو بسورتي «الجمعة» و«المنافقون»، أو بسورتي «الجمعة» و«الغاشية» كما روى ذلك الإمام مسلم.

الخطبة الأولى^(١)

٢

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ءَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ءَءَتَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ءَءَيَغْفِرْ لَكُمْ ءَءَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

أيها المسلمون:

نبينا محمد ﷺ هو الواسطة بيننا وبين الله - تعالى - . والوحي الذي هو مصدر الرسالة، ومداد الدعوة؛ مراتبه أقسام: إحداها: الرؤيا الصادقة، وكان مبدأ وحيه ﷺ.

(١) الحديث الثاني: «مجيء جبريل ليعلم المسلمين أمر دينهم».

الثانية: ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه، كما قال صلى الله عليه وسلم: «إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته».

الثالثة: أنه صلى الله عليه وسلم كان يتمثل له الملك رجلاً فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحياناً. كما في الحديث الذي سوف يأت معنا في هذه الخطبة.

الرابعة: أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وكان أشده عليه فيلبس به الملك، حتى أن جبينه صلى الله عليه وسلم لتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد، وحتى أن راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها، ولقد جاء الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت، فثقلت عليه حتى كادت ترضها.

الخامسة: أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها، فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه، وهذا وقع له مرتين كما ذكر صلى الله عليه وسلم ذلك في سورة النجم. السادسة: ما أوحاه الله إليه، وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها.

وقد زاد بعض العلماء مرتبة سابعة وهي تكليم الله له كفاحاً من غير حجاب، وهي مسألة خلاف بين السلف والخلف.

عباد الله: في هذا الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن عمر قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ. حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ. قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوُلُونَ فِي الْبُنْيَانِ. ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ؟. قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ».

قال الإمام النووي: (وهذا القدر من الحديث أصل عظيم من أصول الدين، وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين، وهو عمدة الصديقين،

وبغية السالكين، وكنز العارفين، ودأب الصالحين، وهو من جوامع الكلم التي أوتيتها ﷺ، وقد ندب أهل التحقيق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعاً من التلبس بشيء من النقائص احتراماً لهم واستحياءً منهم، فكيف بمن لا يزال مطلعاً عليه في سره وعلايته).

وفيه: من آداب التعليم وفرائض الإسلام والإيمان، وعلامات الساعة التي ذكر منها النبي ﷺ علامتان:

الأولى: «أن تلد الأمة ربتها»، وهذا إشارة إلى فتح البلاد وكثرة جلب الرقيق حتى تكثر السراري ويكثر أولادهن، فتكون الأمة رقيقة لسيدها، وأولاده منها بمنزلته.

والثانية: من علامات الساعة «أن ترى الحفاة العراة العالة يتطاولون في البنيان» إما لكثرة الخير، أو فساد وضياع الحقوق. ومن علامات الساعة التي وردت في أحاديث أخرى: ظهور الدابة، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج الدجال، وطلوع الشمس من مغربها.

أيها المسلمون:

هذا حديث عظيم القدر، عليه مدار الإسلام، مشتمل على جميع الأعمال الظاهرة والباطنة، وهو أصل جامع لأصول الدين الاعتقادية والعملية، وعلوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه،

فهو كالأم للسنّة، كما سميت الفاتحة أم القرآن، لما تضمنته من جمعها معاني القرآن.

قوله: «إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب» فيه دليل على تحسين الثياب والهيئة والنظافة عند الدخول على العلماء والفضلاء والملوك؛ فإن جبريل أتى معلماً للناس بحاله ومقاله.

«لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد». أي أنه ليس من أهل المدينة.

قال: «فأخبرني عن الإسلام»؟ فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته.

«وأن محمداً رسول الله» أرسله الله بالهدى ودين الحق، ومقتضى ذلك طاعته فيما أمر وإجتناّب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع. «وتقيم الصلاة» المفروضة بأركانها وواجباتها وسننها في أوقاتها. «وتؤتي الزكاة» لمستحقّيها. «وتصوم» شهر «رمضان». «وتحج البيت الحرام إن استطعت إليه سبيلاً».

وجاء في الحديث أن جبريل ﷺ:

«وضع كفيه على فخذه» أي: على فخذَي النبي ﷺ كأنه من

جفاة الأعراب، وقيل: على فخذي نفسه: أي: جلس جلسة المسترشد والمتعلم.

وقال: «يا محمد أخبرني عن الإسلام.. إلى آخره» فيه دليل على أن الإيمان أخص من الإسلام؛ لأنه سأل عن الإسلام، ثم عن الإيمان، ثم عن الإحسان؛ فترقى من الأعم إلى الأخص ثم إلى الأخص منه، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤]. وقد يطلق الإسلام ويراد به الإيمان، كقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]. فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً.

ثم سئل جبريل رسول الله ﷺ «قال فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر».

الإيمان بالله؛ هو التصديق بأنه سبحانه وتعالى موجود، مستوي على عرشه، بائن من خلقه، موصوف بصفات الجلال والكمال، منزّه عن صفات النقص؛ وأنه واحد أحد فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، لا إله غيره، ولا رب سواه.

والإيمان بملائكته؛ هو التصديق بأنهم عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون.

والإيمان بكتبه؛ التصديق بالكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه ورسله كالطورة والإنجيل والزبور، وأعظمها القرآن الكريم كلام الله ﷻ، وأن ما تضمنته حق وصدق. ومن ثمرات الإيمان بالكتب: شكر الله على لطفه بخلقه وعنايته بهم حيث أنزل إليهم الكتب المتضمنة إرشادهم لما فيه خيرهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة. ومنه ظهور حكمة الله تعالى حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها. وكان خاتم الكتب القرآن العظيم مناسباً لجميع الخلق إلى قيام الساعة.

والإيمان برسله؛ هو تصديقهم فيما أخبروا به عن الله تعالى، أيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم، وأنهم بلغوا عن الله رسالاته، وبينوا للمكلفين ما أمرهم الله به. قال الله تعالى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

والإيمان باليوم الآخر؛ هو التصديق بيوم القيامة، وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت والحشر والنشر، والحساب والميزان؛ والصراط والجنة والنار. وأنهما دار ثوابه وجزائه للمحسنين والمسيئين إلى غير ذلك مما صح من النقل.

ثم قال ﷺ: «**وتؤمن بالقدر خيره وشره**» أي: تصدق بأن ما وقع من شيء فهو بتقدير الله ﷻ. والمراد أن الله تعالى علم الأشياء قبل إيجادها، ثم أوجد ما شاء منها، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

ومن ذلك قوله ﷺ في حديث ابن عباس: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف» [رواه الترمذي].

ومذهب السلف وأئمة الخلف أن من صدق بهذه الأمور تصديقاً جازماً لا ريب فيه ولا تردد كان مؤمناً حقاً سواء كان ذلك عن براهين قاطعة أو عن اعتقادات جازمة.

قوله: «**فعجبنا له؛ يسأله ويصدقه**» لأنه سأل سؤال عارف محقق مصدق. وفي رواية: «قال القوم ما رأينا رجلاً مثل هذا كأنه يعلم رسول الله ﷺ يقول له: صدقت صدقت».

ثم سأل جبريل ﷺ رسول الله ﷺ فقال: «**فأخبرني عن الإحسان؟ قال ﷺ: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». وإحسان العباداة: الإخلاص فيها والخشوع ومراقبة المعبود. وحاصله راجع إلى إتقان العبادات ومراعاة حقوق الله تعالى ومراقبته واستحضار عظمته وجلالته حال العبادات.

وأشار ﷺ إلى حالتين: أرفعهما أن يغلب على العبد مشاهدة الله بقلبه حتى كأنه يراه بعينه.

والثانية: أن يستحضر أن الله مطلع عليه يرى كل ما يعمل. قال الله تعالى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (٢١٧) الَّذِي يَرْنُكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠].

قال الإمام المناوي في معنى: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»: «بأن تتأدب في عبادته كأنك تنظر إليه، فجمع بين بيان المراقبة في كل حال، والإخلاص في سائر الأعمال».

ثم سئل جبريل عليه السلام: «قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: صلى الله عليه وسلم ما المسئول عنها بأعلم من السائل» أي: لا أعلمها أنا ولا أنت ولا أحد من الخلق، بل لا يعلم وقت مجيئها إلا الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَنُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً ۖ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

قوله: «فأخبرني عن أماراتها» أي: علاماتها. فقال: «أن تلد الأمة ربتها» أي: سيدتها. وفي رواية: «ربها» أي: يكثر التسري فيكون ولد الأمة من سيدها بمنزلة سيدها لشرفه بأبيه، وقيل معناه أن يكثر العقوق في الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة والسب.

ثم قال في بيان بعض علامات الساعة: «وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاء يتطاولون في البنيان» قال القرطبي: المقصود الإخبار عن تبدل الحال بأن يستولي أهل البادية على الأمر، ويتملكون البلاد بالقهر، وتنصرف همهم إلى تشييد البنيان والتفاخر به، ومنه الحديث الآخر: «لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع» ومنه: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة».

ثم جاء في الحديث: «ثم انطلق» أي، ذهب جبريل عليه السلام «فلبثت ملياً ثم قال ﷺ: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم». في رواية الترمذي والنسائي «فلبث ثلاثاً». وفي رواية البخاري عن أبي هريرة: «ثم أدبر فقال ردوه فلم يروا شيئاً، فقال هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه كما يحب ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذا الحديث فيه ذكر الإسلام، والإيمان، والإحسان. وفيه أن هذه الثلاثة هي الدين، لأن النبي ﷺ قال في آخره: «**أتاكم يعلمكم دينكم**».

والإحسان أفضل منازل السائرين، وأعلى درجات العبادة، وأحسن أحوال عباد الله الصالحين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

ومن فضائل الإحسان: أن الله تعالى مع من أحسن العمل؛ معية خاصة بنصره وتأييده وحفظه ومعونته وإصلاح شأنه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

ومن فضائل الإحسان: محبة الله تعالى لعبده الذي أحسن القول والفعل قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

ومن فضائل الإحسان: أن الله تعالى يجعل للمحسنين من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، قال تعالى عن يوسف عليه السلام وأخيه: ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠] إلى غير ذلك من الفضائل العظيمة والعطايا الجزيلة.

قال القاضي عياض: «اشتمل الحديث على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان ابتداء وحالاً ومآلاً، ومن أعمال الجوارح من إخلاص السرائر، والتحفظ من آفات الأعمال حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه». وفي الحديث: بيان حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم وأنه يجلس مع أصحابه ويجلسون إليه، وفيه بيان حسن أدب الصحابة مع الرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيمهم له.

وفي الحديث: بيان بعض علامات الساعة. وفيه: فضل الإحسان ومراقبة الله تعالى في الخلوة والجلوة.

هذا وصلوا وسلموا..

الخطبة الأولى^(١)

٣

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يصلح فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴿٧١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

(١) الحديث الثالث: «بني الإسلام على خمس».

أما بعد:

فإن خير الهدى هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

عباد الله:

روى البخاري ومسلم عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان».

أورد المؤلف - رحمه الله تعالى - هذا الحديث لا شتماله على مباني الإسلام العظام، وهو أصل عظيم في معرفة الدين، وعليه اعتماده، وقد جمع أركانه في لفظ بليغ وجيز.

قال ابن حجر: (هو حديث عظيم، أحد قواعد الإسلام، وجوامع الأحكام إذ فيه معرفة الدين، وما يعتمد عليه، ويجمع أركانه، وكلها منصوص عليها في القرآن، وهو داخل ضمن حديث جبريل).

راوي هذا الحديث هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي، وأمه زينب بنت مطعون، أخت عثمان بن مظعون، ولد قبل البعثة بسنة أسلم بمكة قديماً مع أبيه وهو صغير وهاجر معه، وكان

من فقهاء الصحابة وزهادهم، كان من أعلم الناس بالمناسك توفي سنة ثلاث وسبعين للهجرة، وعمره سبعاً وثمانين عاماً. رضي الله عنه وعن أبيه.

عباد الله:

في هذا الحديث بين ﷺ حقيقة الإسلام ودعائمه وأركانه العظيمة.

في الحديث؛ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:
قال رسول الله ﷺ:

«**بني الإسلام على خمس**» قوله ﷺ: «**بني الإسلام**» الذي بناه هو الله ﷻ، وأبهم الفاعل للعلم به، كما أبهم اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

«**على خمس**» أي؛ خمس أعمدة أو دعائم وأركان، وفي الحديث استعارة تمثيلية شبهت حالة الإسلام مع أركانه الخمسة بحالة خباء أقيم على خمسة أعمدة. فقطبها التي تدور عليه الأركان وهو الشهادة بمنزلة العمود الذي في وسط الخباء، وبقية شعبه بمنزلة الأوتاد، فتكون مغايرته لهذه الأركان كمغايرة الخباء للأعمدة. ومن أتى بهذه الخمس فقد أتم إسلامه.

وفي رواية: «بني الإسلام على خمسة» أي: خمسة أركان، فمثل الإسلام بالبيان الذي لا يثبت إلا على خمس دعائم فلا يثبت البيان بدونها، وبقية خصال الإسلام كتمة البيان.

قال القرطبي: (يعني أن هذه الخمس أساس دين الإسلام وقواعده التي عليها بني وبها يقوم، وإنما خص هذه بالذكر ولم يذكر معها الجهاد مع أنه يظهر الدين ويقمع عناد الكافرين لأن هذه الخمس فرض دائم، والجهاد من فروض الكفايات وقد يسقط في بعض الأوقات).

وقال ابن رجب: (والمقصود تمثيل الإسلام ببيان، ودعائم البيان هذه الخمس، فلا يثبت البيان بدونها، وبقيه خصال الإسلام كتمة البيان، فإذا فقد منها شيء نقص البيان، وهو قائم لا ينتقض بنقض ذلك، بخلاف نقض هذه الدعائم الخمس، فإن الإسلام يزول بفقدتها جميعاً بغير إشكال، وكذلك يزول بفقد الشهادتين).

أول هذه الأركان «شهاد أن لا إله إلا الله» أي؛ الاعتراف والاقرار أنه لا معبود بحق إلا الله.

ولا تتحقق الشهادة إلا بركنين:

الأول: نفى الألوهية والعبادة عن سائر الأنداد والآلهة والطواغيت من شجر وحجر وملك وجني وولي وغير ذلك.

الثاني: إثبات الألوهية والعبادة الحققة لله دون ما سواه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالصَّغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمَسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

والإيمان بالله، وهذا يشمل إقرار اللسان بأن يتكلم المرء بذلك، ويشمل أيضًا إقرار القلب، ويؤمن به ويعتقده ويجزم به «وأن محمدًا رسول الله» أي، تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع. والإيمان برسوله بتصديقه وإتباعه وطاعته ونشر سنته والذب عنها. «وإقام الصلاة» الإتيان بها جامعة الأركان والشروط. وهي خمس صلوات في اليوم والليلة.

قال في الحديث «وإقام الصلاة» ولم يقل أداء الصلاة لأنه ليس مقصود الشارع فعلها فحسب، وإنما مقصوده أداؤها تامة بشروطها وأركانها والمحافظة على أوقاته ومراعاة سننها وآدابها، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وقد جعل الله الصلاة عمود الإسلام كما في الحديث: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة». وقال عبد الله بن شقيق: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون من الأعمال شيئاً تركه كفر غير الصلاة.

«وإيتاء الزكاة» أي؛ إعطائها مستحقها. والزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام. وهي عبادة مالية نفعها متعدد، وقد أوجبها الله في أموال الأغنياء على وجه ينفع الفقير ولا يضر الغني لأنها شيء يسير من مال كثير. قرنها الله تعالى بالصلاة في كتابه في اثنين وثمانين موضعاً. وقد ذكر الله أهل الزكاة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

وسميت صدقة؛ لأنها تدل على صدق إيمان باذنها. قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [النساء: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

«**وحج البيت**» أي؛ قصد بيت الله في مكة لاداء فريضة الحج لمن استطاع إليه سبيلاً؛ وهو في العمر مرة. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]. وقال النبي ﷺ: «السبيل الزاد والراحلة» [رواه الدار قطني].

«**وصوم رمضان**» أي؛ صوم شهر رمضان الذي بين شعبان وشوال. وصوم رمضان هو الركن الرابع من أركان الإسلام. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]. وقد ورد مرفوعاً عن أبي هريرة رضي الله عنه: «من أفطر يوماً من رمضان لغير عذر لم يقضه صيام الدهر وإن صامه» [رواه البخاري].

قال عطاء الخرساني: «الدين خمس لا يقبل الله منهن شيئاً دون شيء، بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، والإيمان بالله وكتبه ورسله، وبالجنة والنار، والحياة بعد الموت هذه واحدة. والصلوات الخمس عمود الدين لا يقبل الله الإيمان إلا بالصلاة، والزكاة طهور من الذنوب، ولا يقبل الله الإيمان ولا الصلاة إلا

بالزكاة؛ فمن فعل هؤلاء الثلاث ثم جاء رمضان فترك صيامه متعمداً لم يقبل الله منه الإيمان ولا الزكاة؛ فمن فعل هؤلاء الأربعة ثم تيسر له الحج فلم يحج ولم يوصى بحجته ولم يحج عنه بعض أهله لم يقبل الله منه الأربع التي قبلها».

قال ابن عثيمين: «فهذه هي أركان الإسلام؛ من أتى بها فهو المسلم، وقد بنى على أساس متين، ومن لم يأت بها فهو بين فاسق أو كافر، فمن لم يأت بالشهادتين فهو كافر، ومن لم يصل فهو كافر، ومن منع الزكاة فهو فاسق، ومن لم يحج فهو فاسق، ومن لم يصم فهو فاسق، والله الموفق».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].
بارك الله لي ولكم..

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي رفع راية التوحيد إلى يوم القيامة، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، المصطفى الأمين، وإمام الموحدين وقائد الغر المحجلين، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين. ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فالزموا التقوى فإنها حصن حصين، بها تنال السعادة في الدنيا، والفوز يوم العرض المبين.

أيها المسلمون:

الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والإنقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، الإسلام هو ما جاء به الرسول ﷺ، وهو دين جميع الأنبياء، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وقال

تعالى: ﴿يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] فلا نجاة -عباد الله - إلا بالتمسك بالإسلام فإنه سبيل النجاة في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا ينجو به من الكفر والشرك، وينجو به من الفتن والمحدثات، وينجو به من الأفكار المنحرفة، وفي الآخرة ينجو به من النار، ويدخل به الجنة، وهذه هي السعادة الأبدية في جنات النعيم.

عباد الله:

لا يقتصر دين الإسلام على ما ذكره النبي ﷺ من الأمور الخمسة في هذا الحديث بل يشمل أعمالاً وشعباً كثيرة، وإنما اقتصر النبي ﷺ على ذكر هذه الأركان الخمسة لأنها بمنزلة الدعائم للبيان ولا يثبت البيان بدونها، وبقية خصال الإسلام تنتمي للبيان، فإذا فقد منها شيء نقص البيان وهو قائم لا ينتقص بنقص ذلك بخلاف نقص هذه الدعائم الخمس فإن الإسلام يزول بزوالها جميعاً بغير إشكال، وكذلك يزول بفقد الشهادتين.

فحافظوا على دينكم، وأدوا حق ربكم، وأروا الله منكم خيراً.

هذا وصلوا وسلموا.

الخطبة الأولى^(١)

٤

الحمد لله العليم الخبير، ذو الحكمة في الخلق والتدبير، يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد، له الحمد في الأولى والأخرى وإليه ترجعون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في حكمه وقضائه وتدبيره الحكيم العليم، وأشهد أن نبينا محمداً ﷺ المبعوث رحمة للعالمين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

أيها المسلمون:

روى البخاري ومسلم عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ -: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ

(١) الحديث الرابع: «إن أحدكم يجمع في بطن أمه».

الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتُبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَمْ سَعِيدٍ؛ فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا. وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا».

راوي هذا الحديث هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أسلم قديماً بمكة سادس ستة، ثم هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وشهد بدرًا، وبيعة الرضوان، والمشاهد كلها، وصلى إلى القبلتين، ولي قضاء الكوفة ومالها في خلافة عمر رضي الله عنه، ثم رجع إلى المدينة ومات بها سنة اثنين وثلاثين ودفن بالبقيع.

عباد الله:

هذا الحديث متفق على صحته، وتلقته الأمة بالقبول وخرجه الشيخان في صحيحيهما.

وفيه: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

الصادق المصدق)، يعني الصادق فيما يقول، والمصدق فيما يوحى إليه من الوحي، وفيما يقال له من الوحي. وإنما ذكر ذلك لأنه سيخبر عن أمر غيبي لا يعلمه إلا الله عز وجل لا تدركه حواس البشر ولا

إمكاناتهم في ذلك الزمان - مما يتعلق بعلم الأجنة وأطوارها. ولأن التحدث عن هذا المقام من أمور الغيب التي تخفى بما في ذلك كتابه الرزق والأجل والعمل وشقي أو سعيد.

قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحدكم يجمع**» أي يضم ويحفظ ويقدر ويمكث. «**خلقه**» أي؛ مادة خلقه، أو ما يخلق منه. «**في بطن أمه أربعين يومًا**» أي؛ في رحم أمه. «**نطفة**» هي الحيوان المنوي الذي يكون منه تكون الإنسان، وسميت نطفة لأنها من الماء الذي ينطف. أي؛ يسيل.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «**إن النطفة إذا وقعت في الرحم طارت في كل شعرة وظفر، فتمكث أربعين يومًا، ثم تنحدر في الرحم، فتكون علقة، قال: فذلك جمعها.**»

«**ثم يكون علقة**» أي؛ يصير دمًا جامدًا، لأنها إذ ذاك تعلق بالرحم. «**مثل ذلك**» أي؛ أربعين يومًا.

«**ثم يكون مضغة مثل ذلك**» أي؛ قطعة من اللحم، قدر ما يمضغ مقدار أربعين يومًا، وفيها يصورها الله - تعالى - ويجعل الأعضاء والسمع والبصر. فإذا تمت صار ابن مائة وعشرين يومًا.

قوله: «ثم يرسل إليه الملك» والمرسل هو الله رب العالمين «فينفخ فيه الروح» أي الملك؛ بعد كمال الجسم وخلقه. فهذه سبع تارات ذكرها الله ﷻ في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا أَلَقَةً مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ۝ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١١-١٤] وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْبِتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

وقوله ﷻ: «فينفخ فيه الروح» الروح ما به يحيا الجسم، وقد سئل النبي ﷺ فأنزل الله ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وبهذا فإن أطوار الجنين قبل نفخ الروح ثلاثة: نطفة، فعلقة، فمضغة، وأن مدة كل طور أربعون يوماً. وفي هذا علم من أعلام نبوه محمد ﷺ، لأن هذه الأطوار وهذه المقادير لم يكن في العادة الاطلاع عليها.

قال بعض أهل العلم والحكمة: في هذه الأطوار رفق بالأم لان الله قادر على خلق الإنسان مرة واحدة.

وفي الحديث أنه بعد مضى هذه الأطوار الثلاثة - وقدرها مائة وعشرون يوماً - تنفخ فيه الروح، فيكون إنساناً حياً، وقبل ذلك هو ميت، وقد جاء في القرآن الكريم أن الإنسان له حياتان وموتتان، كما قال الله ﷻ عن الكفار: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١].

فالموتة الأولى؛ ما كان قبل نفخ الروح، والحياة الأولى من نفخ الروح إلى بلوغ الأجل، والموتة الثانية؛ من بعد الموت إلى البعث، وهذه الموتة لا تنافي الحياة البرزخية الثابتة بالكتاب والسنة، والحياة الثانية الحياة بعد البعث، وهي حياة دائمة مستمرة إلى غير نهاية، وهذه الأحوال الأربع للإنسان بينها الله بقوله: ﴿فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

ﷺ: «ويؤمر» أي ذلك «الملك بأربع كلمات»:

قال الطيبي: «الكلمات» القضايا المقدرة، وكل قضية تسمى كلمة، قولاً كان أو فعلاً».

قوله: «ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه» والرزق هنا: ما ينتفع به الإنسان وهو نوعان: رزق يقوم به الدين وهو الأكل والشرب واللباس والسكن والمركوب وغير ذلك، وفيه: الحظ على القناعة والزجر الشديد عن الحرص لأن الرزق سبق تقديره. والثاني: الرزق الذي يقوم به الدين وهو العلم والإيمان.

«وأجله» أي؛ مدة عمره، أو الوقت الذي ينقرض فيه ويموت، وهو مدة بقائه في الدنيا.

«وعمله» ما يكون منه من عمل صالح أو غيره، من الأعمال القولية والفعلية والقلبية.

«وشقي أو سعيد» أهو من أهل النجاة والسعادة، أو من أهل الشقاء. ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ ١٠٥ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ﴾ ١٠٦ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ١٠٧ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَفِي

الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٥-١٠٨﴾ [هود: ١٠٥-١٠٨].

قال ابن عثيمين: (ولو سقط الجنين قبل تمام مائة وعشرين يوماً، فليس له حكم من جهة الصلاة عليه، بل يؤخذ ويدفن في أي حفرة من الأرض، ولا يصلى عليه. أما إذا أتم مائة وعشرين يوماً يعنى أربعة أشهر صار حينئذ إنساناً، فإذا سقط بعد ذلك، فإنه يغسل ويكفن ويصلى عليه، ولو كان قدر اليد، فإنه يصلى عليه، ويدفن في مقابر المسلمين إن كان مسلماً، وإن كان من أولاد النصارى، يعنى أمه وأبوه من النصارى، فلا يدفن في مقابر المسلمين، بل يخرج به ويدفن بدون تغسيل ولا تكفين لأنه وإن كان طفلاً، فإن الرسول سئل عن أولاد المشركين فقال: «هم منهم» [رواه البخاري]).

عباد الله:

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة». وفي حديث عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أول ما خلق الله القلم، فقال له اكتب فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة».

وفي الصحيحين عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة أو النار». فقال رجل: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فقال: «اعملوا فكل مُيسر لما خلق له، وأما أهل السعادة فيسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فيسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٦﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ نَحَلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿٩﴾﴾ [اليل: ٥-١٠].

ثم قال ﷺ: «فو الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل عمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها».

قوله ﷺ: «فو الله الذي لا إله غيره» هذا قسم مؤكد بالتوحيد فيه؛ دليل على مشروعية الحلف في الأمور المهمة.

«إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع» أي حتى يقرب أجله تمامًا. «فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».

وفيه العبرة وأخذ الحذر فإن الأعمال بالخواتيم، فلا يغتر الإنسان بعمله، وليس في الحديث القعود عن طلب الرزق والأسباب الموصلة إلى مرضاة الله من فعل الطاعات وكسب الأرزاق والخروج للجهاد في سبيل الله.

قال العلماء: «هذا يدل على أن ظاهر عمل الرجل صالحاً وأن باطنه يكون بخلاف ذلك، وأن الخاتمة السيئة تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس من شك أو نفاق أو رياء».

وفي الصحيحين عن عمران بن حصين، قال: قال رجل: يا رسول الله، أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال «نعم» قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: «كلٌ يعمل لما خلق له، أو لما يُيسر له».

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ التقى هو والمشركون وفي أصحابه رجل لا يدع شاذة ولا فاذة إلا تبعها يضربها بسيفه فقالوا ما أجزأنا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ: «هو من أهل النار»، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه فاتبعه فجرح الرجل جرحاً شديداً فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه على الأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله،

وقص عليه القصة. فقال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس» إشارة إلى أن باطن الأمر يكون بخلاف ذلك، وأن خاتمة السوء تكون بسبب دسيئة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس، إما من جهة عمل سيء أو نحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت، وكذلك قد يعمل الرجل عمل أهل النار وفي باطنه خصلة خفية من خصال الخير فتغلب عليه تلك الخصلة في آخر عمره فتوجب له حسن الخاتمة. وفيه أن الشقاوة والسعادة بحسب خواتيم الأعمال.

قال عبد العزيز بن أبي رواد: «حضرت رجلاً عند الموت يلحن الشهادة لا إله إلا الله، فقال في آخر ما قال: هو كافر بما تقولون ومات على ذلك. قال: فسألت عنه فإذا هو مدمن خمر».

وكان عبد العزيز يقول: «اتقوا الذنوب فإنها هي التي أوقعته». وفي الجملة فالخواتيم ميراث السوابق، فكل ذلك سبق في الكتاب السابق، ومن هنا كان يشتد خوف السلف من سوء الخاتمة.

وخرج الإمام أحمد من حديث أم سلمة «أن النبي ﷺ كان يكثّر في دعائه أن يقول: «اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» فقلت: يا رسول الله أو إن القلوب لتتقلب؟ قال: «نعم ما خلق الله من بني آدم من بشر إلا أن قلبه بين أصبعين من أصابع الله ﷻ، فإن شاء الله ﷻ أقامه، وإن شاء أزاغه» [رواه الترمذي].

وقد جاء رجل يسأل النبي ﷺ عن دعاء يدعو به، فقال: «قل: اللهم اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن» [رواه أحمد] قالت: قلت يا رسول الله ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي؟ قال بلى: قل: «اللهم رب النبي محمد ﷺ اغفر لي ذنبي. وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ما أحيتني» [رواه ابن السني].

بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله المبدئ المعيد، الواحد القهار؛ ذي العزة والاقتدار،
أشهد ألا إله إلا الله، إليه يرجع الأمر كله وإليه ترجعون، وأشهد أن نبينا
محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه
أجمعين، ومن سار على دربه واستن بسنته وهداه إلى يوم الدين.
أما بعد:

فإن للسعادة أسبابًا: وهي الإيمان، والتقوى، وللشقاوة أسبابًا؛
وهي: الكفر، واتباع الهوى.

وعلى المسلم الإكثار من دعاء الله ﷻ ليلاً ونهارًا بإحسان الخاتمة،
وكذلك الإكثار من الطاعات والقربات، ومجالسة الصالحين.

قال ابن دقيق العيد: لما كانت السابقة مستورة عنا، والخاتمة
ظاهرة جاء في الحديث: «إنما الأعمال بالخواتيم» إلى أن قال:
وانقلاب الناس من الشر إلى الخير كثير، وأما انقلابهم من الخير إلى
الشر ففي غاية الدور، والله الحمد. قلت: ويشهد لذلك قوله تعالى:
﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا
هُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ١٣ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿[الأحقاف: ١٣، ١٤]. وقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ
الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].
وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ
عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي
كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

عباد الله:

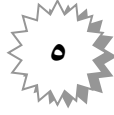
في هذا الحديث مراحل خلق الإنسان وتقدير رزقه وأجله وعمله.
وفيه: عناية الله تعالى بالخلق حيث وكل بهم وهم في بطون
أمهاتهم ملائكة يعتنون بهم.

وفيه، إثبات القدر، وأن جميع ما في الكون من نفع أو ضرر بقضاء
الله وقدره. وفيه: إيماء إلى عدم الاغترار بصور الأعمال، لأن
الأعمال بالخواتيم.

وفيه: الحرص على الأعمال أن تكون صواباً على سنة نبيه ﷺ،
خالصة لله ﷻ. مع كثرة الدعاء والتضرع لله ﷻ بحسن الخاتمة
والثبات على الدين.

وفيه: أنه لا ينبغي لأحد أن يقنط أحداً من رحمة الله - تعالى -..
هذا وصلوا وسلموا..

الخطبة الأولى^(١)



الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً
عبده ورسوله وصفيه وخليله، أدى الأمانة وبلغ البلاغ المبين،
وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلى هالك،
صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم
بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله، فإن من اتقاه وقاه، ومن أقرضه
جزاه، ومن شكره زاده. ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ
تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].
عباد الله:

اقتضت حكمة الله - سبحانه وتعالى - أن يكون هذا الدين خاتم
الأديان وآخر الشرائع، وكملت وتمت الرسالة بموت نبينا محمد ﷺ.

(١) الحديث الخامس: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

روى البخاري ومسلم عن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة رضي الله عنها، قالت: قال: رسول الله ﷺ «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ». وفي رواية لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

هذا الحديث من أصول الدين وقواعده، ومحتوي على أصل عظيم من أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، فيحتج به في رد المحدثات في الدين.

والحديث هذا نصف العلم، والآخر في قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى». فالحديث الأول في الأعمال الظاهرة، والثاني في الأعمال الباطنة.

قال النووي: (هذا الحديث ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به كذلك).

وقال ابن حجر: (هذا الحديث معدود من أصول الدين وقاعدة من قواعده).

عباد الله:

راوي هذا الحديث هي الصديقة بنت الصديق عليها السلام، أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق، وكانت من أحب نسائه إليه صلى الله عليه وسلم بعد خديجة رضي الله عنها، لم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم بكرة غيرها، وكانت صوامة، صاحبة كرم وزهد، وفقه وعلم، وحفظ وفصاحة.

قال الذهبي: (هي أفقه نساء الأمة على الإطلاق) وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: (ما أشكل علينا حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً).

وقال الزهري: (لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وجميع علم النساء كان علم عائشة أكثر).

توفيت رضي الله عنها وعن أبيها، بالمدينة، وعمرها ست وستون سنة، ودفنت بالبقيع سنة خمس وثمانين هـ.

وجاء في الحديث «**من أحدث في أمرنا**» أي؛ ابتدع في ديننا. أي؛ في الإسلام لأنه قد تم وكمل. والأمر هنا الدين كقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قوله ﷺ: «من أحدث» أي أنشأ واخترع من قبل نفسه «في أمرنا» أي شأننا الذي نحن عليه، وهو ما شرعه الله ورسوله ﷺ واستمر العمل به قوله: «في أمرنا هذا» إشارة إلى جلالته ومزيد رفعته وتعظيمه «ما ليس منه» أي مما ينافيه أو لا يشهد له شيء من قواعده وأدلتها العامة «فهو رد» أي مردود على فاعله لبطلانه وعدم الاعتداد به. وفي هذا الحديث الإشارة إلى وقوع البدع، وهذا الحديث أصل من أصول تصحيح الأعمال وذلك أن العبادات يشترط لصحتها أمران: الأول: الإخلاص لله ﷻ، والثاني اتباع النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المملك: ٢].

قال الفضيل: «أخلصه وأصوبه، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة». «ما ليس منه فهو رد» أي؛ فهو مردود على صاحبه.

وتعريف البدعة: هي كل قول أو فعل محدث نسب إلى الدين وليس له أصل في الكتاب أو السنة أو الإجماع. قال ابن تيمية: «البدعة ما خالفت الكتاب أو السنة وإجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات، والبدع كلها محرمة مذمومة شرعاً،

لقوله ﷺ: «وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار» [رواه النسائي].

وقال ابن رجب: (فهذا الحديث يدل بمنطوقه على أن كل عمل ليس عليه أمر الشارع، فهو مردود، ويدل بمفهومه على أن كل عمل عليه أمره، فهو غير مردود، والمراد بأمره هنا: دينه وشرعه، كالمراد بقوله في الرواية الأخرى: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد فالمعنى إذا: أن من كان عمله خارجاً عن الشرع ليس متقيداً بالشرع، فهو مردود).

عباد الله:

ومن أحدث بدعة ودعى الناس إليها فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن دعى الناس إلى سنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، كما قال ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعدي من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً» [رواه مسلم].

قال الشاطبي: (طوبى لمن مات ومات معه ذنوبه، والويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة أو مئتي سنة يعذب بها في قبره ويسأل عنها إلى انقراضها).

والبدعة أشد من جنس المعصية، لأن العاصي يعمل الذنب لشهوة من غير اعتقاد، وهو في قرارة نفسه يعلم أنه مخالف للشرع ودائمًا يحدث نفسه بالتوبة وترك المعصية.

أما المبتدع فيعمل البدعة عن اعتقاد أنها من الدين، ويتقرب إلى الله بذلك ويدعو لها، ولا يزداد إلا إصرارًا على بدعته. ولهذا قال سفيان الثوري: «البدعة أحب إلى إبليس من المعصية لأن المعصية يتاب منها والبدع لا يتاب منها».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم).

قال الإمام مالك رحمته الله: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمدًا خان الرسالة، لأن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].»

والبدع -عباد الله- تبعد عن الله تعالى والسنة تقرب من الله، والبدعة تغضب الله، والسنة ترضي الله تعالى، لانه قال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وفي الحديث عن صلى الله عليه وسلم: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ».

عباد الله:

هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الدين، واصل من أصول الدين، وهو من جوامع الكلم التي أوتيها المصطفى ﷺ فإنه صريح في ردّ كل بدعة، سواء أحدثها أو قلّد غيره فيها، لقوله في رواية مسلم: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا**» أي في ديننا وشرعنا «**فهو رد**» أي: مردود باطل، والمراد أن أعمال العاملين تكون تحت أحكام الشريعة في الأوامر والنواهي، فمن كان عمله تحت أحكام الشريعة في الأوامر والنواهي، فهو مقبول وما كان خارجاً عنها فهو مردود. قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُصِّلَ لِقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٢١].

أيها المسلمون:

ليس هناك في الإسلام بدعة حسنة، كل بدعة ضلالة كما ورد في الحديث عن النبي ﷺ فالبدع كلها ضلالة، وأما مارآه العلماء من تقسم البدعة إلى حسنة وسيئة فهو اصطلاح جديد، ورأي من بعض العلماء لا يعول عليه، والصواب أن كل بدعة ضلالة، وما ظنه بعض العلماء أنه بدعة حسنة فليس الأمر كذلك، ولكنه مشروع ولا يقال

له بدعة، وإن قيل له بدعة من جهة اللغة كما قال عمر رضي الله عنه في التراويح: «نعمت البدعة»، فهذا من حيث اللغة، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستمر عليها في حياته خاف أن تفرض على المسلمين فصلها ليالي ثم ترك، وقال: «إني أخشى أن تفرض عليكم» فلما توفي صلى الله عليه وسلم رأى عمر رضي الله عنه أن إقامتها أمر طيب ومشروع، لأن افتراضها على الناس قد أمن بموت الرسول صلى الله عليه وسلم فلهذا لما أمرهم بذلك ورأهم يصلون، قال: «نعمت البدعة هذه» من حيث اللغة، لأن البدعة في اللغة: ما فعل على غير مثال سابق، والتراويح لم تكن على مثال سابق من جهة الاستمرار خلال ليالي رمضان، وإلا فهي سنة.

قال السعدي: (إن كل عبادة فعلت على وجه منهي عنه فإنها فاسدة، لأنه ليس عليها أمر الشارع، وإن النهي يقتضي الفساد، وكل معاملة نهى الشارع عنها فإنها مُلغاة لا يعتد بها). وفي الحديث: التمسك بالسنة ولزومها، والتحذير من البدع.

عباد الله:

روى الحاكم في مستدركه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو: «اللهم احفظني بالإسلام قائماً، اللهم احفظني بالإسلام قاعداً، اللهم احفظني بالإسلام راقداً، ولا تشمت بي عدواً

ولا حاسداً، الله إني أسألك من كل خير خزائنه بيد، وأعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك».

وهذا الدعاء من أجمع الدعاء وأعظمه، لأن من حفظ بالإسلام في قيامه ورقوده، فقد سلمت له دنياه وأخراه، وأفلح في الأولى والأخرى، وسعد سعادة لا يشقى بها أبداً.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].
بارك الله...

الخطبة الثانية

الحمد لله، عظم شأنه، ودام سلطانه، أحمده - سبحانه - وأشكره،
عم امتنانه، وجزل إحسانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له،
وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، به علا منار الإسلام وارتفع
بنيانه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

أمر الله ﷻ باتباع ما جاء به النبي ﷺ، ونهى عن مخالفته، قال
تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ
أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا
تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].
وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ
فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وحذر تعالى من مخالفة رسوله ﷺ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ

عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿النور: ٦٣﴾.
وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ
الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ
جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

ومن مخالفة أمر الرسول ﷺ ومشاقفته ﷺ الابتداع في الدين،
فإن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

فإن البدع ضررها عظيم وإثمها خطير. فالبدع مضادة للشرعية
ومراغمة للشارع، حيث أن المبتدع نصب نفسه مستدركا على
الشرعية، مكملا لها وقد أنكر الله ﷻ الابتداع في الدين وجعله
تشريعا لما لم يأذن به، فقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا
لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

فاتقوا الله عباد الله، فإن البدعة لا تزيد صاحبها من الله إلا بعدا.
وعليكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهي التي أمرتم بها وأرخصها
الله ﷻ لكم.

فإن من علامات وبرهان محبة الله ﷻ طاعته واتباعه واقتفاء سنته
رسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقد أوصى النبي ﷺ باتباعه والتمسك بسنته كما في حديث
العرباض بن سارية قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها
القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع،
فأوصنا. قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم
عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة
الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم
ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة ضلالة» [رواه الترمذي].

فالبدع تهدم الدين، وتفسد ذات البين، وتوجب غضب الله ﷻ
وأليم عقابه في الآخرة، وتعم بها العقوبات في الدنيا وتتنافر بسببها
القلوب، وتتضرر بها مصالح الناس، وتورث الذل والهوان كما قال
ﷺ: «وَجُعِلَتِ الذَّلِيلَةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي».

ومن فوائد الحديث؛ تحريم إحداث شيء في دين الله ولو عن
حسن قصد. وفيه: أن الله أكمل لنا الدين وأتمم علينا النعمة.
هذا وصلوا وسلموا.

الخطبة الأولى^(١)

٦

الحمد لله أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة، ما تركت الشريعة شيئاً إلا وضحته وبينته، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].
أحمده وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، وأحسنوا العمل، ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

عباد الله: في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ الْحَالَ بَيْنَ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُّشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ

(١) الحديث السادس: «إِنَّ الْحَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ».

وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

هذا الحديث أصل عظيم من أصول الشريعة، وأجمع العلماء على عظيم موقعه وكثرة فوائده. وسبب عظم موقعه أنه ﷺ نبه فيه على إصلاح المطعم والمشرب والملبس وغيرها؛ فإنه سبب لحماية الدين والعرض وحذر من مواقع الشبهات. قال أبوداود السجستاني: (الإسلام يدور على أربعة أحاديث ذكر منها هذا الحديث).

عباد الله:

أنزل الله ﷻ كتابه الكريم على نبينا ﷺ وبين فيه للأمة ما يحتاج إليه من حلال وحرام، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

ووكّل تعالى بيان ما أشكل من التنزيل إلى الرسول ﷺ كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] وما قبض رسول الله ﷺ حتى أكمل الله تعالى له ولأمة الدين وأتم النعمة ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

وَرَضِيْتُ لَكُمْ إِلَّا سَلَمَ دِينًا ﴿ [المائدة: ٣].

وفي الحديث أنه ﷺ قال: «تركتم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك» [رواه ابن ماجه].

فما ترك ﷺ ورسوله ﷺ حلالاً إلا بينه، ولا حراماً إلا بينه. لكن بعضه كان أظهر من بعض. كما قال ﷺ في الحديث: «**إن الحلال بين**» ومعناه أن الحلال المحض بين لا اشتباه فيه، منه مانص الشرع على حله، كبهيمة الأنعام، وصيد البحر، والتمتع بما أحل الله من الحبوب والثمار واللباس. إذا لم تصل إلى الإنسان بطريق الحرام. والحلال كقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٥] وقوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ [النساء: ٢٤].

ومنه ما سكت عنه الشرع، مثل أنواع الطير مما ليس له مخلب. «**وإن الحرام بين**» والحرام المحض بين لا اشتباه فيه، منه ما حرم لحق الله تعالى؛ كالميتة والدم ولحم الخنزير، وشرب الخمر والزنا، ومنه ما حرم لحق العبد كالمغصوب والمسروق.

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] وقوله سبحانه: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صِيدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المائدة: ٩٦].

«وبينهما أمور» أي؛ شؤون وأحوال «مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس» أي؛ لا يعلمون حكمهن في التحليل والتحريم، ولكن بين الأمرين أمور تشبه على كثير من الناس. هل هي من الحلال أم من الحرام وهذا التقسيم شامل للمطاعم والمشارب، والملابس والمناسك والعبادات والمعاملات، والاشتباه لا يعرض إلا بأسباب من الناس إما لجهلهم وقلة علمهم وفهمهم، أو عدم إطلاعهم على الأدلة الشرعية، وإما لعدم رجوعهم لعلماء الشرعية. وكذلك التقصير في التدبر والبحث، وأعظمها سوء القصد بأن لا يقصد الإنسان إلا نصر قوله فقط سواء أكان صواباً أم خطأ.

وقوله: «فمن اتقى الشبهات» أي؛ تجنبها وابتعد عنها.

قوله ﷺ: «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه» أي؛ طلب البراءة لدينه وعرضه من النقص والشين والذم والقذح بصونه عن كلام الناس فيه بما يشينه ويعيبه. قال بعض السلف: من تعرض للتهم فلا يلومن من أساء الظن به.

عباد الله:

وأما الراسخون في العلم فلا تشبه عليهم، فأما ما كان حلالاً فشك في تحريمه فهو على الإباحة حتى يعلم تحريمه، وأما ما كان

حراماً فشك في تحليله فهو على الأصل حتى يعلم تحليله؛ وأما الوهم الذي لا أصل له كترك الضوء بماء باق على أوصافه مخافة نجاسة وقعت فيه ونحوه فهذا لا يلتفت إليه، والورع منه وسوسة. وهذا الاشتباه لا يكون على جميع الناس بدليل قوله ﷺ: «لا يعلمهن كثير من الناس» والمعنى وكثير يعلمهن.

عباد الله:

قوله ﷺ: «ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه». ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا أَلْسُوْاى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الروم: ١٠].

وأما قوله: «ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام» فذلك يكون بوجهين، أحدهما:

أن من لم يتق الله وتجراً على الشبهات أفضت به إلى المحرمات ويحمله التساهل في أمرها على الجرأة على الحرام، كما قال بعضهم: الصغيرة تجر الكبيرة، والكبيرة تجر الكفر، وكما روي «المعاصي بريد الكفر».

الوجه الثاني: أن من أكثر من مواقعة الشبهات أظلم عليه قلبه

لفقدان نور العلم ونور الورع فيقع في الحرام وهو لا يشعر به، وقد يَأْثِمُ بذلك إذا تسبب منه إلى تقصير.

وقوله ﷺ: «كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ألا وإن لكل ملك حمى» هذا مثل ضربه لمحارم الله ﷻ؛ وأصله أن العرب كانت تحمي مراعي لمواشيها وتخرج بالتوعد بالعقوبة لمن قربها، فالخائف من عقوبة السلطان يبعد بماشيته عن ذلك الحمى لأنه إن قرب منه فالغالب الوقوع فيه لأنه قد تنفرد الفأزة أي الشاة التي تمشي وحدها وتشذ الشاذة ولا ينضبط؛ فالحذر أن يجعله بينه وبين ذلك الحمى مسافة يأمن فيها وقوع ذلك، وهكذا محارم الله ﷻ من القتل والربا، والسرقه وشرب الخمر، والقذف والغيبة والنميمة ونحو ذلك، لا ينبغي أن يحوم حولها مخافة الوقوع فيها. ثم حض ﷺ وحث وأكد على السعي في صلاح القلب وحمايته من الفساد، وبين أنه مع صغر حجمه سائر البدن تابع له صلاحاً وفساداً، فقال ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ألا وهي القلب» الحديث.

والمضغة: هي القطعة من اللحم، وهي قدر ما يمضغه الماضغ، يعني بذلك صغر جرمها وعظيم قدرها، وسمي به هذا العضو الذي

هو أشرف الأعضاء لسرعة الخواطر فيه وترددها عليه، وفي هذا المعنى قيل:

ما سمي القلب إلا من تقلبه فاحذر على القلب من قلب
وخص الله تعالى جنس الحيوان بهذا العضو وأودع فيه تنظيم
المصالح المقصودة، فتجد البهائم على اختلاف أنواعها تدرك به
مصلحتها وتميز به مضارها من منافعها، ثم خص الله نوع الإنسان من
سائر الحيوان بالعقل وأضافه إلى القلب، فقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا
فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾
[الحج: ٤٦] وقد جعل الله الجوارح مسخرة له ومطبعة فما استقر فيه
ظهر عليها وعملت على معناه إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فإذا
فهمت هذا ظهر قوله ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت
صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب».

وفيه دليل على أن صلاح الجوارح وفسادها بحسب ما في القلب،
فإن كان القلب سليماً صلحت حركات الجوارح، ونشأ عن ذلك
فعل الطاعات واجتناب المحرمات، وإن كان فاسداً فسدت حركات
الجوارح، وانبعثت إلى المعاصي بحسب اتباع هوى القلب. فالقلب
ملك الأعضاء، وبقية الأعضاء جنود له مطيعون ما يأمرهم به من

خير أو شر، فإن كان صالحًا كانت جنوده سالحة، وإن كان فاسدًا كانت جنوده فاسدة، فلا صلاح للقلب حتى يستقر فيه معرفة الله وعظمته ومحبته وخشيته ومهابته ورجاؤه والتوكل عليه، وقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۚ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

سليم
عباد الله:

ومما يصلح القلب: تدبر القرآن، واخلو الجوف، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين، ورأس ذلك الأعظم: تحري أكل الحلال، واجتناب الشبهات، فإنها تورثه قسوة وظلمة، وتجره إلى الحرام.

نسأل الله العظيم أن يصلح فساد قلوبنا، وأن يهدينا سواء السبيل، يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، يا مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٧-٨٩].

بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي نصر عباده المؤمنين، وأذل بقوته وعزته الكفر والكافرين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله الأمين، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه الغر الميامين. ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

الناس أمام المتشابه ثلاثة أقسام:

القسم الأول: هم الذين يتركون المتشابه ابتغاء مرضاة الله، وتحرزاً من الإثم، وذلك لاشتباهه عليهم وعدم وضوح الحكم فيه، وهؤلاء بتركهم المتشابه طلبوا السلامة لدينهم، والبراءة لأعراضهم من الطعن. وهذا معنى قوله ﷺ: «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه».

القسم الثاني: من يقع في المتشابه من حيث هو متشابه عند الناس لا عنده، وذلك لا تضاح الحكم له في القضية فهذا لا حرج عليه في

وقوعه، ولكن إذا تركه حفاظاً ل عرضه من الناس فهذا أحسن وممدوح، فالمسلم مطالب بالحفاظ على سلامة عرضه.

القسم الثالث: من يقع في المتشابه مع أنها مشتبهة عليه اتباعاً لهواه، فهذا حكمه أنه وقع في الحرام، كما قال ﷺ: «ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام».

وترك الشبهات من الورع الذي رغب فيه رسول الله ﷺ وحث عليه. عباد الله: في الحديث مشروعية اجتناب الشبهات، وأن الاحتياط في الأعمال من القربات التي يتقرب بها الإنسان إلى ربه، وأن الورع عمل صالح يؤجر العبد عليه. وفيه: وجوب البعد عن الأسباب المفضية إلى المحرمات.

وقد أجمع العلماء على عظم موقع هذا الحديث وكثرة فوائد، إذ منها: الحث على فعل الحلال، واجتناب الحرام، والإمساك عن الشبهات، والإحتياط للدين والعرض، وعدم تعاطي مايسيء الظن أو يوقع في محذور، والأخذ بالورع، وأنه لا ورع في ترك المباح، وسد الذرائع. وتعظيم القلب والسعي فيما يصلحه والبعد عما يفسده. وأن الأعمال القلبية أفضل من البدنية وأنها لا تصلح إلا به.

أيها المسلمون:

الخوف من الله يثمر الورع وقصر الأمل، وقوة الإيمان باللقاء
تثمر الزهد، والمعرفة تثمر المحبة، والخوف والرجاء والقناعة تثمر
الرضا، والرضا يثمر حياة القلب، والإيمان بالقدر يثمر التوكل،
والورع يثمر الزهد.

قال سهل رَحِمَهُ اللهُ فِي أَثَرِ الْحَرَامِ عَلَى النَّفْسِ، (مَنْ أَكَلَ الْحَرَامَ
عَصَتْ جَوَارِحَهُ شَاءَ أَمِ أَبَى، عِلْمٌ أَوْ لَمْ يَعْلَمْ، وَمَنْ كَانَتْ طُعْمَتُهُ
حَلَالًا أَطَاعَتْهُ جَوَارِحُهُ، وَوَفَّقَتْ لِلْخِيَرَاتِ).

وقال أبو الدرداء: (إِنْ مِنْ تَمَامِ التَّقْوَى أَنْ يَتَّقِيَ الْعَبْدُ فِي مِثْقَالِ ذَرَّةٍ
حَتَّى يَتْرَكَ بَعْضَ مَا يَرَى أَنَّهُ حَلَالٌ خَشْيَةً أَنْ يَكُونَ حَرَامًا، حَتَّى يَكُونَ
حِجَابًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ).

ولعظم أمر الحلال ومنزلته عند الله رَحِمَهُ اللهُ قَالَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ: لَوْ
أَعْلَمَ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ مِنْ حَلَالٍ مِنْ تِجَارَةٍ لَا شَتَرْتِ بِهِ دَقِيقًا، ثُمَّ
عَجَنْتَهُ ثُمَّ خَبِزْتَهُ، ثُمَّ جَفَفْتَهُ، ثُمَّ دَقَقْتَهُ أَدَاوِي بِهِ الْمَرْضَى.

قِيلَ لِابْنِ سِيرِينَ: (مَا أَشَدُّ الْوَرَعَ؟) فَقَالَ: مَا أَيْسَرُهُ؛ إِذَا شَكَّكَتَ فِي
شَيْءٍ فَدَعِهِ).

وفي الحديث؛ الحث على اتقاء الشبهات، وسد الذرائع.

وفيه: أن الواقع في الشبهات واقع في الحرام.
وفيه: حسن تعليم النبي ﷺ وضرب الأمثال.
وفيه: أن المدار في الصلاح والفساد على القلب.
هذا وصلوا وسلموا.

الخطبة الأولى^(١)

٧

الحمد لله حمداً كثيراً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ولا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله
حق جهاده؛ فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه ومن
تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى.
﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا
كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله:

النصيحة: كلمة جامعة معناها إرادة الخير للمنصوح له وشفقة عليه،
وهي من وجيز الأسماء ومختصر الكلام، والنصيحة فرض كفاية إذا
قام بها من يكفي سقط عن غيره، وهي لازمة على قدر الطاقة.

(١) الحديث السابع: «الدين النصيحة».

والنصيحة في اللغة: الإخلاص، يقال: نصحت العسل إذا صفيته.
وفي هذا الحديث روى مسلم عن أبي رُقَيْة تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ لِلَّهِ،
وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ».

هذا الحديث؛ أصل جامع من أصول الدين، ومن جوامع الكلم
التي أوتيها رسول الله ﷺ.
وهو أصل عظيم في وجوب النصيحة وبيان فضلها ومنزلتها في
الدين وذكر مجالاتها.

قال العلماء عن هذا الحديث: «عليه مدار الإسلام».
وقال محمد بن أسلم: «هذا الحديث أحد أرباع الدين».
وفي الحديث ذكر تميم بن أوس الداري؛ أن النبي ﷺ قال:
«**الدين النصيحة**» أي؛ عماد الدين وقوامه؛ لأهميتها ومكانتها
وفوائدها، وفضلها على الفرد والمجتمع. وتشمل خصال الإسلام
والإيمان والإحسان وغيرها. والدين كله نصيحة، والنصيحة كلها
من الدين، والمراد بالنصيحة: الخلوص من الغش والخديعة مع
تمحض إرادة الخير. فسئل الصحابة رضي الله عنهم النبي ﷺ: لمن هذه
النصيحة؟ ولمن تكون؟ (قلنا: لمن؟).

قال ﷺ «الله» أي؛ بالإخلاص لله - تعالى - والتعبد له محبة وتعظيمًا.

فالنصيحة لله سبحانه وتعالى: الإيمان به، وتوحيده في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته. ونفي الشرك عنه ووصفه بصفات الكمال والجلال، وتنزيهه عن جميع النقائص، ومحبه، وإخلاص العبادة له، والقيام بطاعته، واجتناب معصيته، والحب فيه، والبغض فيه، وشكر نعمته. وكذلك غيرته لله، فيغار الله ﷻ إذا انتهكت محارمه. ومنه الذب عن دين الله والدفاع عنه، والدعوة إليه والقيام به.

وأما تفسير النصيحة وأنواعها، فقال العلماء: النصيحة لله تعالى معناها منصرف إلى الإيمان به، ونفي الشرك عنه وترك الإلحاد في صفاته، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها، وتنزيهه عن جميع النقائص والقيام بطاعته واجتناب معصيته والحب فيه والبغض فيه، وجهاد من كفر به والاعتراف بنعمته، والشكر عليها والإخلاص في جميع الأمور والدعاء إلى جميع الأوصاف المذكورة والحث عليها والتلطف بالناس.

قال الخطابي: «وحقيقة هذه الأوصاف راجعة إلى العبد في نصحه نفسه فإن الله سبحانه وتعالى غني عن نصح الناصح، وأما النصيحة

لكتابيه سبحانه وتعالى فبالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله، لا يشبهه شيء من كلام الناس، ولا يقدر على مثله أحد من الخلق، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوة، وتحسينها والخشوع عندها، وإقامة حروفه في التلاوة، والذب عنه لتأويل المحرفين، والتصديق بما فيه والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، والبحث عن عمومه، والدعاء إليه وإلى ما ذكرنا من نصيحته».

قال ابن بطال: «إن النصيحة تسمى ديناً وإسلاماً، وإن الدين ليقع على العمل، كما يقع على القول، والنصيحة فرض كفاية إذا قام به واحد سقط عن الباقيين، والنصيحة لازمة على قدر الطاقة إذا علم الناصح أن تُقبل نصيحته، ويطاع أمره، ويأمن على نفسه المكروه، وإن خشى أذى فهو في سعه».

ثم قال صلى الله عليه وسلم: «ولكتابيه» أي؛ للقرآن العظيم بتعظيمه، وصيانته بالسعي في نشره، وتعظيم أوامره، واجتناب نواهيه، والسعي في مدارسته والحث على ذلك وتكريم حملته.

والنصيحة لكتابيه: الإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله، لا يشبهه شيء من كلام الناس، وتعظيمه ومحبته وتلاوته، وتفهم علومه

وأمثاله، والعمل بما فيه، والوقوف عند حدوده والإيمان بأنه كلام الله وينشر هذا الكلام وتعلمه وتعليمه والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه، ومحبة أن يعمل الناس به.

ثم قال ﷺ: «ولرسوله» أي؛ الإيمان به وبما جاء به.

وأما النصيحة لرسوله ﷺ فتصديقه على الرسالة، ومحبته وطاعته والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره واجتناب نهيه، ونصرته حياً وميتاً، ومعاداة من عاداه، وموالاته من والاه، وإعظام حقه، وتوقيره، وإحياء طريقته وسنته والعمل بها، وإجابة دعوته، ونشر سنته ونفي التهمة عنها، واستئثار علومها والتفقه في معانيها، والدعاء إليها، والتلطف في تعليمها، وإعظامها وإجلالها، والتأدب عند قراءتها، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها؛ والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه، ومحبة أهل بيته، وأصحابه، ومجانبة من ابتدع في سنته، أو تعرض لأحد من أصحابه، ونحو ذلك.

ثم قال ﷺ: «ولأئمة المسلمين» وهم أئمة الدين، وأئمة السلطة، فالعلماء يتلقى منهم العلم ويكرمون وينزلون منزلهم اللائقة بهم، فهم ورثة الأنبياء، والدفاع عنهم والتجاوز عن زللهم، وعدم تتبع

عوراتهم، ومعرفة قدر العلماء والرجوع إليهم في معرفة أمور الدين، أما ولاية الأمر فطاعتهم فيما ليس بمعصية، وعدم الخروج عليهم، وتآلف الناس لطاعتهم ومناصحتهم ومعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه، وأمرهم به وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من أمور وحقوق المسلمين.

وطاعتهم وتذكيرهم برفق، وترك الخروج عليهم. وترك الخروج عليهم بالسيف، وتآليف قلوب الناس لطاعتهم، والصلاة خلفهم، والجهاد معهم، الدعاء لهم بالصلاح.

وأئمة المسلمين صنفان من الناس: الأول: العلماء الربانيون الذين ورثوا النبي ﷺ علماً وعبادة وأخلاقاً ودعوة. والصنف الثاني: الأمراء المنفذون شريعة الله. فالعلماء مبينون، والأمراء منفذون لشريعة الله.

ثم قال ﷺ: «وعامتهم» أي؛ عامة المسلمين وهم من عدا ولاية الأمر، وذلك بأن تحب لهم ما تحب لنفسك، وأن تكره لهم ما تكرهه لنفسك من المكروه وإرشادهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم في الدين والدنيا وإعانتهم بالقول والفعل، وستر عوراتهم، وسد خلاتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، والذب عن

أموالهم وأعراضهم، وتنشيط هممهم إلى الطاعات، ودلالتهم على فعل الخيرات.

وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة، وترك غشهم وحسدهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه، والذب عن أموالهم وأعراضهم، وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل.

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ: (ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام، وإنما أدرك بسخاء النفس، وسلامة الصدر، والنصح للأمة) ومن أعظم أنواع النصح أن ينصح لمن استشاره في أمره، كما قال رَحِمَهُ اللهُ: «إذا استنصح أحدكم أخاه، فليصح له».

قال عبد العزيز بن أبي رواد: (كان من كان قبلكم إذا رأى الرجل من أخيه شيئاً يأمره في رفق، فيؤجر في أمره ونهيه، وإن أحد هؤلاء يخرقُ بصاحبه، فيستغضب أخاه ويهتك ستره).

عباد الله: قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ عن النصيحة: (من وصل أخاه بنصيحة له في دينه، ونظر له في صلاح دنياه، فقد أحسن صلته، وأدى واجب حقه).

عباد الله:

النصيحة تصلح المجتمع، وتجلب له الألفة، وتبعد عنه الغيبة، وهي من الأعمال الدالة على صفاء السريرة.

والله ﷻ أمر بالنصح حتى مع من علا وطغى، قال الله تعالى لموسى وهارون: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [طه: ٤٣]. وأمر تعالى رسوله ﷺ أن يعظ المنافقين فقال: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣].

ومن نصح وجب عليه أن يبذل غاية النصح للمنصوح، وأن يعدل في قوله ولفظه، والحياء لا يمنع من النصيحة، وتكون بأحسن الألفاظ وأحدها، قال جل شأنه: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] وتكون بالقول اللين قال ﷻ: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ تَحْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

وللنصيحة آداب منها: أن تكون بالطيب من القول، لقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] فيختار الناصح أسهل العبارات وأطيبها، وأن يريد بها وجه الله والدار الآخرة وليست لحظ في النفس والتشفي، وأن تكون بالسر ولا تكون علانية، وأن يلجأ الناصح إلى التلميح والإشارة وربما تغني عن التصريح.

ومن آداب النصيحة أيضًا، أن لا ينتظر قبول نصيحته، بل عليه أداء الواجب دون عتاب ولا مؤاخذة.

ومن قال بالنصيحة وتجرد لله وبذل جهده فيها بالصدق مع الله فحقه الإكرام والدعاء والثناء، قال الحسن: (ما زال الله نصحاء ينصحون لله في عباده، وينصحون لعباد الله في حق الله، ويعملون لله في الأرض بالنصيحة، أولئك خلفاء الله في الأرض).

وعلى المنصوح قبول النصيحة، وشكر الناصح والدعاء له.
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾
[الحجرات: ١٠].

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، فهدانا للإسلام
وأتم علينا هذه الدين، وأشهد ألا إله إلا الله رب العالمين، وأشهد أن
نبينا محمداً عبد الله ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق نبأً
للناس أجمعين، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه،
والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - في السر والنجوى، واعلموا أن أعمالكم
على الله لا تخفى. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ
نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾
[الحشر: ١٨].

أيها المسلمون:

نُصح عباد الله إلى ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم هذا هو عمل
الرسل عليهم السلام، قال تعالى مخبراً عن نبيه هود عليه السلام وهو ينصح
قومه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨].

وقال تعالى: مخبراً عن نبيه صالح وهو يخاطب قومه بعد أن أهلكهم الله ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ﴾ [الأعراف: ٧٩].

ومن أخص صفات نبينا محمد ﷺ أنه مذكر ناصح، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١] وفي الحديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ يخطبنا فيذكرنا بأيام الله، والنصيحة من عبادات الصالحين، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِأَبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

ومن خصال الإيمان الواجبة حب الخير للمسلمين، والخوف عليهم من السيئات والعقوبات، قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» [رواه البخاري].

قال الذهبي: (من لم ينصح لله وللأئمة وللعمامة كان ناقص الدين).
قال النووي: (والنصيحة فرض كفاية، إذا قام بها من يكفي سقط عن غيره، وهي لازمة على قدر الطاقة).

قال شيخ الإسلام: (فإن أصل الدين هو حسن النية، وإخلاص القصد، ولهذا قال ﷺ: «ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم، إخلاص

العمل لله، ومناصحة ولاية الأمور، ولزوم جماعة المسلمين؛ فإن دعوتهم تحيط من ورائهم» أي هذه الخصال الثلاث لا يحقد عليها قلب مسلم، بل يحبها ويرضاها.

والنصيحة - عباد الله - فرض كفاية، إذا قام بها من يكفي سقط عن غيره، وهي لازمة على قدر الطاقة.

ومن فوائد الحديث؛ أهمية النصيحة بشروطها وآدابها. وفيه: إنزال الناس منازلهم ونصيحتهم كل على قدره ومكانته. وفيه: أن المجتمع المسلم مجتمع متحاب متواد متناصح. هذا وصلوا...

الخطبة الأولى^(١)

٨

الحمد لله أهل التقوى وأهل المغفرة، أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، أحمدُه - سبحانه - وأشكره، وأتوب إليه واستغفره؛ نعمه لا تحصى، وآلاؤه ليس لها منتهى، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أخشى الناس لربه وأتقى، دلّ على سبيل الهدى وحذر من طريق الردى، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجهم واقتفى.

أما بعد:

فأوصيكم - ونفسي - بتقوى الله، فتقوى الله جماع الخيرات، وحصول البركات، أكثر خصال المدح ذكراً في كتاب الله، ما من خير عاجل ولا آجل، ولا ظاهر ولا باطن إلا والتقوى موصلة إليه، ووسيلة له، ودليل عليه، وما من شر عاجل ولا آجل، ولا ظاهر ولا باطن، إلا والتقوى حرز منه حصين ودرع مكين.

(١) الحديث الثامن: «أمرت أن أقاتل الناس».

عباد الله:

روى البخاري ومسلم: عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويوتوا الزكاة؛ فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى».

هذا حديث عظيم، وقاعدة من قواعد الدين، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

أورد المؤلف - رحمه الله تعالى - هذا الحديث؛ وفيه إجراء أحكام الناس على الظاهر.

قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل» أي؛ أمرني الله ﻋَﻠَﻴْهِ أن أقاتل من المقاتلة. وهناك فرق بين القتال والمقاتلة، لم يقل ﷺ أمرت أن أقتل الناس، بل قال «أقاتل» والمقصود من المقاتلة: الأذى والإذلال. والمقصود من القتل: الإبادَة.

فالمقاتلة: أن يسعى في جهاد الأعداء حتى تكون كلمة الله هي العليا، والقتل: أن يقتل شخصاً بعينه. ويستثنى من عموم مقاتلة الناس حتى الإتيان بما ذكر في الحديث: أهل الكتاب إذا دفعوا الجزية.

«الناس» هم الكفار عبده الأوثان ومشركوا العرب، لا أهل الكتاب لسقط قتالهم بدفع الجزية. والكافر المشرك يطلب منه واحد من اثنين: الإسلام أو القتال، أما أهل الكتاب فيطلب منهم واحد من ثلاثة على الترتيب: الإسلام، أو الجزية، أو القتال. وقال بعض العلماء: الأرجح معاملة المشرك كمعاملة الكتابي.

«حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» وذلك من أجل إخراجهم من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد. والتوحيد الذي يُقاتل الناس عليه هو الإقرار وإفراد الله بالعبادة دون ما سواه، أما توحيد الربوبية فقد كان العرب يقرون به، وهو أن الله هو الخالق الرازق، قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥].

«حتى يقولوا: لا إله إلا الله» أي: لا معبود حق إلا الله ﷻ أي يقرونها ويعترفوا بها، والمراد بذلك الشهادة باللسان وأما ما في القلب فلا يعلمه إلا الله سبحانه.

قوله: «و يقيموا الصلاة» المفروضة على الوجه المأمور به.

«ويؤتوا الزكاة» في أموالهم إلى مستحقيها.

«فإذا فعلوا ذلك» أي التزموا وقاموا بذلك وشهدوا أن لا إله إلا

الله، وأن محمدًا رسول، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة.

«ويقيموا الصلاة» الصلاة الركن الثاني من أركان الإسلام، وفيه

دليل على أن تارك الصلاة يكفر، قال ﷺ: «بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة» [رواه مسلم].

«ويؤتوا الزكاة» حق في الأموال تعطى لأصنافها الثمانية الذين

ذكرهم الله في كتابه.

ولم يذكر بقية أركان الإسلام إما لأنها لم تكن قد فرضت وقتئذ،

أو اكتفاء بما ذكر تنبيهًا بالأعلى على الأدنى. وفيه بيان مكانة الصلاة والزكاة، فإن الصلاة حق البدن، والزكاة حق المال.

«فإذا فعلوا ذلك عصموا» أي؛ إذا التزموا وقاموا بذلك. منعوا

وحفظوا وحقنوا.

«مني دماءهم وأموالهم» أي؛ لا تهدر دماءهم، ولا تستباح

أموالهم إلا بسبب من الأسباب؛ كفعل الواجبات وترك المنهيات فإنها واجبة. أي فلا يحل أن أقاتلهم وأستبيح دماءهم ولا أن أغنم

أموالهم، لأنهم دخلوا في الإسلام. «إلا بحق الإسلام» هذا استثناء عام، مثل زنا الشيب، والقصاص. والمراد بحق الإسلام شرائعه.

«فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله».

قال الخطابي وغيره: «المراد بهذا أهل الأوثان ومشركوا العرب، ومن لا يؤمن دون أهل الكتاب، ومن يقر بالتوحيد فلا يكتفي في عصمته بقوله: لا إله إلا الله إذا كان يقولها في كفره، وهي من اعتقاده».

قوله ﷺ: «وحسابهم على الله» أي فما يسرونه ويخفونه: يعني أن الشهادتين مع إقام الصلاة وإيتاء الزكاة تعصم دم صاحبها وماله، إلا أن يأتي ما يبيح دمه. وأما في الآخرة فحسابه على الله ﷻ، فإن كان صادقاً أدخله الله الجنة، وإن كان كاذباً فهو من جملة المنافقين. قال الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۚ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ۚ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ۚ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ ۚ الْعَذَابُ الْأَكْبَرُ ۚ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۚ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ۚ﴾ [الغاشية: ٢١: ٢٦].

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: «لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبوبكر الصديق رضى الله عنه، وكفر من كفر من العرب. قال عمر رضى الله عنه لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله

ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله وَجَلَّ؟ فقال أبوبكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه. فقال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق».

والمقاتلة على منع الزكاة تكون لمن امتنع منها وقاتل عليه، أما إذا لم يقاتل فإنها تؤخذ منه قهراً.

وفي قوله ﷺ: «**وحسابهم على الله - تعالى -**» أي؛ وحساب بواطنهم وصدق قلوبهم على الله - تعالى - لأنه المطلع على السرائر، أما نحن فنعاملهم معاملة المسلمين في إجراء أحكام الإسلام في الدنيا. والبشر لا يكلفون إلا الظاهر، والنبى ﷺ إنما يحكم على الظاهر، ولا يحكم على الباطن فإن كان صادقاً ظاهراً وباطناً نفعه ذلك عند الله، وإن كان الباطن خلاف الظاهر، وكان أظهر ذلك نفاقاً فهو من أهل الدرك الأسفل من النار.

وقد ذكر النبى ﷺ عن الخوارج وأنهم أهل صلاة وصيام وعبادة حتى أن الصحابي يحقر صلاته عند صلاتهم من طولها وخشوعها، لكن النبى ﷺ قال عنهم: «لا يجاوز إيمانهم حناجرهم»

[رواه البخاري]. أي لا يدخل الإيمان قلوبهم مع أنهم صالحوا الظواهر، لكن ذلك ما نفعهم. وصلاح القلوب هو الأساس وهو مقدم على صلاح الجوارح.

وعكس أولئك رجل رفع إلى النبي ﷺ قد شرب الخمر فججلده، ثم رفع إليه مرة أخرى فججلده، فسبه رجل من الصحابة وقال: لعنة الله، ما أكثر ما يؤتى به إلى الرسول ﷺ. فقال له الرسول ﷺ: «لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله» [رواه البخاري].

قال البغوي: «وفي الحديث دليل على أن أمور الناس في معاملة بعضهم بعضاً إنما تجري على الظاهر من أحوالهم دون باطنها، وأن من أظهر شعار الدين أجري عليه حكمه، ولم يكشف عن باطن أمره، ولو وجد مختون فيما بين قتلى غلف، عزل عنهم في المدفن، ولو وجد لقيط في بلد المسلمين حكم بإسلامه».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا^ج

إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٣].

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وهو الحكيم
 العليم، خلق فسوى، وقدر فهدى، وأشهد أن لا إله إلا الله العلي
 العظيم، وأشهد أن نبينا محمداً الرسول الصادق الأمين، صلى الله عليه
 وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
 عباد الله:

اتقوا الله حق تقاته، واستمسكوا بدينكم، والتزموا سنة نبيكم ﷺ
 تفوزوا وتفلاحوا.
 أيها المسلمون:

قد جرت أحداث عظيمة بعد وفاة النبي ﷺ، فكان الحزم والعزم
 من الخليفة الأول أبو بكر رضي الله عنه في الوقوف في وجه هذه الردة
 العظيمة التي قام بها من كفر من العرب، واستعد رضي الله عنه لمقاتلتهم
 ومنجارتهم.
 فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وكيف تقاتل الناس، وقد قال
 رسول الله ﷺ.

«أمرت أن أقاتل الناس» أي؛ أقاتل الكفرة، لا أهل الذمة ومن

الحق بهم.

«حتى يقولوا لا إله إلا الله» أي؛ يشهدوا بذلك.

«فمن قالها فقد مني ماله ونفسه إلا بحقه عصم» وفيه بيان فضل

كلمة الإخلاص، وأن من قالها وهو مؤمن بها عصم ماله ودمه ونفسه.

«وحسابه على الله» أي؛ فإن كان صادقاً نفعه في الآخرة وإلا فلا.

وتتمه الحديث: «ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة».

فقال أبو بكر رضي الله عنه: (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة،

الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقلاً - يعني عقال بغير - كانوا

يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على ذلك).

قال ابن حجر: (والمراد بالفرق: من أقر بالصلاة وأنكر الزكاة جاحداً

أو مانعاً مع الاعتراف، وإنما قاتلهم الصديق ولم يعذرهم بالجهل

ونصبوا القتال، فجهز من دعاهم إلى الرجوع، فلما أصرّوا قاتلهم).

وقال رحمته الله: (فمن صلى عصم نفسه، ومن زكى عصم ماله، فإن

لم يصل قوتل على ترك الصلاة، ومن لم يزك أخذت الزكاة من ماله

قهراً، وإن نصب الحرب لذلك قوتل).

فإن الشريعة الشريفة إنما تجرى على الظواهر ولا تنقر عما في القلب، فمن أتى بالشهادتين والتزم أحكام الإسلام جرت عليه أحكامهم سواء كان في الباطن كذلك أم لا؟ أما الكتابي وما ألحق به من المجوس فيقاتل حتى يسلم أو يؤدي الجزية.

وفي الحديث: أن من امتنع من الزكاة وجب على الإمام قتاله حتى يؤدي الزكاة.

وفيه: أن الجهاد لا يتوقف مع الأعداء حتى يعلنوا شعائر الإسلام وأركانه الأساسية أو الخضوع إلى نظامه، والزكاة أحد هذه الشعائر الأساسية وركن من أركان الإسلام. هذا وصلوا وسلموا.

الخطبة الأولى^(١)

٩

الحمد لله الذي خلقنا لعبادته وتوحيده، ومنّ علينا وتفضل بتسبيحه وتحميده، أحمده - سبحانه - وأشكره، وعد الشاكرين بمزيده، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أفضل رسله وأكرم عبيده، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله الذي خلقكم، واستعينوا على طاعته بما رزقكم، فربكم جلت حكمته لم يخلقكم هملاً، ولم يترك أمركم في هذه الحياة مهملاً، بل خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً.

(١) الحديث التاسع: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه».

عباد الله:

رضي الله تعالى للناس الإسلام ديناً، وجعله الدين الخاتم الذي لا يقبل من أحد ديناً سواه، وكان من سمات هذا الدين العظيم قوامه على الأوامر والنواهي، فهو يأمر بكل فضيلة، وينهي عن كل رذيلة، ومن هنا جاء هذا الحديث ليسين الموقف الصحيح تجاه هذه الأوامر والنواهي.

روى البخاري ومسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ».

راوي هذا الحديث هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي، وكني بأبي هريرة لأنه كان معه هرة قد ألفها وألفته، فلمصاحبته إياه كني بها. وهو من رواة الحديث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عباد الله:

هذا الحديث من قواعد الإسلام المهمة، ومما أوتي به ﷺ من جوامع الكلم، ويدخل فيه ما لا يحصى من الأحكام. قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]. وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وهذا الحديث له سبب، وهو ما رواه مسلم أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا». فقال رجل (هو الأقرع بن حابس): أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم، ثم قال: ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه». فالذي يتعين على المسلم أن يبحث عما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ثم يجتهد في فهم ذلك والوقوف على معانيه والعمل به، وهكذا كان حال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان في طلب العلم النافع من الكتاب والسنة.

وروى الإمام أحمد عن معاوية رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أنه نهى عن الأغلوطات».

قال الأوزاعي: (هي شداد المسائل).

وقال عيسى بن يونس: (هي ما لا يحتاج إليه من كيف وكيف؟).

وقال الأوزاعي: (إن الله إذا أراد أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه المغاليط، فلقد رأيتهم أقل الناس علماً).

وقال مالك: (المراء والجدال يذهب بنور العلم من قلب الرجل).
وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: «أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عن الراسخين في العلم فقال: «من برّت يمينه،
وصدق لسانه، واستقام قلبه، ومن عف بطنه وفرجه، فذلك من
الراسخين في العلم».

عباد الله:

في هذا الحديث: وجوب اجتناب المنهي المحرم كله، وأنه لا
يُعلق ذلك على الاستطاعة، ويستثنى من هذا ما أبيح للضرورة أو
للإكراه، لأن مناط التكليف الاستطاعة، والاستطاعة شرط في
جميع الواجبات. وفيه: وجوب فعل المأمور وتعليق ذلك
على الاستطاعة.

وفي الحديث دليل على رحمة هذه الشريعة بالعباد، وشفقتها
عليهم، فإنها لم توجب عليهم أمراً شاقاً ولا أمراً خارجاً عن
استطاعة العبد، على أن ما جاءت به الشريعة من الأوامر والنواهي
يحقق مصالح العباد ويرضي رب العباد ويسبب الحصول على
مصالح الدنيا والآخرة.

والمأمور يأتي به المكلف على قدر طاقته، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فإذا كان لا يستطيع الإتيان بالفعل على الهيئة الكاملة، أتى بها على ما دونها، فإذا لم يستطع أن يصلي قائماً صلى جالساً، وإذا لم يستطع الإتيان بالواجب كاملاً أتى بما يقدر عليه منه، فإذا لم يكن عنده من الماء ما يكفي للوضوء توضأ عنده وتيمم للباقي، وإذا لم يستطع أن يصلي واقفاً صلى جالساً.

قوله ﷺ: «وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم» هذا من قواعد الإسلام المهمة، ومما أوتي به ﷺ من جوامع الكلم؛ ويدخل فيه ما لا يحصى من الأحكام كالصلاة إذا عجز عن بعض أركانها أو بعض شروطها أتى بالباقي، وإذا عجز عن غسل بعض أعضاء الوضوء غسل الممكن، وكذلك إذا وجبت فطرة جماعة ممن يلزمه نفقتهم، وكذلك أيضاً في إزالة المنكرات إذا لم يمكنه إزالة جميعها فعل الممكن، وأشبه ذلك مما لا ينحصر وهو مشهور في كتب الفقه. والمراد بقوله ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ما قدرتم عليه دون مشقة.

وهذا الحديث كقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وأما قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، فقليل: منسوخة بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا

أَسْتَطَعْتُ، قال بعضهم: والصحيح أنها ليست منسوخة بها، بل هي مفسرة لها، ومبينة للمراد منها، قالوا: وحق تقاته هو امتثال أمره واجتناب نواهيه، والله سبحانه لم يأمر إلا بالمستطاع، فإن الله تعالى قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].
والأمر قسمان:

الأول: أمر إيجاب وإلزام: وهو ما يثاب فاعله امتثالاً، ويعاقب تاركه، كإقام الصلاة وباقي أركان الدين، وطاعة الوالدين، والعدل بالحكم، وإقامة الحدود، والنفقة على من تجب عليهم النفقة، وغيرها من الواجبات التي أمرنا بها.
الثاني: أمر استحباب: وهو ما يثاب فاعله امتثالاً، ولا يعاقب تاركه، مثل السنن الرواتب، والسواك، والغسل للإحرام، وغيره من المستحبات.

والمسلم يلتزم الأول سواء كانت أمر إيجاب أو استحباب حتى ينال الدرجات العلا ويكسب الأجر والثواب.
ولا ينبغي للإنسان إذا سمع أمر الرسول ﷺ أن يقول: هل هو واجب أم مستحب؟ لقوله: «فأتوا منه ما استطعتم» بل يسارع إلى الخير ما استطاع إليه سبيلاً.

وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «وما نهيتكم عن شيء» أي منعتمكم، والنهي: هو طلب الكف عن فعل الشيء «فاجتنبوه» أي؛ ابتعدوا عنه، فكونوا في جانب وهو في جانب. فهذا على إطلاقه، لكن إن وجد عذر يبيحه كأكل الميتة عند الضرورة ونحوه فهذا لا يكون منهياً عنه في هذا الحال. وأما في غير حال العذر فلا يكون ممثلاً لمقتضى النهي حتى يترك كل ما نهى عنه ولا يخرج عنه بترك فعل واحد بخلاف الأمر.

والنهي قسمان:

الأول: نهي التحريم: وهو ما يثاب تاركه امتثالاً، ويعاقب فاعله، وهو ما جاء على سبيل الحتم والإلزام، مثل شرب الخمر والزنا وأكل الربا والتبرج والغش والغيبة والنميمة وغيرها من المنهيات.

الثاني: نهي الكراهة أو التنزيه: وهو ما يثاب تاركه امتثالاً، ولا يعاقب فاعله، وهو ما لم يأت على سبيل الحتم والإلزام، مثل الكلام بعد العشاء، وأكل الثوم والبصل.

والمكروه يجوز للعبد أن يفعله، سواء دعت الضرورة إلى ذلك أم لا، ولكن الأليق والأكمل للمسلم التقي أن يجتنب المكروهات.

وقوله ﷺ: «إنما أهلك الذين من قبلكم» أي أوجب العقوبة ففي الدنيا والآخرة؛ يشمل اليهود والنصارى.

«كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم» يعنى وأهلكهم اختلافهم وعصيانهم لهم، لأنه سبب لتمزق القلوب ووهن الدين وذكر ذلك بعد قوله: «ذروني ما تركتكم» أراد لا تكثروا السؤال فربما كثر الجواب عليه فيضاهي ذلك قصة بني إسرائيل لما قيلهم لهم: «اذبحوا بقرة» فإنهم لو اقتصروا على ما يصدق عليه اللفظ وبادروا إلى ذبح أي بقرة كانت أجزاء عنهم، لكن لما أكثروا السؤال وشددو شدد عليهم وذموا على ذلك، فخاف النبي ﷺ مثل ذلك على أمته. وأما ما يحتاجه المسلم من المسائل الشرعية فلا حرج من السؤال عنها بل الواجب عليه معرفتها خاصة ما يتصل بعبادته لربه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا^ج وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].
بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين، أحمده - سبحانه -
وأشكره، وأتوب إليه واستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا
شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله عليه
وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - فإن من اتقاه؛ كفاه ووقاه، وحفظه ونجّاه.

أيها المسلمون:

والفرق بين المنهيات والمأمورات: أن المنهيات قال ﷺ فيه:
«**فاجتنبوه**» ولم يقل ما استطعتم، وكل إنسان يستطيعه، وأما
المأمورات فإنها إيجاد قد استطاع وقد لا استطاع، ولهذا قال في
الأمر: «**فأتوا منه ما استطعتم**».

وعن الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - أنه قال: «يؤخذ من
الحديث أن النهي أشد من الأمر، لأنه لم يرخص في شيء منه،
والأمر مقيد بالاستطاعة».

وقريب من هذا قول بعضهم: «أعمال البر يعملها البر والفاجر،
وأما المعاصي لا يتركها إلا صديق».

عباد الله:

في الحديث إشارة عظيمة إلى أن موقف المؤمن الصحيح تجاه
الشرع، هو الاشتغال بامتنال الأوامر واجتناب النواهي والعناية
بالعمل، والإعراض عن كثرة المسائل والجدل، فالمتعين على المسلم
أن يبحث عما جاء عن الله تعالى ورسوله ﷺ ثم يجتهد في فهم ذلك
والوقوف على معانيه، ثم يشتغل لتصديقه إن كان من الأمور العلمية،
وإن كان من الأمور العملية بذل وسعه في فعل ما يستطيعه من الأوامر
واجتناب النواهي، وتكون همته مصروفة بالكلية إلى ذلك، وهكذا
كان أصحاب الرسول ﷺ والتابعين لهم بإحسان.

سأل رجل ابن عمر عن استلام الحجر، فقال: رأيت النبي ﷺ
يستلمه ويقبله فقال له الرجل: أرايت إن غلبت عليه أرايت إن
زوحمت، فقال ابن عمر: اجعل أرايت في اليمن» [رواه البخاري].

اللهم وفقنا للعمل بكتابك وسنة نبيك ﷺ، واجعلنا ممن أطاع

الله ورسوله ﷺ.

ومن فوائد الحديث: وجوب الكف عما نهى عنه النبي ﷺ، وأن المنهي عنه يشمل القليل والكثير.
وفيه: أن الإنسان إذا لم يقدر على فعل الواجب كله فليفعل ما استطاع.
وفيه: التحذير من الاختلاف على الأنبياء، وأن الأمم السابقة هلكوا بكثرة المساءلة، وهلكوا بكثرة الاختلاف على أنبيائهم.
هذا وصلوا....

الخطبة الأولى^(١)

١٠

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب، شديد العقاب، ذي الطول
لا إله إلا هو إليه المصير، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له،
وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه،
وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة
الوثقى، واعلموا أنكم بين يدي الله موقوفون، وبأعمالكم محاسبون،
فاتقوا الله وتقربوا إليه.

عباد الله:

من أعظم أنواع العبادة الدعاء، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي
أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ
جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] وقال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي
عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

(١) الحديث العاشر: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً».

وثبت في السنة أن النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة» [رواه الترمذي].

وفي الدعاء الذل والخضوع والانكسار بين يدي الله ﷻ وتفويض الأمر إليه في السراء والضراء، والمسلم لا يستغني عن دعاء ربه والذل إلى الله واطهار ضعفه وعجزه. وللدعاء أسباب تحصل بها الإجابة منها إطابة المطعم والمشرب.

وفي هذا الحديث:

روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبَّ! يَا رَبَّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابَ لَهُ؟».

أيها المسلمون:

هذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام وأصل من أصول الأحكام. وهو أصل فيما يُقبل ويرد من الأعمال، وفي إثارة الحلال على الحرام، فما أعم نفعه وأعظمه.

وفيه الحث على الأكل والشرب واللبس من الحلال والطيب،
والبعد عن الحرام الخبيث لأنه سبب في عدم استجابة الدعاء، الذي
هو من أعظم العبادات التي يتقرب بها إلى الله تبارك وتعالى.

قال أبو داود عن هذا الحديث: (وهو ربع العلم).

في الحديث قوله ﷺ: «**إن الله تعالى طيب**» كلمة طيب بمعنى
طاهر منزّه عن النقائص والعيوب كلها، لا يعتريه الخبث بأي حال
من الأحوال لأن ضد الطيب الخبيث.

وهو ﷻ طيب في ذاته وفي أسمائه وفي صفاته، وفي أحكامه وفي
أفعاله وفي كل ما يصدر منه جل وعلا وتقدس، فنزه تعالى نفسه عن
الصاحبة والولد، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا آتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾
[مريم: ٨٨].

ونزه نفسه عن الظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾
[النساء: ٤٠] كما نزه نفسه عن النوم، قال تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾
وَلَا نَوْمٌ ﴿[البقرة: ٢٥٥] إلى غير ذلك من الآيات التي ينزه تعالى
نفسه عما لا يليق بجلاله وعظمته.

فقول: «**إن الله طيب**» تنزيه الله ﷻ عن النقائص والعيوب كلها،
لأن معنى الطيب هو الطاهر المقدس المنزه من العيوب والنقائص
كلها، وقد قسم الله تعالى الكلام إلى طيب وخبيث، فقال: ﴿ضَرَبَ

اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴿ [إبراهيم: ٢٤] وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴿ [إبراهيم: ٢٦].

«لا يقبل» من الأعمال والأحوال «إلا طيباً» من الأقوال والأعمال وغيرها وكل رديء فهو مردود عند الله ﷻ، وقوله: (طيباً) هنا يشمل الطيب بعينه والطيب بكسبه.

والمراد: لا يثيب إلا على ما يعلمه طيباً خالصاً من المفسدات كلها كالرياء والعجب، أو حلالاً.

وجاء في الحديث: «من تصدق بعدل تمرة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله تعالى يأخذها بيمينه ويربها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل» [رواه البخاري] أي: لا يكون مقبولاً عنده إلا أن يكون طيباً، ولا يقبل من الصدقة إلا الحلال، ولا يصعد إليه إلا الكلم الطيب، ولا يدخل الجنة إلا الطيب.

قوله ﷺ: «وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين». فقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١].

والعمل الصالح يشترط فيه شرطان: الأول: أن يكون خالصاً لله ﷻ لا يراد به شيء من الدنيا ولا يقصد به الرياء. الثاني: أن يكون هذا العمل موافقاً للشريعة بحيث لا نبتدع عبادة لم يرد بها الشرع.

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] وقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ تشمل الذكور والإناث من المكلفين وليس خاصًا بالرجال، والمراد أن الرسل وأمهم مأمورون بالأكل من الطيبات التي هي الحلال والعمل الصالح، وفيه: إشارة إلى أن الرزق صادر من الله ﷻ.

قوله: «ثم ذكر الرجل يطيل السفر» أي في وجوه الطاعات والمباحات، ومع ذلك فلا يستجاب له، فكيف بمن هو منهمك في لذات الدنيا أو من الغافلين.

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: المظلوم والمسافر، ودعوة الوالد على ولده».

ومتى طال السفر، كان أقرب إلى إجابة الدعاء، لأنه مظنة حصول انكسار النفس بطول الغربة عن الأوطان، وتحمل المشاق. والإنكسار من أعظم أسباب إجابة الدعاء.

وذكر من صفات ذلك المسافر أنه «أشعث» أي جعد الرأس أغبر لطول سفره في الطاعات كحج وجهاد وصلة رحم. (أغبر) عليه أثر الغبار من شدة وطول السير.

«يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب»، أي يرفعهما بالدعاء لله مع مخالفته وعصيانه. ورفع اليدين من آداب الدعاء التي يُرجى بسببها إجابته.

وقوله: «**يارب يارب**» نداء بوصف الربوبية لأن ذلك وسيلة لإجابة الدعاء.

وقد ورد في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ﴾ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَا كُفْرَنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلْنَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ [آل عمران: ١٩٥-١٩٠].

ثم قال ﷺ: «ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام» إما حرام بذاته وإما حرام بكسبه.

«وغذي بالحرام»، قال النووي: «أي شبع به».

«فأنى يستجاب لذلك» معناه: كيف يستجاب له؟ فهو استفهام وقع على وجه التعجب والاستبعاد. أي: كيف يستجاب له وهو مُصر على ذلك.

عباد الله:

ضرب النبي ﷺ في هذا الحديث مثلاً عظيماً لرجل قد أتى بأسباب إجابة الدعاء ومنها:

أولاً: أنه يطيل السفر، والسفر بمجردده يقتضي إجابة الدعاء، قال ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن - وذكر منها -: دعوة المسافر» [رواه أبو داود].

وثانياً: أنه «أشعث أغبر» وهذا يدل على تذلل وافتقاره، بحصول التبدل في هيئته وملبسه، ومن كانت هذه حالة كان أدعى للإجابة، إذ إن فيه معنى الخصوع لله تعالى، والحاجة إليه.

وثالثاً: أنه أيضاً «يمد يديه إلى السماء» والله سبحانه وتعالى كريم لا يرد من سألته، روى الإمام أحمد وغيره أن النبي ﷺ قال: «إن الله حيي كريم، يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خاليتين».

ورابعاً: ما ورد من إلحاحه في الدعاء بقوله: «يا رب: يا رب» وهذا من أعظم أسباب الإجابة، ولذلك كان النبي ﷺ يكرر ما يدعوا، به ثلاثاً.

فهذه أربعة أسباب لإجابة الدعاء، وقد أتى بها كلها، ولكنه أتى بمانع واحد فهدم هذه الأسباب الأربعة كما قال ﷺ: «فأني **يستجاب له**» وهذا الاستفهام واقع على سبيل التعجب والاستبعاد لمن كانت هذه حاله.

ويؤخذ من هذا أن التوسع في الحرام والتغذي به من جملة موانع الإجابة، وكذلك ترك الواجبات كما ورد في الحديث أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يمنع استجابة دعاء الأخيار، وفعل الطاعات يكون موجباً لاستجابة الدعاء.

قال وهب بن منبه: «من سره أن يستجيب الله دعوته، فليطب طعمته». وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «يكفي مع البر من الدعاء، مثل ما يكفي الطعام من الملح».

قال بعض السلف: خمس خصال بها قام العمل: معرفة الله وَعَلَّامٌ، ومعرفة الحق، وإخلاص العمل لله، والعمل على السنة، وأكل الحلال؛ فإن فقدت واحدة لم يرتفع العمل. وقال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «أطب مطعمك تكون مستجاب الدعوة».

الصدقة بالمال الحرام على وجهين:

الأول: أن يتصدق الخائن والغاصب عن نفسه فهذا لا يقبل منه،

بل يأثم بتصرفه في مال غيره بغير إذنه ولا يحصل للمالك بذلك أجر لعدم نيته وقصده.

الثاني: أن يتصدق به من صاحبه إذا عجز من رده إليه أو إلى ورثته فهذا جائز عند أكثر العلماء، ويشمل اللقطة والمغصوب والأجر، ونحوها، فمتى ما جهل أربابها أو عجز عن تسليمها تصدق بها عنهم وبرئت ذمته بذلك إن شاء الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].
بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحق المبين، وأشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله:

الدعاء روضة القلب، وأنس الروح، فهو صلة بين العبد وربّه، يستجلب به الرحمة، ويدفع النقمة، ويستعدي به على من ظلمه، ومن عظيم شأنه وعلو مكانته، أن جعله الرسول ﷺ أصل العبادة ولبها. وإذا كان للدعاء هذه المكانة العظيمة، فإنه ينبغي على العبد أن يأتي بالأسباب التي تجعله عند الله مقبولا، وهذا ما أشار إليه هذا الحديث في قوله: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً**».

وفي الحديث بيان أن أكل الحرام من ربا وسرقة وغصب وغير ذلك من أسباب عدم قبول الدعاء.

عباد الله:

يشرع للعبد إذا دعا أن يكون على طهارة، وأن يستقبل القبلة، مع رفع اليدين، ومع الحمد لله والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ، والأخذ بالأدعية الجامعة الواردة عن النبي ﷺ، وأن يتحرى أوقات الإجابة.

ومن أسباب قبول الدعاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم الاستعجال في طلب الإجابة.

ومن مواطن إجابة الدعاء سجود الصلاة، والثلث الأخير من الليل، وأثناء السفر، وآخر ساعة من يوم الجمعة، وعشية عرفة، وليلة القدر، وأدبار الصلوات، وبين الأذان والإقامة وغيرها من الأوقات الفاضلة. ومن أسباب قبول الدعاء السفر فإنه مظنة الإجابة فإن المسافر ضعيف منقطع أشعث أغبر. ومن أسباب قبول الدعاء رفع اليدين والتوسل إلى الله بأسمائه الحسنی وصفاته العلاء، والإلحاح على الله فيه. فأكثرُوا من الدعاء لانفسكم ولوالديكم وذرياتكم والمسلمين.

وفي الحديث مشروعية رفع اليدين في الدعاء، وأن التوسع في الحرام والتغذي به من جملة موانع الإجابة، وفيه أن التبذل والعمل

الصالح وأكل الحلال من أسباب الإجابة، ومصدق ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

وفي الحديث: أن الأكل - وفي معناه الشرب - أهم وجوه الانتفاع، وبعده اللباس، وبعده المركب والمسكن، فالأكل والشرب أولاها بالحلال، ثم ما بعده، وما كان من المكاسب مشتبهاً، فينفق في المركب والمسكن.
هذا وصلوا وسلموا.

الخطبة الأولى^(١)

١١

الحمد لله بين الحلال والحرام، ودعا إلى سبيل النجاة والفوز بالجنان، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله وراقبوه، ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله:

في الحديث الذي رواه الترمذي والنسائي عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله ﷺ وريحانته رزق الله ﷺ، قال: **حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «دَعْ مَا يُرِيكَ إِلَى مَا لَا يُرِيكَ».**

راوي الحديث الحسن بن علي بن أبي طالب رزق الله ﷺ (سبط رسول الله ﷺ)، أي ابن ابنته فاطمة رزق الله ﷺ أجمعين. وقد وصفه النبي ﷺ

(١) الحديث الحادي عشر: «دع ما يريك إلى ما لا يريك».

بأنه سيد فقال: «إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين» [رواه البخاري] وكان الأمر كما ذكر ﷺ، فإنه بعد أن استشهد على بن أبي طالب ﷺ وبويع بالخلافة للحسن تنازل عنها لمعاوية ﷺ، فأصلح الله بهذا بين أصحاب معاوية وأصحاب على ﷺ.

وأما قوله: «وريحانته» فإن الريحانة هي تلك الزهرة الطيبة الرائحة، وقد وصف النبي ﷺ الحسن والحسين بأنهما ريحانتاه. أيها المسلمون:

كان رسولنا ﷺ دائم النصح لأئمة، يوجههم إلى مافيه خير لمعاشهم ومعادهم، فأمرهم بسلوك درب الصالحين، ووضح لهم معالم هذا الطريق، الوسائل التي تؤدي إليه، ومن جملة النصائح هذا الحديث العظيم.

عباد الله:

هذا الحديث قاعدة عظمية من قواعد الدين، وأصل في ترك جميع المشتبهات والمشكلات من الأعمال والأقوال، والمطاعم والمشارب وغير ذلك. ومعنى الحديث يرجع إلى الوقوف عند الشبهات واتقائها، فإن الحلال المحض لا يحصل للمؤمن في قلبه منه

ريب وقلق واضطراب، بل تسكن إليه النفس، ويطمئن به القلب. وأما المشتبهات فيحصل بها للقلوب القلق والاضطراب الموجب للشك. وفي هذا الحديث قول النبي ﷺ:

«دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» أي: واعدل واترك ما تشك فيه وفي كونه حسناً أو قبيحاً، أو حلالاً أو حراماً، وما يلحقك فيه ريب وشك وقلق، واعدل إلى ما لا تشك فيه وتسكن إليه نفسك ويطمئن به قلبك كقوله في الحديث الآخر: «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه» زاد الترمذي في هذا الحديث: «فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة».

قال الطيبي: «جاء هذا القول ممهداً لما تقدم من الكلام، ومعناه: إذا وجدت نفسك ترتاب في الشيء فاتركه، فإن نفس المؤمن تطمئن إلى الصدق وترتاب من الكذب، فارتباك من الشيء منبيء عن كونه مظنة للباطل، فاحذره، وطمأنيتك للشيء مشعر بحقيقته، فتمسك به».

وقال عمر رضي الله عنه: «دعوا الربا والريبة، يعني ما ارتبتم فيه وإن لم تحققوا أنه ربا».

وقال حسان بن أبي سنان: «ما شيء أهون من الورع إذا رابك شيء فدعه».

قال ابن رجب: «ومعنى هذا الحديث يرجع إلى الوقوف عند الشبهات واتقائها؛ فإن الحلال المحض لا يحصل للمؤمن في قلبه منه ريب، والريب بمعنى القلق والاضطراب، بل تسكن إليه النفس، ويطمئن به القلب، وأما المشتبهات فيحصل بها للقلوب القلق والاضطراب والموجب للشك».

وفي هذا توجيه عظيم بأن يدع الإنسان ويترك ما يريبه. أي؛ ما يتوهم منه، ولم يتحقق فيه. لأن الصدق طمأنينة القلب واستقراره وعدم اضطرابه، وسكون النفس إليه وثقة الناس به.

قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله تعالى -: (وهذا الحديث من جوامع الكلم، وما أجوده، وأنفعه للعبد إذا سار عليه، فالعبد يرد عليه شكوك في أشياء كثيرة، فنقول: دع الشك إلى ما لا شك فيه، حتى تستريح وتسلم، فكل شيء يلحقك به شك وقلق وريب: اتركه إلى أمر لا يلحقك به ريب، وهذا ما لم يصل إلى حد الوسواس، فإن وصل إلى حد الوسواس فلا تلتف له).

وكان المسور بن مخرمة قد احتكر طعامًا كثيرًا فرأى سحابًا في الخريف فكرهه. فقال: ألا أراني كرهت ما ينفع المسلمين فألى أن لا يربح فيه شيئًا، فأخبر بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فقال له عمر: جزاك الله خيرًا.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه غلام يخرج له الخراج، وكان أبوبكر يأكل من خراجه، فجاء يومًا بشيء فأكل منه أبوبكر، فقال له الغلام: تدري ما هذا؟ فقال أبوبكر: وما هو؟ فقال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أحسن الكهانة، إلا أنني خدعته، فلقيني فاعطاني لذلك هذا الذي أكلت منه، فأدخل أبوبكر يده، فقاء كل شيء في بطنه [رواه البخاري].

ثم قال صلى الله عليه وسلم: «فإن الصدق طمأنينة» أي؛ يطمئن إليه القلب ويسكن ويرتاح.

«وأن الكذب ريبة» أي؛ يقلق القلب ويضطرب.

عباد الله:

من علامات الساعة ظهور المحرمات كالزنا والربا وتسميتها باسماء غير اسمائها للتلبيس على الناس وإضلالهم عن الطريق القويم. وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال، أمن حلال أم من حرام» [رواه البخاري].

وكان أهل الإيمان والتقوى يتعدون ويتحرزون عن الشبهات والحرام، لعلمهم حرمة الأمر وعظم جزاءه في الدنيا والآخرة، ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال لكعب: «يا كعب بن عجرة: إنه لا يربوا لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به» [رواه أحمد] وفي لفظ «يا كعب بن عجرة لا يدخل الجنة من نبت لحمه من سحت، النار أولى به» [رواه أحمد] وفي الصحيحين يقول عليه الصلاة والسلام: «لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب، إلا أخذها الله بيمينه فُربها كما يُربي أحد فلوله، حتى تكون مثل الجبل أو أعظم».

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء:

يارب يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فإنى يستجاب لذلك» أي كيف يستجاب لذلك.

أيها المسلمون:

أكل الحلال ينور القلب ويصلحه فتزكو بذلك الجوارح، وتدرأ المفساد، وتكثر المصالح، وأكل الحرام والشتبه يصدي القلب ويظلمه، ويقسه: وهو من موانع قبول الدعاء. فالطيب عنوان سعادة العبد، والخبيث عنوان شقاوته. وحيث أن المشتبهات تورث قلقاً في النفس فإن في تركها والبعد عنها سبب لطمأنينة النفس وراحتها.

فاتقوا الله عباد الله وابتعدوا عن الشبهات، واسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣].

الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم المتفضل بالعطايا والإحسان، عمت نعمته كل حي،
ووسعت رحمته كل شيء، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
يعطي ويمنع ويرفع ويخفض، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله،
صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - فإن التقوى فوز وصلاح، ونجاة وفلاح.

عباد الله:

العيش في الأرض لا بد لها من قوام من مال، ولكي تعمّر الأرض
على مراد الله كان ولا بد للمسلم أن يعمرها بالحلال، والطيب من
الرزق. ولما كان الرزق متداولاً بين الناس أخذاً وعطاءً كان
الحساب عليه يوم القيامة، كما قال ﷺ: «لا تزول قدم ابن آدم يوم
القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن
شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل
فيما علم» [رواه الترمذي].

ولن يأخذ المرء إلا ما كتب الله قال ﷺ: «إن روح القدس نفث في روعي، أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته» [صحيح الجامع].

والغنى عباد الله هو القناعة بما رزق الله ﷻ، وبذل الأسباب المباحة والمشروعة في البحث عن الرزق وتوقي الحرام والبعد عن الشبه، وإن لم تشبع النفس بما قسم الله لها فلن يكفيها ملء الأرض ذهباً. فانه كما ورد في الحديث: «الرزق أشد طلباً للعبد من أجله».

وقد نصح سعد بن أبي وقاص لابنه إذ يقول له: «يا بني؛ إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة، فإنها مال لا ينفد، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر، وعليك باليأس، فإنك لم تيأس من شيء قط إلا أغناك الله عنه ومما يعين على الرزق الحلال كثرة الاستغفار والتوبة، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۖ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۖ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

ومنها التوكل على الله ﷻ مع بذل الأسباب المباحة قال ﷺ:
«لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو
خماصًا وتروح بطانًا» [رواه أحمد].

من أسباب الرزق، المتابعة بين الحج والعمرة، قال ﷺ: «تابعوا
بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير
خبث الحديد» وكذلك صلة الرحم، قال ﷺ: «من أحب أن ييسط له
في رزقه، ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه» [رواه البخاري].

وكذلك الإنفاق في سبيل الله قال سبحانه: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ
شَيْءٍ فَهُوَ مُخْفٍ عَلَيْكُمْ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩] إلى غير ذلك
من الأسباب مع البعد عن الحرام من رشوة وغش وغيرها.

وفي هذا الحديث: الأمر بترك المشتبهات، ويشهد له حديث:
«فمن اتقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه» [رواه البخاري ومسلم].
وفيه: تربية الصغار على الآداب الشرعية، لينشؤوا على
الأخلاق الكريمة.

هذا وصلوا وسلموا...

الخطبة الأولى^(١)

١٢

الحمد لله مسدي النعم ومبعد النقم، جزيل العطايا، وغافر الخطايا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، وأحسنوا العمل، واتقوا ربكم، فإن السعادة في طاعته والنجاة في عبادته.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ١٢٣].

عباد الله: جاء في الحديث الذي رواه أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي

صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

(١) الحديث الثاني عشر: «من حسن إسلام المرء».

هذا الحديث أصل عظيم من أصول الآداب الإسلامية والأخلاق، وتأديب النفس وتهذيبها، وصيانتها عن الرذائل والنقائص وترك ما لا جدوى فيه ولا نفع.

قال ابن رجب: (هذا الحديث أصل من أصول الأدب) ويعم الأقوال ويعم الأفعال.

وهو من جوامع كلم الرسول ﷺ، ولوامع حكمه. من الكلام الجامع للمعاني الكثيرة الجليلة في الألفاظ القليلة. فقد أرشد النبي ﷺ في هذا الحديث إلى الطريق الذي يبلغ به العبد كمال دينه وحسن إسلامه، وصلاح عمله، فبين أن مما يزيد إسلام المرء حسناً، أن يدع ما لا يعنيه ولا يفيد في أمر دنياه وآخرته.

وقد حكى الإمام أبو عمرو بن الصلاح عن أبي محمد بن أبي زيد إمام المالكية في زمانه أنه قال: «جماع آداب الخير وأزمته تتفرع من أربعة أحاديث: قول النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت». وقوله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما

لا يعنيه». وقوله ﷺ الذي اختصر له في الوصية: «لا تغضب».

قال ﷺ: «من حسن إسلام المرء» أي؛ من كمال إسلامه، واستقامته وانقياده لشرع الله الذي شرع لعباده وتعبدهم به بامثال أوامره، واجتناب نواهيه، والوقوف عند حدوده وآدابه.

«تركه ما لا يعنيه» أي؛ لا يهتمه ولا تتعلق به عنايته.

قال ابن رجب: (تركه ما لا يعنيه من قول وفعل، واقتصاره على ما يعينه من الأقوال والأفعال، ومعنى يعنيه أنه يتعلق بعنايته به، ويكون من مقصده ومطلوبه، والعناية شدة الاهتمام بالشيء).
وقال القاري: (أي؛ ما لا يهتمه ولا يليق به قولاً وفعلًا ونظرًا وفكرًا).

عباد الله:

من محاسن الإسلام أن جعل منهجًا للمسلم يسير عليه في حياته العامة والخاصة. ولذلك ورد في هذا الحديث أن من حسن الإسلام ترك السؤال عما لا سبيل إلى معرفته، كحقائق الغيب، وتفصيل الحكم في الخلق والأمر، وكذا السؤال والبحث عن مسائل مقدرة ومفترضة لم تقع، أو يندر أن تقع، أو لا تكاد تقع، أو لا يتصور وقوعها.
وفي الحديث من الفوائد أن الإسلام على مراتب، وأنه قد يحسن إسلام المرء وقد لا يحسن مع دخول الجميع في مسمى الإسلام.
ويراد بالحديث أيضًا حفظ اللسان من لغو الكلام، فإن لغو الكلام مما لا يعني الإنسان وحسن الإسلام يترتب عليه ثمرات عظيمة، جاء في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال: «إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، وكل سيئة تكتب بمثلها حتى يلقي الله وَجَلَّ [رواه البخاري ومسلم].»

وقد جاءت نصوص تدل على أن من حسن إسلامه وتاب إلى الله فإن الله يبدل سيئاته حسنات، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضْعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨: ٧٠].

قيل للقمان: ما بلغ بك ما نرى؟ قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك مال لا يعنيني.

قال النووي: (واعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه، لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام ومكروه وذلك كثير في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء).

وقوله وَعَلَى اللَّهِ: «المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

قال الغزالي: (حدُّ ما لا يعينك في الكلام: أن تتكلم بما لو سكت عنه لم تأثم، ولم تتضرر حالاً ولا مآلاً).

وعلى المسلم أن يشتغل بما فيه صلاحه معاشاً ومعاداً، ويعرض عمّا عدا ذلك بما لا يحتاجه ولا يتتفع به، ولا يؤذي المسلمين بكثرة السؤال عن أمورهم الخاصة ولا يتطفل عليهم فإن ذلك من كمال الاستقامة. ولا يدخل في هذا الباب أمر المرء بالمعروف ونهيه عن المنكر، وتطوعه للخير فإن هذا وما إليها من معالي الأمور، وقواعد الإصلاح، ومهمات الدين، كيف لا، وقد نفى الله الخير عن كثير من نجوى الناس وكلامهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس.

قال عطاء بن رباح: (إن من كان قبلكم كانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله، أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر، أو أن تنطق في معيشتك التي لا بد منها، أتنكرون أن عليكم حافظين، كراماً كاتبين، عن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، أما يستحي أحدكم لو نشرت صحيفته التي أملى صدر نهاره، وليس فيها شيء من أمر آخرته؟!).

وقال الفضيل: (وما حجُّ ولا رباطٌ أشد من حبس اللسان، ولو أصبحت يُهمك لسانك، أصبحت في هم شديد).

عباد الله:

إن اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعته الغريبة، فإنه صغير جرمه، عظيم طاعته وجُرمه، إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان.

فهذا المخلوق الصغير يُعبر الإنسان عن بُغيته ويفصح عن مشاعره، به يطلب حاجته، ويدافع عن نفسه، ويعبر عن مكنون فؤاده، يحدث جلسيه ويأنس رفيقه. به السقطة والدنوّ، وبه تظهر الهمة والعلو.

ولكي يسلم المتحدث من الزلل في حديثه والنقص في مقاله فإن عليه شروطاً أربعة:

الأول: أن يكون الكلام لداع يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع، أو دفع ضرر.

الثاني: أن يأتي به في موضعه، ويتوخى به إصابة فرصته.

الثالث: أن يقتصر منه على قدر حاجته.

الرابع: أن يتخير اللفظ الذي يتكلم به.

إذا توافرت هذه الشروط فعليك بالحديث، وإلا فإن الصمت يجمع للرجل خصلتين: السلامة في دينه، والفهم عن صاحبه.

قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى -: «من عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه».

ودخلوا على بعض الصحابة في مرضه ووجهه يتهلل، فسألوه عن سبب تهلل وجهه؟ فقال: «ما من عمل أوثق عندي من خصلتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وكان قلبي سليماً للمسلمين». وقال سهل بن عبد الله التستري: (من تكلم فيما لا يعنيه حرم الصدق).

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «أول من يدخل عليكم رجل من أهل الجنة، فدخل عبد الله بن سلام، فقام إليه ناس فأخبروه وقالوا له: أخبرنا بأوثق عملك في نفسك؟ قال: إن عملي لضعيف، وأوثق ما أرجوه سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني».

و ابن حبان عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «كان في صحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام: وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن تكون له ساعات: ساعة ينجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب. وعلى العاقل أن لا يكون ساعياً إلا لثلاث: تزود لمعاد، أو حرفة لمعاش، أو لذة في غير محرم. وعلى

العاقل أن يكون بصيرًا بزمانة، مقبلًا على شأنه، حافظًا للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه».

وروي عن الحسن قال: (من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾
[القصص: ٧٧].

بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعد:

فاتقوا الله ﷻ وراقبوه، فإن السعيد من ثقلت موازينه، وأدخل جنات عدن تجري من تحتها الأنهار.

عباد الله:

أرشدنا النبي ﷺ في هذا الحديث إلى الطريق الذي يبلغ به العبد كمال دينه وحسن إسلامه، وصلاح عمله، فبين أن مما يزيد إسلام المرء حسناً، أن يدع ما لا يعينه، ولا يفيده في أمر دنياه وآخرته.

وفي قوله ﷺ: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**» توجيهه للأمة بالاشتغال بما ينفعها، ويقربها من ربها؛ كما جاء في الحديث عند مسلم أن النبي ﷺ قال: «احرص على ما ينفعك» فأرشد ﷺ إلى اغتنام الأوقات بالخيرات، فإن الدنيا مزرعة للآخرة، وعمر

الدنيا قصير، فهو كظل شجرة، يوشك أن يذهب سريعاً، فالإنسان العاقل هو الذي جعل الآخرة همه، والجنة مطلبه، يغتني أوقاته كلها ويصرف نفسه عما لا يعينها.

ولا شك أن من تتبع ما لا يعينه ضر نفسه وضر إخوانه المسلمين بتتبع أحوالهم والحديث فيهم وعنهم.

أيها المسلمون:

من فوائد في الحديث: الحث على الاستفادة من الأوقات وعدم إضاعتها فيما لا فائدة فيه، وكذلك الحث على البعد عن سفاسف الأمور والاشتغال بمعالي الأمور، وفيه التوجيه بمجاهدة النفس وتهذيبها، وذلك بإبعادها عما يشينها من النقائص والردائل.

وفي الحديث: أن من حسن إسلام المرء الاهتمام بما يعينه من أمر دينه ودنياه.

اللهم احفظ أوقاتنا، وأمر ساعاتنا بطاعتك وروضاتك.

وفيه: أن الإسلام جمع المحاسن والفضائل.

هذا صلوا وسلموا.

الخطبة الأولى^(١)

١٣

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، جمع القلوب بعد فرقة وألف بينها بعد شقاق، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى والبيّنات العظام، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الأتقياء الأنقياء، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد.

أما بعد:

فالوصية المبدولة للجميع التقوى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].
عباد الله:

في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» [رواه البخاري ومسلم].
راوى هذا الحديث هو أنس بن مالك بن النضر الأنصاري، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه، وقرابته من جهة الخؤولة، إذ بنو

(١) الحديث الثالث عشر: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

النجار هم أخوال عبد المطلب جد النبي ﷺ، خدم رسول الله ﷺ عشر سنين، يقول أنس: «فما قال لي -أي النبي ﷺ- أف قط، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء تركته: لم تركته؟» غزا مع رسول الله ﷺ ثمان غزوات وأقام بالمدينة وشهد الفتوح، ثم انتقل إلى البصرة في خلافة عمر رضي الله عنه ومات بها سنة ثلاث وتسعين، وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة.

وفي الحديث الذي أورده أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أصل عظيم وميزان شرعي في محبة المسلمين، والنصح لهم وإرشادهم، ومعاملتهم كمعاملة النفس، ولو عمل به الناس لقضى على كثير من المنكرات والخصومات بينهم.

فإن من متطلبات الإيمان ولوازمه أن يحب المسلم لأخيه (أي أخوة الإسلام والإيمان) ما يحب لنفسه، وأن هذا واجب وهو ما كان من أمور الدين أو من الأمور التي يرغب فيها الشارع وأمر بها أمر إيجاب أو أمر استحباب. وكذلك ما نهى عنه الشارع فيحب لأخيه أن ينتهي عن المحرمات، ويحب لأخيه أن يأتي بالواجبات، وقد يكون مؤمناً، ولكن لا يؤمن من الإيمان الذي يجعله يرقى في درجات القرب.

ومن تحلى بهذه الخصلة العظيمة كان مستحقاً لدخول الجنة فقد رتب النبي ﷺ دخول الجنة على هذه الخصلة العظيمة. قال ﷺ: «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه» [رواه مسلم].

في مسند الإمام أحمد عن يزيد القسري قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أتحب الجنة؟». قلت: نعم.

قال «فأحب لأخيك ما تحب لنفسك» [رواه أحمد]. وذلك أنه لما كان المسلم محسناً لإخوانه في الدنيا، مشفقاً عليهم، حريصاً على نفعهم، جازاه الله بالإحسان في الآخرة وأدخله دار كرامته. وإنما يقدر على هذه الخصلة ويقوى عليها من رزق سلامة الصدر، وكان قلبه خالياً من الغل والغش والحسد.

في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي حمزة أنس بن مالك تخادم رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

أي؛ لا يكون مؤمناً حقاً تام الإيمان، إلا بهذا الشرط، أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير، وما يحب لنفسه من الطاعات والمباحات، ومن ترك الشر والمنكرات، وإذا كان كذلك فإنه لا يمكن أن يغشهم أو يخونهم، أو يكذب عليهم.

وفي قوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم**» أي: لا يكمل إيمانه. وفي رواية عند الإمام أحمد: «لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير»، وهذا يدخل في النصيحة.

«**حتى يحب لأخيه**» المسلم من الخير «**ما يحب لنفسه**» من خير ودفع شر ودفاع عن العرض وغير ذلك. فيكون معه كالنفس الواحدة فيسره ما يسر أخاه المؤمن، ويريد لأخيه المؤمن ما يريد له نفسه من الخير، وهذا كله إنما يأتي من كمال سلامة الصدر من الغل والغش والحسد.

وينبغي للمؤمن أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، فإن رأى في أخيه المسلم نقصاً في دينه اجتهد في إصلاحه. وأن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه.

قال ابن رجب: (وهذا كله إنما يأتي من كمال سلامة الصدر من الغش والغل والحسد، وقد قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾

نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۖ وَالْعَاقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ [القصص: ٨٣].

قال بعض العلماء في هذا الحديث من الفقه: إن المؤمن من
المؤمن كالنفس الواحدة، فينبغي أن يحب له ما يحب لنفسه من
حيث إنهما نفس واحدة، كما جاء في الحديث الآخر: «المؤمنون
كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى
والسهر» [رواه مسلم].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إني لأمر على الآية من كتاب الله، فأود أن
الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم).
وقال الشافعي رحمته الله: (وددت أن الناس تعلموا هذا العلم، ولم
ينسب إليّ منه شيء).

قال ابن الصلاح: (وهذا قد يُعدُّ من الصعب الممتنع، وليس
كذلك. إذ معناه لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه في الإسلام
ما يحب لنفسه، والقيام بذلك يحصل بأن يحب له حصول مثل ذلك
من جهة لا يزاحمه فيها، بحيث لا ينقص النعمة على أخيه شيئاً من
النعمة عليه، وذلك يسهل على القلب السليم، وإنما يعسر على
القلب الدغل، عافانا الله من ذلك).

وقال ابن رجب: (وينبغي للمؤمن أن يحزن لفوات الفضائل الدينية، ولهذا أمر أن ينظر في الدين إلى من فوقه، وأن يتنافس في طلب ذلك جهده وطاقته، كما قال تعالى: ﴿خَتَمُوهُ مِسْكًا وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦] ولا يكره أن أحداً يشاركه في ذلك، بل يحب للناس كلهم المنافسة فيه، ويحثهم على ذلك، وهذا من تمام أداء النصيحة للإخوان، فإذا فاقه أحد في فضيلة دينية اجتهد على لحاقه، وحزن على تقصير نفسه وتخلفه عن لحاق السابقين، لا حسداً لهم على ما آتاهم الله، بل منافسة غبطة وحزناً على النفس، لتقصيرها وتخلفها عن درجات السابقين، وينبغي للمؤمن أن لا يزال يرى نفسه مقصراً عن الدرجات العالية، مستفيداً بذلك أمرين نفيسين: - الاجتهاد في طلب الفضائل والازدياد منها، والنظر إلى نفسه بعين النقص، وينشأ من هذا أن يحب للمؤمنين أن يكونوا خيراً منه، لأنه لا يرضى لهم أن يكونوا على مثل حاله، كما أنه لا يرضى لنفسه بما هي عليه، بل هو يجتهد في إصلاحها).

وفي الحديث عن أبي ذر؛ قال لي رسول الله ﷺ: «يا أباذر، إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين، ولا تولين مال يتيم».

وإنما نهاه عن ذلك لما رأى من ضعفه، وهو صلى الله عليه وسلم يحب هذا لكل ضعيف.

قال أنس رضي الله عنه: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم «المرء مع من أحب» فقال رضي الله عنه: «أنت مع من أحببت» قال أنس: (فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل عملهم).

ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم تعنى اتباع سنته والسير على نهجه وطريقته وعدم مخالفة أمره. فإن أبا بكر كان يحب النبي صلى الله عليه وسلم وينصره، وكان أبو طالب كذلك، لكن أبا بكر رضي الله عنه أحب النبي صلى الله عليه وسلم واتبع طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وآمن به واستن بسنته، وقام بما أمر الله به وترك ما نهى عنه. فكان من اتباعه ومقدمهم ورأسهم. بخلاف أبي طالب الذي كفر برسالته ولم يؤمن بها وإن كان يحبه الرسول صلى الله عليه وسلم حباً طبعياً.

حرص الإسلام على تنظيم علاقة الناس بربههم تبارك وتعالى، حتى ينالوا السعادة في الدنيا والآخرة، وكذلك شرع لهم ما ينظم علاقتهم بعضهم ببعض، حتى تسود الألفة والمحبة في المجتمع المسلم ولا يتأتى ذلك إلا إذا حرص كل فرد من أفرادها على مصلحة غيره حرصه على مصلحته الشخصية، وبذلك يكون المجتمع المسلم مجتمعاً مترابطاً متحاباً متناصباً.

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في حب الخير للغير، فهو عليه الصلاة والسلام لم يكن يدخر جهداً في نصح الآخرين وإرشادهم ودلالتهم على ما ينفعهم في الدنيا والآخرة.

روى مسلم أن النبي ﷺ قال ناصحاً ومحباً لأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا أباذر إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين، ولا تولين مال يتيم».

ومن محبة السلف لبعضهم البعض ما قاله ابن عباس: «إني لأمر على الآية من كتاب الله، فأود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم». ومن مقتضيات هذا الحديث: أن يبغض المسلم لأخيه ما يبغضه لنفسه، وهذا يقوده إلى ترك جملة من الأخلاق الذميمة كالحسد، والحقد والبغض للآخرين والأنانية والجشع وغيرها من الصفات التي يكره أن يعامله الناس بها.

عباد الله:

حق الاخوة الإيمانية عام للمؤمنين والمؤمنات، كما قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] ومن كمال الإيمان حب المسلم الخير لأخيه المسلم: ﴿إِنَّمَا

الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴿ [الحجرات: ١٠] وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ
وَالْتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾
[الحجرات: ١٠].

بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق الجنة وجعل مفتاحها لا إله إلا الله، أحمدته - سبحانه - وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة مخلص فيها، موقن بها، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، جدد ما ندرس من معالمها، ومع ذلك قال له ربه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، فصعد بها ونادى، ووالى عليها وعادى، وقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها».

دعا إلى هذا الكلمة عشر سنين ولم يدع قبلها لا إلى زكاة ولا صيام، ولا حج ولا عمرة إلى بيت الله الحرام، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه؛ الذين جاهدوا من امتنع من قولها، أو صد عنها، أو نقضها.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - حق التقوى، وأخلصوا العبادة لربكم تسعدوا وتنجوا.

أيها المسلمون:

وفي الحديث تحريم ما ينافي هذه المحبة من الأقوال والأفعال؛ كالغش، والغيبة، والحسد، والعدوان على نفس المسلم أو ماله أو عرضه. وفي النصيحة محبة الخير للمسلم، وكراهة الشر له، كما يحب المرء لنفسه ويكرهه لنفسه.

ورد عند الترمذي: «أحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً» وفي مسند الإمام أحمد «أفضل الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله وتعمل لسانك في ذكر الله» قال: وماذا يا رسول الله؟ قال: «أن تحب للناس كما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك، وأن تقول خيراً أو تصمت».

وفي الحديث: أن أوثق عرى الإسلام الحب في الله، والبغض في الله. وفي الحديث: محبة المسلمين، وتعظيم حرمتهم ونفعهم. في هذا الحديث أصل عظيم في محبة المسلمين والنصح لهم، ومكانه النصح ومنزلتها، وأنه من الإيمان. أي: الإيمان الكامل، أن يحب لنفسه ما يحبه لأخيه، ومن ذلك بذل النصح لهم.

عباد الله:

قال تعالى عن نبينا محمد ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

فهو ﷺ خير من علم وأعان، وساعد ورحم إخوانه الصحابة رضي الله عنهم ومن أوجه محبة المسلم لأخيه تقديم العون والمساعدة له، قال ﷺ: «خيركم أنفعكم للناس» فمن استطاع أن ينفع أخاه فلينفقه إما بتعليم العلم له، أو مساعدته في حاجته المادية، أو الشفاعة له، أو غيرها من أوجه البر والإحسان لأخيه المسلم. مع دفع وصد الأذى عنه في نفسه وماله وعرضه وما يحب. هذا وصلوا..

الخطبة الأولى^(١)

١٤

الحمد لله حمد الشاكرين، وأشهد أن لا إله إلا الله رب العالمين،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين، صلى الله وسلم عليه،
وعلى آله وصحبه أجمعين. ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله حق التقوى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ
إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾
[البقرة: ٢٨١]، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا
يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾
[البقرة: ٤٨].

عباد الله:

ابتعث الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ بالدين الخاتم، الذي
يخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور
الأديان إلى عدل الإسلام، فإذا دخل الإنسان حياض هذا الدين،

(١) الحديث الرابع عشر: «لا يحل دم امريء مسلم إلا بإحدى ثلاث».

والتزم بأحكامه، صار فردًا من أفراد المجتمع الإسلامي يتمتع بكافة الحقوق المكفولة له، ومن جملة هذه الحقوق عصمة دمه وماله وعرضه. فإن الدماء المعصومة أمرها في الإسلام عظيم لأنها أساس الحياة ومادته، ولا يزال المؤمن في فسحة وسعة من دينه ما لم يصيب دمًا حرامًا. وقتل النفس المعصومة من أكبر الكبائر. والمسلم معصوم الدم والمال، لا تُرفع عنه هذه العصمة «إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفسًا بغير نفس» [رواه أبو داود].

وما عدا ذلك فحرمة المسلم أعظم عند الله من حرمة الكعبة بل من الدنيا أجمع، قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا» [رواه النسائي].

وفي الحديث: «... وأول ما يقضى بين الناس الدماء» [رواه البخاري]. والدماء المحرمة أربعة أصناف: دم المسلم، ودم الذمي، ودم المعاهد، ودم المستأمن، وأشدها وأعظمها دم المؤمن، أما الكافر الحربي فهذا دمه غير حرام، فإذا أصاب الإنسان دمًا حرامًا فإنه يضيق عليه دينه. أي؛ أن صدره يضيق به حتى يخرج منه والعياذ بالله ويموت كافرًا.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

قال العلماء: (ولم يرد في أنواع الكبائر أعظم من هذا الوعيد، بل ولا مثله).

فهذه خمس عقوبات: جهنم خالداً فيها، وغضب الله عليه، ولعنه، وأعد له عذاباً عظيماً؛ هذا لمن قتل مؤمناً متعمداً.

وسفك دم المسلم من الأمور المحرمة لقوله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم» أي لا يجوز قتله، مما يدل على وجوب التحرز في هذه المسألة العظيمة، والحكم شامل للرجال والنساء وقد تواترت النصوص في التحذير من تحريم الاعتداء على الآخرين، ومن ذلك الاعتداء عليهم في دمائهم، وقد قال جل وعلا: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]. ولا يجوز قتل مسلم بشبهة أو اختلاف رأي.

قال القرطبي: «ودماء المسلمين محظورة لا تستباح إلا بيقين، ولا يقين مع الاختلاف».

وجاء في الحديث عنه عليه السلام أنه قال: «لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا» [رواه البخاري].

ومعنى «في فسحة من دينه» أي؛ سعة ورجاء رحمة من الله - تعالى -، إذا لم يصدر منه قتل النفس بغير حق حتى يسهل عليه أمور دينه ويوفق للعمل الصالح.

وهو قول عبد الله بن عمر: (إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن اوقع نفسه فيها؛ سفك الدم الحرام بغير حله).
وقيل: أي؛ يرجى له رحمة الله ولطفه، ولو باشر الكبائر سوى القتل؛ فإذا قتل نفسًا بغير حق ضاقت عليه المسالك، ودخل في زمرة الآيسين من رحمة الله.

قال ابن العربي: «الفسحة في الدين الأعمال الصالحة، حتى إذا جاء القتل ضاقت لأنها لا تفي بوزره، والفسحة في الذنب، قبوله الغفران بالتوبة حتى إذا جاء القتل ارتفع القبول».

«ما لم يصب» أي، يقتل.

«دمًا حرامًا» دم مسلم بغير حق.

والدماء المعصومة في الإسلام لها شأن عند الله عظيم، فلا يجوز سفكها بغير حق، أو التهاون في أمرها، وإذا كان النهي الشرعي قد زجر عن قتل البهيمة بغير حق، ورتب على ذلك وعيد فكيف بقتل

الآدمي؟ ثم كيف يقتل المسلم.

جاء في فتح الباري أن ابن عمر رضي الله عنهما قال لمن قتل عمداً بغير حق: (تزود من الماء البارد، فإنك لن تدخل الجنة).

وكما يحرم الاعتداء على المسلم، فإنه يحرم كذلك الاعتداء على المعاهد لقوله ﷺ: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة» [رواه البخاري ومسلم].

وكما أن الله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَام حرم الاعتداء على الدماء، فقد وردت النصوص بتحريم الاعتداء على الآخرين بأي نوع من أنواع الاعتداء، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧] وجاءت النصوص بتحريم الظلم كما قال ﷺ: في خطبة عرفة: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام» [رواه البخاري ومسلم].

روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِأَحَدٍ ثَلَاثٍ: الثِّبُّ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ».

قال ابن حجر في منزلة الحديث: «وهو من القواعد الخطيرة لتعلقه بأخطر الأشياء وهو الدماء، وبيان ما يحل منها وما لا يحل، وأن الأصل فيها العصمة، وهو كذلك عقلاً، لأنه مجبول على محبة بقاء الصور الإنسانية المخلوقة في أحسن تقويم».

وفي رواية: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث» الحديث.

وعن عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث» يعني بواحدة من الثلاث: «رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً بغير نفس» [رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه].

وقوله: «الثيب الزاني» هو المحصن، وهو من تزوج ووطئ في نكاح صحيح وزنا بعد ذلك.

عباد الله: وقد ورد في الحديث تحريم الزنا، وأن من وقع فيه فإنه يستحق العقوبة.

والزاني: من وطئ فرجاً محرماً عالمًا بالتحريم وإن لم يعلم بالعقوبة. وقد حذر الله تعالى من الوقوع في هذه الفاحشة فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا أَلْفَوْاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ أَلْفَوْاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣] وقال تعالى: ﴿وَالَّتِي يَأْتِينَ أَلْفَحِشَةً مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ﴾ [النساء: ١٥].

قال الإمام أحمد: (لا أعلم بعد قتل النفس ذنباً أعظم من الزنا).
وقد حرم الله ﷻ الزنا لشناعه فعلته وقبيح مورده، ونهى ﷻ عن
القرب من دواعيه وأسبابه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ
كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

والزنا من أكبر الكبائر بعد الشرك والقتل، وهو رجس وفاحشة
مهلكة، وجريمة موبقة، ويدخل فيه الذكر والأنثى بشروطه
المذكورة في أبواب الفقه، وعقوبته الرجم بالحجارة حتى الموت
لأنه مشروع في حقه، وقد رجم رسول ﷺ ماعزاً والغامدية، وكذا
اليهوديين، وعقوبة الزناة على نوعين:

النوع الأول: من لم يسبق له زواج وطىء فيه، فهذا عقوبته الجلد
مائة جلدة لقوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ
مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢] وجمهور أهل العلم على أن الزاني غير
المحصن يزداد عليه عقوبة التغريب من بلده إلى بلد آخر لينتقل من
البيئة التي ارتكب فيها المحرم إلى مكان آخر لعله يكون سبباً في
توبته وفي تركه لهذا المحرم، ويستدلون بحديث النبي ﷺ: «خذوا
عني خذوا عني؛ البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام» [رواه مسلم].
وقد ثبت أنه ﷺ غرب، وغرب أصحابه في الزنا.

النوع الثاني: من الزناة: من كان ثيبًا، أي من سبق له الزواج بعقد صحيح ووطىء صحيح، والأمة متفقة على أن من زنا ثيب؛ أنه يجب رجمه حتى يموت لأن النبي ﷺ قد رجم عددًا من الزناة، كما رجم ما عزا والغامدية وغيرهم.

والزنا لا يصح أن يثبت على شخص إلا بدليل: إما من شهود أربعة يشهدون بأنهم رأوا فرج الرجل داخلًا في فرج المرأة، أو بإقرار الزاني واعترافه.

وقال جمهور العلماء: تصح توبة الإنسان من قتل المسلم، لقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَتَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

وفي الحديث: التحذير من سفك الدماء والتعدي عليها.

ثم ذكر في الحديث «والنفس بالنفس» أي تقتل النفس في مقابلة النفس: أي قصاصًا بشرطه. موافق لقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا

أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴿[المائدة: ٤٥]﴾. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٨] وقال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥] وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتُوايَ الْأَلْبَبُ﴾ [البقرة: ١٧٩].

عباد الله:

المراد أن المكلف إذا قتل نفساً بغير حق عمداً فإن أولياء الدم لهم الحق في طلب قتله من الحاكم، ويجوز لأولياء الدم أن يعفوا ويتصدقوا على القاتل، أو يطالبوا بالدية أو أن يصطلحوا مع القاتل. قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٧٨].

أما القتل إذا كان خطأ فإنه لا يجب فيه القصاص، وإنما الواجب فيه الدية لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ [النساء: ٩٢].

قوله ﷺ: «**والتارك لدينه المفارق للجماعة**» أي أن هذا من الأسباب الموجبة للقتل.

قال ابن رجب: (معناه الارتداد عن دين الإسلام ولو أتى بالشهادتين، فلو سب الله تعالى أو رسوله ﷺ وهو مقرّ بالشهادتين أبيح دمه؛ لأنه قد ترك بذلك دينه، كذلك لو استهان بالمصحف وألقاه في القاذورات، أو جحد ما يعلم من الدين بالضرورة، كالصلاة وما أشبه ذلك).

ثم قال ﷺ: في الذنب الثالث الذي في الحديث مما يحل به دم المرء المسلم: ترك الدين والمراد بذلك الردة. قال ﷺ: «من بدل دينه فقتلوه» [رواه البخاري].

ويؤخذ من الحديث أن الإنسان قد يقر بالشهادتين وقد يكون مؤدياً للصلاة لكنه يفارق دينه بسبب من الأسباب كما لو سب الله أو رسوله أو كفر بشيء من القرآن أو نحو ذلك.

وفي الحديث: تحريم مفارقة الجماعة، ومفارقة الجماعة يشمل محاربة أهل الإسلام وسفك دمائهم فمن فعل ذلك فإن تجاوز مقاتلته. وللمحاربة أحكام مذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ

يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ
يُنْفَوْا مِّنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿المائدة ٣٣﴾.

بارك الله لي ولكم....

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وإمتهانه، وأشهد ألا
إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن نبينا محمدًا
عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعلى آله
وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
عباد الله:

لا يحل دم غير المسلم المعاهد أو المستأمن أو الذمي.
والمعاهد: من كان بيننا وبينه عهد، كما جرى بين النبي ﷺ
وقريش في الحديبية.
والمستأمن: الذي قدم من دار حرب لكن دخل إلينا بأمان
ليبيع تجارته أو شراء أو عمل، فهذا محترم معصوم حتى إن كان من
قوم أعداء ومحاربين لنا، لأنه أعطي أمانًا خاصًا.
والذمي: هو الذي يسكن معنا ونحميه ونذب عنه، وهذا هو
الذي يعطي الجزية بدلًا عن حمايته وبقائه في بلادنا.
والكفار على قسمين:

القسم الأول: المحاربون: أي الذين يحاربوننا، وهؤلاء يقاتلون، وليس بيننا وبينهم إلا القتال، لا يطعمون ولا يسقون، بل يترك أحدهم إن كان عطشان أو جائعاً يموت، لأنه عدو لك ويقاتلك.

والقسم الثاني: غير المحاربين: وهم الذميون، بيننا وبينه عهد، كأن يدخل البلاد بأمان أو عهد، فله ذمة، لا يقاتلون ولا يخرجون من ديارنا، فهؤلاء لا بأس أن نبرهم، ونكسوهم، ولكن لا نحبههم محبة دينية؛ بل نبغضهم ونعتقد أنهم كافرون وأنهم أعداء الله، ونعتبر من دينهم، لكن نحسن إليهم ونطعمهم ونسقيهم، ونعاملهم معاملة حسنة، وقد يكون هذا من أسباب دخولهم في الإسلام.

ومع بغضهم وعداوتهم والبراءة منهم ومن مبعوداتهم، فإن الإسلام حرم قتل الكافر المعصوم، وهو الذمي: وهو الكافر الذي أقر في دار الإسلام على كفره بالتزام الجزية ونفوذ أحكام الإسلام فيه.

والمعاهد: وهو الرجل من أهل الحرب يدخل في إلى دار الإسلام بأمان، والمستأمن: وهو الكافر يدخل ديار المسلمين بأمان. وحرم سلب ماله، أو ظلمه، أو الاعتداء عليه، قال النبي ﷺ: «من قتل معاهداً، لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً» [رواه البخاري]. بل يجب مع بغضه دعوته إلى الله بالحكمة

والبصيرة، كما فعل النبي ﷺ مع المشركين، ودين الإسلام وسط في معتقد الولاء والبراء، لا إفراط فيه بقتل الكفار المعصومين، ولا تفريط فيه بالموالاة المحرمة أو التولي المخرج من الملة، ويجب على المسلم أن يكون عادلاً في أداء تلك العبادة العظيمة بين الإفراط والتفريط، وأن يكون عمله بها منوطاً بالعلم بها على ضوء ما جاءت به الشريعة.

وفي الحديث: احترام دماء المسلمين، وأن غير المسلم يحل دمه ما لم يكن معاهداً، أو مستأمناً، أو ذمياً.

وفيه: حسن تعليم النبي ﷺ.

وفيه: أن الثيب الزاني يقتل برجمه بالحجارة.
هذا وصلوا وسلموا...

الخطبة الأولى^(١)

١٥

الحمد لله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، أحمده - سبحانه - وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، أظهر الله به دينه على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - وراقبوه في السر والنجوى.
عباد الله: من محاسن الإسلام وكمالهِ رعاية الحقوق بين الناس كالجار والضيف، والحث على حفظ اللسان وذلك بكفه عما لا خير فيه، والترغيب في الكلام الطيب.

(١) الحديث الخامس عشر: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً».

وفي هذا الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ».

عباد الله: هذا الحديث أصل في حفظ اللسان وبذل الإحسان، وفيه مشروعية التذكير في الإيمان بأمرين: الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر. قال ابن حجر: (وهذا من جوامع الكلم، اشتمل الحديث على أمور ثلاثة، تجمع مكارم الأخلاق الفعلية والقولية).

فالحديث يدعو إلى حسن معاشرة الآخرين، وحسن المعاشرة تؤدي إلى نشر المحبة بين الناس، والمحبة تؤدي إلى التآلف والترابط. في هذا الحديث؛ عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** قَالَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ**» أي؛ من كان يؤمن بالإيمان الكامل؛ الذي هو المنجي من عذاب الله، الموصول إلى رضوان الله.

«**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**» فليفعل كذا وكذا، يدل على أن هذه الخصال من خصال الإيمان، والأعمال تدخل في الإيمان، وقد فسر النبي **ﷺ** الإيمان بالصبر والسماحة. قال الحسن: (المراد الصبر عن المعاصي، والسماحة بالطاعة) وأعمال الإيمان تارة

تتعلق بحقوق الله، كأداء الواجبات وترك المحرمات، ومن ذلك قول الخير، والصمت عن غيره. وتارة تتعلق بحقوق عباده كإكرام الضيف، وإكرام الجار، والكف عن أذاه.

«فليقل خيراً» أي «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت» قال النووي: «معناه إذا أراد أن يتكلم فإن كان ما يتكلم به خيراً محققاً يثاب عليه واجباً أو مندوباً فليتكلم، وإن لم يظهر له أنه خير يثاب عليه فليمسك عن الكلام، سواء ظهر له أنه حرام أو مكروه أو مباح مستوي الطرفين، فعلى هذا يكون الكلام المباح مأموراً بتركه مندوباً إلى الإمساك عنه مخافة من انجراره إلى المحرم أو المكروه الذي يقع في العادة كثيراً أو غالباً».

يعني: من كان يؤمن بالإيمان الكامل المنجي من عذاب الله، الموصول إلى رضوان الله فليقل خيراً أو ليصمت؛ لأن من آمن بالله حق إيمانه خاف وعيده، ورجا ثوابه، واجتهد في فعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه. قال الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]. والمراد باليوم الآخر يوم القيامة، يوم الجزاء والحساب.

«واليوم الآخر» أي؛ يوم القيامة، وخصه بالذكر لأن الإيمان به يستلزم التصديق بما فيه من ثواب وعقاب، وذلك مستلزم للإيمان بكل ما يجب الإيمان من ضرورة الحياة.

قوله ﷺ: «فيقل خيراً» اللام للأمر، والخير نوعان: خير في القول نفسه، وخير في المراد به.

أما الخير في القول: كأن يذكر الله ﷻ ويسبح ويحمد ويقرأ القرآن، ويُعلم العلم، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فهذا خير بنفسه.

وأما الخير لغيره: كأن يقول قولاً ليس خيراً في نفسه ولكن من أجل إدخال السرور على جلسائه، فإن هذا خير لما يترتب عليه من الأُنس وإزالة الوحشة وحصول الألفة.

فكلام الخير خير من السكوت، والسكوت خير من كلام الشر. أيها المسلمون:

قال الشافعي: «معنى الحديث إذا أراد أن يتكلم فليفكر فإن ظهر أنه لا ضرر عليه تكلم، وإن ظهر أن فيه ضرراً أو شك فيه أمسك».

«أو ليصمت» أي؛ يسكت عن الكلام عن إرادة وقصد. إذا كان فيه فائدة ونفع تكلم وإلا فالسكوت أفضل.

قال شيخ الإسلام: «ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنا والسرقة وشرب الخمر، ومن النظر المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يُلقى لها بالاً، يزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات ولا يبالي». ولهذا قال سلمة بن دينار: «ينبغي للمؤمن أن يكون أشد حفظاً للسانه منه لموضع قدمه».

قال العلماء: «فليطلب الصمت حتى عن المباح لأنه ربما أدى إلى محرم أو مكروه، وإن لم يكن كذلك، ففيه ضياع الوقت فيما لا يعني. وفي الحديث «وהל يكب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم» [السلسلة الصحيحة].

وهذا الحديث؛ صريح في أنه ينبغي ألا يتكلم المتكلم المكلف إلا إذا كان الكلام خيراً. أي؛ تحققت خيريته وهو الذي ظهرت مصلحته، ومتى شك في ظهور المصلحة وتردد على السواء، فلا يتكلم، أما إذا ظن أن المصلحة في الكلام فيتكلم، والأحكام الشرعية مدارها على الظن.

وقوله ﷺ: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت». المقصود بهذه الصيغة الحث والإغراء على قول الحق أو السكوت.

قال النووي: (معناه إذا أراد أن يتكلم فإن كان ما يتكلم به خيراً محققاً يثاب عليه واجباً أو مندوباً فليتكلم، وإن لم يظهر له أنه خير يثاب عليه فليمسك عن الكلام، سواء ظهر له أنه حرام أو مكروه أو مباح مستوي الطرفين، فعلى هذا يكون الكلام المباح مأموراً بتركه مندوباً إلى الإمساك عنه مخافة من انجراره إلى المحرم أو المكروه الذي يقع في العادة كثيراً أو غالباً).

وفيه مشروعية أن يتكلم الإنسان بالأقوال الطيبة التي يترتب عليها الخير والمصلحة لقوله ﷺ: «فليقل خيراً» ومن الأقوال التي يحصل بها الأجر العظيم والثواب الجزيل ذكر الله ﷻ، كما قال ﷺ: «سبق المفردون» قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات» [رواه مسلم] ومما يدخل في قول الخير؛ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والوعظ والتذكير، والدعوة إلى الله ﷻ.

ومن القربات التي يتقرب بها الإنسان إلى ربه أن يصمت عن الكلام القبيح السيء، في الحديث: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها

يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب» [رواه البخاري ومسلم]
وفي الحديث الآخر أنه ﷺ قال لمعاذ: «وהל يكب الناس في النار على
وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم» [رواه الترمذي].

وروى أحمد والنسائي: «إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان
الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم
القيامة، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن
تبلغ ما بلغت، فيكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم القيامة».

قال الفضيل: «لا حج ولا رباط ولا جهاد أشد من حبس اللسان».
عباد الله: واللائق بمن يؤمن بالله تعالى حق إيمانه، وبالיום الآخر،
ووقوع الجزاء فيه أن يستعد له، ويجتهد فيما يدفع به أهواله
ومكارهه، فيأتمر بأوامره، وينتهي عن مخالفته، ويعلم أن من أهم ما
عليه ضبط جوارحه، فإنها رعاياه، وهو مسؤول عنها جارحة جارحة
﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾
[الإسراء: ٣٦].

وفي هذا الحديث ثلاث خصال من سمات المؤمن بالله وبالبعث
والجزاء، ثلاث خصال هي جماع الخير، وأمها مكارم الأخلاق.
وثاني هذه الخصال: إكرام الجار والإحسان إليه، وفي حديث آخر

أشار ﷺ إلى نفي الإيمان عمن يؤذي جاره، وبه حمى الإسلام الجار من جاره، لكنه لم يكتف بهذه الحماية بل حث في هذه الحديث على إكرامه والإحسان إليه.

جاء في حديث آخر أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره» [رواه مسلم].

عباد الله:

وفي تكرار كل خصلة قوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر» كرهه للإيدان بأن كل واحد من الثلاث مستقلة بالطلب تابعة لأختها، وإن من كان هذا شأنه ينبغي أن يحصل كلاً من الثلاث وأن يحرص كل منهما باهتمام.

وفي قوله: «فليحسن إلى جاره» قدر زائد على كف الشر ومنع الأذى، ويحصل إكرام الجار بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة، كالهدية والسلام وطلاقة الوجه عند لقائه، وتفقد حاله، ومعاونته فيما يحتاج إليه وموعظته بالحسنى، والدعاء له.

وفي ذلك الحديث من باب الدرء والتخلية، وما في هذا من باب جلب النفع والتخلية، ودرء المفسد مقدم على جلب المصالح. وأشار المصنف بالجمع بينهم إلى أن كمال الإيمان لا يحصل إلا بالجمع بين الأمرين؛ فيكف عنه أذاه، ويحسن إليه بما تصل إليه قدرته.

وفي رواية: «فلا يؤذ جاره» فيه تعريف لحق الجار وبره وكذلك الضيف. ومن أنواع الإحسان إلى الجار مواساته عند حاجته، وفي المسند عن عمر عن النبي ﷺ قال: «لا يشبع المؤمن دون جاره».

والجيران ثلاثة: الجار المسلم الذي له قرابة، له ثلاث حقوق، والجار المسلم غير القريب له حقان، والجار الكافر له حق الجوار، قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُحْتَلًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

وتفاوت حق الجار بحسب قرب الجار وبعده، ويدل على عظيم حق الجار قول النبي ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» [رواه البخاري في الأدب].

وقد اختلف أهل العلم في حد الجوار فبعضهم قال: من يصلي معك في المسجد، وبعضهم قال: إلى أربعين دارًا.

وكما ورد في الأحاديث الأمر بالإحسان إلى الجار، ورد النهي الشديد عن إيذاء الجار، في الحديث أن النبي ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه».

قال ابن بطال: في الحديث تأكيد حق الجار لقسمه ﷺ على ذلك، وتكريره اليمين ثلاث مرات، وفيه نفي الإيمان عمن يؤذي جاره بالقول أو الفعل، ومراده الإيمان الكامل، ولا شك أن العاصي غير كامل الإيمان»

وفي الحديث: إن فلانة تصلي بالليل وتصوم النهار وفي لسانها شيء تؤذي جيرانها سليطة، فقال ﷺ: «لا خير فيها هي في النار» [رواه أحمد].

والخصلة الثالثة: التي ندب إليها النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» وإكرام الضيف من أخلاق الأنبياء والمرسلين، كما ذكر الله ﷻ عن إبراهيم الخليل عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٦-٢٧] وإكرام الضيف يحصل بالبشاشة في وجهه والترحيب بقدومه، وانزاله المكان اللائق به المقذور عليه، وتقديم ما تيسر من الطعام والشراب له. والجمهور على أنه يتكلف له في اليوم الأول بالبر والألطف، ويقدم له ما حضر دون ما تكلف في اليومين الثاني والثالث.

جاء في الحديث كما في الصحيحين من حديث أبي شريح قال رسول ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان

يؤمن بالله واليوم الآخر فيلكرم ضيفه جائزته» قال: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: «يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك هو صدقة عليه». الضيف هو من ينزل بالإنسان يريد المأوى والطعام، وإكرامه بحسب منزلة الضيف، وحال المضيف، والواجب للضيف: إضافته يوماً وليلة، وما زاد فهو سنة إلى ثلاثة أيام.

وإكرام الضيف والقيام بحقه من الأعمال الصالحة التي يؤجر العبد عليها لأن هذا من إطعام الطعام، وقد جاءت النصوص بالحث والترغيب في إطعام الطعام كما قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨] وجاء في الحديث أن النبي ﷺ سُئِلَ: أي الإسلام خير؟ فقال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف» [رواه البخاري].

وجاء في حديث عبد الله بن سلام أن النبي ﷺ قال: «أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» [رواه الترمذي].

عباد الله:

ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال لتكون من المحسنين: إنك إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تسره فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تدمه.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَلًا ۚ﴾ [النساء: ٣٦].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، أحاط كل شيء علماً، وهو على كل شيء شهيد، علا بذاته، وقهر بقدرته، وهو أقرب إلى عبده من حبل الوريد، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدخرها ليوم يشيب لهوله الوليد، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، بشر وأنذر، وحذر يوم الوعيد، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

إن من التزام شرائع الإسلام تأكد عليه القيام بهذه الثلاثة الأمور، وهي المحافظة على أقواله وأفعاله والحرص على ما يقول ويسمع، ويتأكد عليه إكرام جاره وضيافته وبرهما لعظيم حقهما كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

إن قول الخير خير من الصمت، وإن الصمت خير من قول الشر، وإن قول الخير غنيمة، والسكوت عن الشر سلامة، وأن فوات الغنيمة والسلامة ينافي حال المؤمن ولا أمان لمن فاتته الغنيمة

والسلامة. وإن الإنسان إما أن يتكلم أو يسكت، فإن تكلم؛ فإما بخير وهو ربح، وإما بشر وهو خسارة، وإن سكت؛ فإما عن شر وهو ربح، وإما عن خير وهو خسارة، فله في كلامه وسكوته ربحان فينبغي أن يحصلهما، وخسارتان ينبغي أن يجتنبهما.

قال الفضيل بن عياض: «ما حج ولا رباط، ولا جهاد أشد من حبس اللسان، ولو أصبحت يهملك لسانك، أصبحت في غم شديد». وفي الحديث: الحرص على ما يتكلم به المرء؛ وليعلم أنه محاسب على ذلك كله.

وفيه: أن من كمال الإيمان بالله - تعالى - أن يتكلم خيراً، أو يكف لسانه عن ذلك الكلام الذي لا فائدة فيه.

وفيه: أن من آمن بالله حق إيمانه خاف وعيده ورجا ثوابه، واجتهد في فعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه.

وفي الحديث: الحث على إكرام الضيف والقيام بحقه.

وفي الحديث: تحريم إيذاء الجار، وإيذاؤه مناف لكمال الإيمان، والتحذير من الخوض في الكلام الباطل كالغيبة والنميمة وغيرها. والترغيب في السكوت عند عدم فائدة الكلام.

هذا وصلوا..

الخطبة الأولى^(١)

١٦

الحمد لله الذي رفع راية التوحيد، ونصر عباده الموحدين، أشهد
ألا إله إلا هو رب الأولين والآخرين، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله
ورسوله؛ أرسله كافة إلى الناس أجمعين، صلى الله وسلم عليه
وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد:

فيا عباد الله: اتقوا ربكم، فإن تقواه خير عاصم من القواصم،
وخير مانع من المصارع والقوامع: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾
وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿[آل عمران: ٣٠].

أيها المسلمون:

الوصية الجامعة النافعة هي ما يُطلب من الأخ المسلم المشفق،
وقد حرص الصحابة رضي الله عنهم على ما ينفعهم، ومن ذلك ما ورد في هذا
الحديث من طلب الصحابي من النبي صلى الله عليه وسلم أن يوصيه وصية وجيزة،
جامعة لخصال الخير، لحفظها عنه خشية أن لا يحفظها لكثرتها.

(١) الحديث السادس عشر: «لا تغضب».

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني. قال: «لا تغضب». فردّد مراراً، قال: «لا تغضب».

عباد الله:

هذه وصية وجيزة نافعة، متضمنة لمجامع الخير، وممانعة عن قبائح الشر؛ فإن الغضب جماع الشر ومفتاح لكثير من الشرور القولية والفعلية وأعلاها الكفر والقتل، وفيه أن الغضب خصلة ذميمة وأن التحرز من الغضب يؤدي إلى خير كثير. وفيه مشروعية طلب الوصية ويستحب لمن طلبت منه الوصية أن يقدم وصية نافعة لمن طلب منه النصيحة، والتحرز منه جماع الخير.

أيها المسلمون:

الغضب جماع الشر، وباب من مداخل الشيطان الثلاثة؛ وهي: الغفلة، والشهوة، والغضب.

والغضب: جمرة يلقيها الشيطان في قلب الإنسان حتى يغلي القلب، ولهذا تنتفخ الأوداج وعروق الدم، وتحمّر العين، ثم يفعل الإنسان حتى يفعل شيئاً يندم عليه.

قال جعفر بن محمد: (الغضب مفتاح كل شر).

وقيل لابن المبارك: أجمع لنا حسن الخلق، فقال: «ترك الغضب».

في الحديث: (أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني) طلب من رسول الله ﷺ الوصية، فقال له ﷺ:

«لا تغضب» أي؛ لا تكن سريع الغضب، يستشيرك كل شيء؛ بل كن مطمئناً متأنياً.

(فردد) أي؛ فكرر الرجل قوله: أوصني مراراً، تعريضاً بأنه لم يقتنع بذلك، وأنه يطلب وصية أبلغ وأنفع؛ فلم يزد له لعل أنه لا أنفع من ذلك له؛ فقال ﷺ:

«لا تغضب» كررها تأكيداً لأهميتها، والمقصود من ترك الغضب هو اجتناب أسبابه والأمور المفضية إليه.

وفي قوله ﷺ: «لا تغضب» أي؛ لا تتعرض لأسباب الغضب، وللأمور التي تجلب الغضب، إذ نفس الغضب مطبوع في الإنسان لا يمكن إخراجه من جبلته.

أو معناه: لا تفعل ما يأمرك به الغضب ويحملك عليه من الأقوال والأفعال.

وقوله ﷺ: «لا تغضب» يشمل معنيين:

الأول: أن يتجنب المرء الوقوع في الغضب ابتداءً، أو بقليل منه، وذلك بأن يعمل بالأسباب التي توجب حسن الخلق من الحلم

والكرم، والحياء والتواضع، وكف الأذى والصفح، والعفو والطلاقة وغير ذلك، فإن المرء إذا تحلى بذلك لم يحصل منه الغضب عند وجود أسبابه.

الثاني: أن لا يعمل بمقتضى الغضب إذا وقع فيه، بل يجاهد نفسه على ترك ما يأمر به الغضب، فإن الغضب إذا ملك الإنسان كان الأمر الناهي له، ولهذا قال الله ﷻ في وصفه: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضُّ أَخَذَ الْأَلْوَاَحَ ط وَفِي نُسخِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤] فإذا لم يطع المرء غضبه فيما يأمره به وسكن عنه الغضب كان كأنه لم يغضب، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧].

قال السعدي: (فخير الناس من كانت شهوته وهواه تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ وغضبه ومدافعته في نصر الحق على الباطل. وشر الناس: من كان صريع شهوته وغضبه، ولا حول ولا قوة إلا بالله).
قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ: (قد أفلح من عصم من الهوى، والغضب، والطمع).

هذا الداء الخطير جعل له النبي ﷺ دواءً نافعًا وعلاجًا شافيًا والمسلم مطالب بكسر حدة الغضب وإبعاده بهذه الأمور التي منها:

أولاً: تتبع وصية النبي ﷺ في ذلك الأمر، فقد جاءه رجل وقال: أوصني، قال ﷺ: «**لا تغضب**» فردّد مرارًا وقال: «**لا تغضب**» [رواه البخاري] وإيقاف الغضب ودواعيه قبل بدايته، خير من التماذي فيه ومحاولة إصلاح نتائجه الوخيمة.

ثانيًا: معرفة فضل الله ﷻ لمن تجرّع الغضب وكتمه: قال ﷺ: «ما تجرّع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى» [رواه ابن ماجه].

ثالثًا: معرفة أن الغضب من الشيطان، قال ﷺ: «إن الغضب من الشيطان...» والشيطان يورد الإنسان موارد الهلاك.

رابعًا: الطمع فيما أعد الله ﷻ لمن كتم غيظه، قال ﷺ: «من كظم غيظًا هو قادر على أن ينفذه دعاه الله ﷻ على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما يشاء» [رواه أبو داود].

خامسًا: الالتزام بالهدي النبوي، ومن ذلك تغير الهيئة التي عليها الغضببان وليلصق بالأرض، فذلك أدعى لإذلال النفس وطرح الكبر، قال ﷺ: «ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم، أما رأيتم

إلى جمرة عينه وانتفاخ أوداجه، فمن أحس بشيء فيلصق بالأرض»
[رواه أحمد]. قال ﷺ: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس؛ فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع» [رواه أحمد].

قيل: أن المعنى في هذا أن القائم متهيء للانتقام والجالس دونه في ذلك، والمضطجع أبعد عنه.

سادساً: الوضوء، إمثالاً لقول الرسول ﷺ: «إن الغضب من الشيطان، خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ» [رواه أبوداود].

سابعاً: السكوت حال الغضب وحبس اللسان وإلجامة، قال ﷺ: «علموا وبشروا ولا تعسروا، وإذا غضبت فاسكت، وإذا غضبت فاسكت، وإذا غضبت فاسكت» [رواه أحمد]. لأنه قد يصدر منه حال غضبه من القول ما يندم عليه في حال زوال غضبه. وقد يقع في السباب والشتم والقذف وغير ذلك.

ثامناً: التعوذ من الشيطان الرجيم فهو رأس البلاء، قال تعالى: ﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وعن سلمان بن صُرد رضي الله عنه قال: «تساب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فجعل أحدهما تحمر عيناه وتنفخ أوداجه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأعرف كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.» [رواه مسلم].

تاسعاً: ذكرُ الله في كل موطن خاصة عند حالات الغضب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

عاشراً: احتساب الأجر العظيم فيمن كتم غيظه ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [آل عمران: ١٣٤].

الحادي عشر: اللجوء إلى الله وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْ وكثرة الدعاء والتضرع؛ وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أسالك كلمة الحق في الغضب والرضا» [رواه أحمد].

الثاني عشر: ذكر الله: من التسبيح والتهليل وقراءة القرآن، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] وغير ذلك مما دل عليه الشارع الحكيم.

فكم أفسد الغضب من صداقات، وجلب من عداوات وشتت بيوتاً وأسر، وفرق إخوة، وقطع أرحام، وربما تعدى ذلك إلى القتل.

عن وائل رضي الله عنه قال: إني لقاعد مع النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاء رجل يقود آخر بنسعة، فقال: يا رسول الله هذا قتل أخي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أقتلته؟» فقال: «إنه لو لم يعترف أقمت عليه البينة»، قال: نعم قتلته.

قال «كيف قتلته؟» قال: كنت أنا وهو نحتطب من شجرة فسبني فأغضبني فضربته بالفأس على قرنة فقتلته. [رواه مسلم].

قال ابن القيم: «أصل العداوة والشر الحسد الواقع بين الناس من اتباع الهوى، فمن خالف هواه أراح قلبه، وبدنه وجوارحه، فاستراح وأراح».

قال الإمام أحمد: «ذكر الله الصبر في القرآن في نحو من تسعين موضعاً، وهو واجب بإجماع الأمة، وهو نصف الإيمان، فإن الإيمان نصفان؛ نصف صبر، ونصف شكر».

وهذا الحديث أصل في مقاومة الغضب وتجنب أسبابه، وفيه رواية عند الإمام أحمد «قال الرجل: ففكرت حين قال النبي صلى الله عليه وسلم ما قال، فإذا الغضب يجمع الشر كله».

وقيل لابن المبارك: اجمع لنا حسن الخلق في كلمة، قال: ترك الغضب.

وقال الحسن: أربع من كنّ فيه عصمه الله من الشيطان وحرّمه الله على النار: من ملك نفسه عند الرغبة والرغبة والشهوة والغضب. عباد الله: والغضب المذموم الذي حذر منه النبي ﷺ هو أن يغضب الإنسان انتقاماً لنفسه، أما إذا غضب غيرة لله لانتهاك محارمه، أو دفعا للأذى عن نفسه وغيره في ذات الله؛ فهذا غضب محمود شرعاً، وفاعله يثاب على ذلك. ومن الغضب ما هو محمود وهو ما كان لله ولنصرة دينه، وكان ﷺ لا يغضب إلا إذا انتهكت حرّمات الله.

قالت عائشة ك: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينهك شيء من محارم الله، فينتقم لله ﷻ» [رواه مسلم]. وتأکید النهي عن الغضب في هذه الحديث، لا يدخل في ذلك الغضب لله إذا انتهكت حرّماته، فالغضب مراتب، وأفضله: الغضب لله، وأسوؤه: السخط على قضاء الله، فالأول من كمال الدين، والثاني من الجهل بالله وسوء الظن به.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

نهى الشرع الحكيم عن مساوئ الأخلاق وحث على الالتزام بمحاسن الأخلاق.

قال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل، واحمر وجهه، فغضب عمر من قول الرجل، فقل له: يا أمير المؤمنين ألم تسمع أن الله ﻋﻠﯿﻚ يقول: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وهذا من الجاهلين، قال عمر: صدقت، فكأنما كان نار فأطفت.

وكان معاوية رضي الله عنه من أحلم العرب، وكان يقول: «ما غضبت على من أقدر عليه ومن لا أقدر عليه» أي أن الغضب تعب محض لا فائدة فيه، لأن المؤذي لي إن قدرت عليه، عاقبته إن شئت لا غضب، وإلا كان مجرد الغضب محض تعب، لأنه وحده لا يشفي فلا فائدة فيه على كل تقدير.

والغضب - والعياذ بالله - مرتبط بالكبر والاستعلاء والظلم والتعدي، ولهذا كان طريقاً مهلكة وأرضاً موحشة! تأباه القلوب الكريمة، والعقول الكبيرة، والفترة السليمة.

وقد مدح الله ﷻ المؤمنين بصفات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] فهذه ثلاث صفات عظيمة أولها: كظم الغيظ وإيقافه، والثانية: العفو والصفح مع المقدرة والتمكن، والثالثة: وهي أعلاها مرتبة: الإحسان إلى الناس مقابل إساءتهم.

وقال ﷺ خلافاً لما تعارف عليه الناس اليوم: «ليس الشديد بالصُّرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» [متفق عليه]. وقال ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله» [متفق عليه].

عباد الله:

ليحذر الإنسان من الدعاء على نفسه أو أهله أو ماله عند الغضب، فإنه ربما يصادف ساعة إجابة فيستجاب له، في الحديث أن النبي ﷺ قال: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل الله فيها عطاء فيستجيب لكم» [رواه مسلم].

وفي الحديث: مشروعية طلب الوصية، وسؤال الدلالة على الخير، وفيه ذم الغضب، والنهي عنه والتحذير منه. وفيه: أن من الحكمة إرشاد السائل إلى ما هو أليق بحاله والمناسب له.

وفيه: الوصية النافعة لمن طلبها. وفي الحديث؛ بيان عظم مفسدة الغضب وما يترتب عليه من أذى للنفس والغير.

والابتعاد عن مواطن الغضب وأسبابه. وفيه: معرفة النبي ﷺ بنفوس الناس وطبائعها وما جبلت عليه. وفي الحديث الآخر إرشاد إلى كظم الغيظ وضبط النفس عند حصول الغضب كما في الحديث: «ليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد

الذي يملك نفسه عند الغضب» [رواه البخاري ومسلم]. قال تعالى:

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقد أوصى النبي ﷺ في الحديث من طلب النصيحة، بقوله: «لا تغضب» كررها مرارًا لأهميتها ولتقع موقعًا من السائل، فهذه وصية نافعة لأن الغضب يجمع الشر كله، وهو باب من مداخل الشيطان.

ومن علاج الغضب مع التعوذ من الشيطان الرجيم، السكوت وعدم المجادلة، وكذلك الجلوس أو الاضطجاع، وتغيير المكان وكلها أدوية نافعة ناجعة.

هذا وصلوا..

الخطبة الأولى^(١)

١٧

الحمد لله الذي خلق الإنسان من عدم، وأسبغ عليه وافر النعم،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب العالمين، وأشهد أن
نبينا محمداً عبد الله ورسوله، المبعوث رحمة للناس أجمعين،
أشرف المرسلين قولاً وفعلاً وصلة وبرّاً، صلى الله عليه، وسلم عليه
وعلى آله وصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - حق التقوى، وتزودوا فإن خير الزاد
التقوى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ
نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].
عباد الله:

أمر الله ﷻ بالإحسان وحث عليه، ورغب فيه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ
اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ
عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

(١) الحديث السابع عشر: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء».

وقال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

والإحسان تارة يكون واجباً كالإحسان إلى الوالدين والأرحام بقدر ما يحصل به أقل البر والصلة، والإحسان إلى الضعيف بقدر ما يحصل به دفع خلته.

وتارة يكون مستحباً كصدقة التطوع، وسقاية الماء، والإحسان إلى الجار، وغير ذلك من وجوه البر.

وقد ذكر النبي ﷺ مثلاً يندرج تحت قاعدة الإحسان، وهو الإحسان في كل ما يجوز قتله من الناس والدواب.

فالإسلام دين الإحسان، ولهذا أمر بالإحسان والرفق، والشفقة إلى الخلق في كل شيء، وجاء هذا الحديث في الإحسان في القتل والذبح. وهو من الأحاديث الجامعة لقواعد كثيرة، من عمل به نال كل خير، وسلم من كل ضير، وفيه النذب إلى الإحسان في كل شيء والإحسان يكون بالقول والفعل والترك، والإحسان إلى أصناف الناس كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ [النساء: ٣٦].

روى البخاري عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ، وَلِيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلِيُرِخَ ذِيحَتَهُ».

وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم:

«إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ» أي؛ فرض وأوجب وقدر. قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ وفي الحديث عن صلاة التراويح قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَكْتُبَ عَلَيْكُمْ». في قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ» أي طلب وشرع.

«والإحسان» هو ما حسنة الشرع. و«الإحسان» إتقان العمل، أو التفضيل والإنعام، ويشمل الإحسان في حق الله، والإحسان في حق الخلق، فالمحسن هو من أحسن في عمله، وأحسن إلى غيره. والإحسان: مصدر أحسن يُحسن إذا أجاد وأتقن الشيء وأتى به على أحسن الوجوه وأكملها، والمراد طلب تحسين الأعمال المشروعة.

عباد الله:

والإحسان صورة كثيرة جداً ذكر منها النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث وخصها بالذكر لأنها الغاية في إيذاء الحيوان، فإذا طلب الإحسان

فيهما مع كونهما الغاية في الأذى، فما بالك بغير ذلك، فإنه أحرى أن يطلب فيه الإحسان.

ويدخل فيه الإحسان إلى الحيوان كما في حديث المرأة البغي التي سقت كلبًا فغفر الله لها وكما في هذا الحديث، وجماع القول في معنى الإحسان: أنه إيصال النفع، ودفع الضرر، وكف الأذى.

«على كل شيء» أي؛ إلى كل شيء، أو في كل شيء وما من شعبة من شعب الإيمان ولا ركن من أركان الإسلام إلا وقد قرن به إحسان لا تفتقد دليل عموم كل شيء في الحديث.

والأمر بالإحسان: تارة يكون للوجوب، كالإحسان إلى الوالدين والأرحام بمقدار ما يحصل به البر والصلة، والإحسان إلى الضيف بقدر ما يحصل به قراه. وتارة يكون لندب كصدقة التطوع ونحوها وحينئذ فهذا الحديث نص في وجوب الإحسان.

وهذا الحديث يدل على وجوب الإحسان في كل شيء من الأعمال، لكن إحسان كل شيء بحسبه، فالإحسان في الإتيان بالواجبات الظاهرة والباطنة: الإتيان بها على وجه كمال واجباتها، فهذا القدر من الإحسان فيها واجب، وأما الإحسان فيها بإكمال مستحباتها فليس بواجب.

والإحسان في ترك المحرمات: الانتهاء عنها، وترك ظاهرها وباطنها، كما قال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٠]، فهذا القدر من الإحسان فيها واجب.

وأما الإحسان في الصبر على المقدورات: فأن يأتي بالصبر عليها على وجهه، من غير تسخط ولا جزع.

والإحسان الواجب في معاملة الخلق ومعاشرتهم: القيام بما أوجب الله من حقوق ذلك كله.

والإحسان الواجب في ولاية الخلق وسياستهم، القيام بواجبات الولاية كلها، والقدر الزائدة على الواجب في ذلك كله إحسان ليس بواجب.

والإحسان في قتل ما يجوز قتله من الناس والدواب: إزهاق نفسه على أسرع الوجوه وأسهلها وأريحها من غير زيادة في التعذيب: إزهاق نفسه على حاجة إليه، وهذا النوع هو الذي ذكره النبي ﷺ في هذا الحديث، ولعله ذكره على سبيل المثال، أو لحاجته إلى بيانه في تلك الحال فقال: «فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ».

والقِتْلَةُ والذَّبْحَةُ بالكسر، أي: الهيئة، والمعنى: أحسنوا هيئة الذبح، وهيئة القتل. وهذا يدل على وجوب الإسراع في إزهاق

النفوس التي يباح إزهاقها على أسهل الوجوه.
ومعنى إحسان القتلة: أن يجتهد في ذلك ولا يقصد التعذيب، ثم ذكر النبي ﷺ الأمثلة للإحسان، والمراد بالإحسان تقديم الخير للغير. وإحسان الذبح في البهائم: أن يرفق بالبهيمة، وأن يوجهها إلى القبلة، ويسمى ويكبر ويقطع الحلقوم والودجين ولا يسلمها حتى تبرد.

وفي الحديث الآخر: عن ابن عباس بأن النبي ﷺ قال: «لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً» [رواه مسلم] أي يرمون إليه في المفاضلة.

وفي الحديث الآخر عن النبي ﷺ: «إذا حكمتم فاعدلوا، وإذا قتلتم فأحسنوا، فإن الله محسن يحب المحسنين».

وقد حكى ابن حزم الإجماع على وجوب الإحسان في الذبيحة. ثم ذكر ﷺ صوراً من صور الإحسان، وهو إلى الحيوان، فقال: «إذ قتلتم» أي أردتم قتل من يجوز قتله هذا حين القتل من بني آدم، أو مما يباح قتله، أو يسن من الحيوانات من وحوش وغيرها. «فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة» فأحسنوا القتل في كل قتل، حداً وقصاصاً. والمعنى أن لا يقصد التعذيب للمقتول.

«وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة» بكسر الهمزة، وهي هيئة الذبح. وهو الرفق بالبهيمة عند الذبح.

وإحسان الذبح في البهائم، المرفق بها، فلا يصرعها، ولا يجرها من موضع إلى آخر، وإحداد الآلة وتوجيهها إلى القبلة، والتسمية والإجهاز، ونية التقرب إلى الله بذبحها، وإراحتها، وتركها إلى أن تبرد، وشكر الله حيث سخرها لنا ولم يسلطها علينا ولا يذبحها بحضرة أخرى.

قال الإمام أحمد: (ما أبهمت عليه البهائم فلم تبهم أنها تعرف ربها، وتعرف أنها تموت).

«وليحذ أحدكم شفرته» أي؛ يحذ السكين وجعلها سريعة القطع. «وليرح ذبيحته» وذلك بعرض الماء عليها قبل ذبحها لتشرب، وأن يسوقها على موضع الذبح برفق، وأن يضجعها بمكان سهل غير وعر، وأن يجعل إمرار السكين عليها بقوة ليسرع موتها فتستريح من ألمه. روى أبو سعيد المزري قال: (أمر رسول الله ﷺ برجل وهو يجز شاة بأذنها فقال رسول الله ﷺ: «دع أذنها وخذ بسالفتها» يعني بمقدم عنقها) [رواه ابن ماجه]. وذلك بإمرار السكين على عنق الحيوان بسرعة لترتاح الذبيحة وتزهق نفسها بسرعة.

وفي الحديث: مشروعية الرفق بالحيوان والإحسان إليه، ولهذا أورده المؤلف في باب الحلم والأناة والرفق.

وإحسان الذبح في البهائم أن يرفق بالبهيمة، ولا يصرعها بغته، ولا يجرها من موضع إلى موضع، وأن يوجهها إلى القبلة، ويسمي ويجهد ويقطع الحلقوم والودجين، ويتركها إلى أن تبرد، والاعتراف لله تعالى المنة والشكر على نعمه، فإنه سبحانه سخر لها ما لو شاء لسلطه علينا، وأباح لنا ما لو شاء لحرمه علينا.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قالوا: «مر رسول الله ﷺ برجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهي تلحظ إليه ببصرها، فقال: «هلا حددت شفرتك قبل أن تضجعها؟ تريد أن تميتها موتات؟».

ومن آداب الذبح وأحكامه: الرفق والذبح بآلة حادة تريح الذبيحة بزهوق روحه، وسوقها إلى الذبح برفق، وأن لا تذبح بحضره أخرى، وأن يقطع من الحلقوم لا من القفا، ولا يصرع بعنف، وأن يوجهها للقبلة ويسمي، وتركها قبل السلخ حتى يبرد.

أيها المسلمون: خلق الله لنا الأنعام لفوائد عظيمة كما قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٦﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْتَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ﴿٧﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لَتَرَكَبُوهَا وَزِينَةً ﴿٨﴾﴾ [النحل: ٥: ٨].

وروى مسلم في صحيحه أنه ﷺ سئل: قالوا: يا رسول الله وإن لنا في هذه البهائم لأجراً؟ فقال: «في كل كبد رطبة أجر» [رواه مسلم] وفي سنن أبي داود عن سهل بن الحنظلة قال: مر رسول الله ﷺ ببيعير قد لحق ظهره ببطنه أي من الجوع فقال: «اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة فاركبوها وكلوها صالحة».

عباد الله:

في الحديث دلالة ظاهرة على مشروعية الرحمة والرفق بالحيوان، وقد ورد في السنة أحاديث كثيرة تدل على فضل رحمة الحيوان والإحسان إليه وإن ذلك سبب لدخول الجنة.

في مسند الإمام أحمد عن قرّة: أن رجلاً قال لنبي ﷺ: يا رسول الله إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها، فقال النبي ﷺ: «والشاة إن رحمتها رحمك الله» وقال مطرف: «إن الله ليرحم برحمة العصفور».

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «بينما كلب يطيف بركية كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فسقته فغفر لها به» وقد ورد وعيد شديد لمن عذب الحيوان أمر تسبب في قتله، قال ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت» [متفق عليه].

أما الحيوان المؤذي الذي من طبعه الافتراس أو الإفساد فهو هدر لا حرمة له وقد أمر الشارع بقتله، كما في الصحيحين من حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: «العقرب والحدأة والغراب والفأرة والكلب العقور».

وليس من الرفق بالحيوان والرأفة تربية الحيوانات النجسة والعناية بها كالكلاب والخنازير فقد نهى الشارع عن ذلك، في الحديث قال رسول الله ﷺ: «من اتخذ كلباً إلا كلب ماشية أو صيد أوزرع انتقض من أجره كل يوم قيراط» وإنما رخص في ذلك إذا كانت المصلحة راجحة كاتخاذها للصيد والزرع والماشية والحراسة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَالَا تَعْمَ خَلْقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفٌّ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْتَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلَغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٥-٧].

بار الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى،
أحمده وأشكره وأثني عليه. وأصلي وأسلم على نبينا محمد، وعلى
آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
عباد الله:

في الحديث: رأفة الله ﷻ بالعباد، وأنه كتب الإحسان على
كل شيء.

وذلك من كمال الشريعة واشتمالها على كل خير، ومن ذلك
حرمة الحيوان، والرفق بالحيوان. وفيه مشروعية المبادرة بذبح
الحيوان الذي يراد ذبحه، ومشروعية الإسراع في تجهيزه وترتيب
أمره.

وكما ورد النبي ﷺ عن الإساءة إلى الحيوان في الذبح ورد أيضاً
على أحد الحيوانات والذي يؤخذ من بين يدها فيقتل أو يُبعد.
جاء في الحديث كما عند ابن ماجه أن النبي ﷺ قال: «لعن الله من
فرق بين الوالدة وولدها، والأخ وأخيه».

وجاء في الحديث الآخر عند الترمذي قوله ﷺ: «من فرق بين
والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة».
وروى الحاكم أيضًا قوله ﷺ: «ملعون من فرق بين والدة
وولدها».

وعن عبد الله بن مسعود قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر
فانطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها، فجاءت
الحمرة فجعلت تفرش، فجاء النبي ﷺ فقال: «من فجع هذه
بولدها، ردوا ولدها إليها» ورأى ﷺ قرية نمل قد حرقناها فقال:
«من حرق هذه؟» قلنا: نحن. قال: «إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا
رب النار» [رواه أبو داود].

فاتقوا الله عباد الله وارحموا ما تحت أيديكم، فإن دينكم دين
الرحمة بكل صورها وأشكالها وقد بعث الله ﷺ نبينا محمداً ﷺ
بالرحمة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾
[الأنبياء: ١٠٧] وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [آل
عمران: ١٥٩] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث في هذا الباب.

ومن فوائد الحديث: رأفة الله ﷻ بعباده.

وفيه: الحث على الإحسان في كل شيء.

وفيه: وجوب حد الشفرة؛ لأن ذلك أسهل للذبيحة.

هذا وصلوا وسلموا.

الخطبة الأولى^(١)

١٨

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنتهدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، أرسله للناس بشير ونذيراً، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى.
﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

أيها المسلمون:

إن نعم الله عظيمة، وآلاءه جسيمة، وأعظم النعم قدراً وأجلها منزلة نعمة الإسلام، التي من الله بها علينا وخصنا بها؛ فله الحمد والشكر، ونسأله الثبات عليها حتى الممات.

(١) الحديث الثامن عشر: «اتق الله حيثما كنت».

عباد الله:

رواي حديث اليوم هو الصحابي الجليل معاذ بن جبل، إمام العلماء والفقهاء في عهد النبي ﷺ وبعده، قال عنه ﷺ: «إنه يجيء يوم القيامة امام العلماء برتوة» يعني بخطوة، دليلاً على فقهه ﷺ ومعرفته للحلال والحرام، وقد أقسم ﷺ أنه يحبه، قال له مرة وهو يردفه -وراءه- على الدابة: «يا معاذ والله إني لأحبك».

وفي هذا الحديث روى الترمذي **عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدَبِ بْنِ جُنَادَةَ، وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ».** هذه وصية عظيمة جامعة لحقوق الله تعالى وحقوق عباده. وقوله ﷺ من جوامع الكلم، فإن التقوى وإن قل لفظها إلا أنها كلمة جامعة لحقوق الله تعالى ولحقوق عباده.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]. وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المائدة: ٩٦]. وجاء الأمر بتقوى النار كما في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].

وجاء الأمر باتقاء يوم القيامة كما في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله: قوله ﷺ: «اتق الله» أي اتخذ وقاية من عذاب الله ﷻ، وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه، قالها لمعاذ وهو صاحب دين، لأن العبد لا يخلو من تقصير في حق الله وحق العباد.

قوله: ﷺ: «اتق الله حيثما كنت» أي: في السر والعلانية. حيث يراك الناس وحيث لا يرونك اكتفاء بنظرة الله تعالى.

وفي حديث أبي الطفيل عن معاذ قال له: استح من الله استحياء رجل ذي هيبة من قومك، وقد قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

وكان بعض السلف يقول لأصحابه: (زهدنا الله وإياكم في الحرام زهد من قدر عليه في الخلوة فعلم أن الله يراه فتركه من خشيته).

وقد امتثل معاذ رضى الله عنه هذه الوصية، وكان عمر قد بعثه على عمل فقدم وليس معه شيء، فعاتبته امرأته، فقال كان معي ضاغط يمنعني من أخذ شيء، وإنما أراد معاذ ربه ﷻ فظنت امرأته أن عمر بعث معه رقيباً فقامت تشكو إلى الناس.

وتقوى الله في السر علامة على كمال الإيمان، وله تأثير عظيم في انشراح الصدر ونور الوجه وراحة البال، وإلقاء الله لصاحبه الثناء والمحبة في قلوب المؤمنين، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما أسر عبد سريرة إلا ألبسه الله ردائها علانية إن خيرًا فخيرًا وإن شرًا فشر». وقال سليم التيمي: (إن الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلته).

وتقوى الله تعالى: طاعته بامتثال أمره، واجتناب نهيه. والوصية بتقوى الله: هي وصية الله للأولين والآخرين والنيين والمؤمنين والناس أجمعين، وهي تتضمن الوصية بفعل كل طاعة، وترك كل معصية. وكذلك الوصية بإتباع الحسنة للسيئة والحسنة هي الطاعة، والسيئة هي المعصية، والحسنات يذهبن السيئات كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤].

قال طلق بن حبيب: (التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله). وقال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. قال: أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر.

وكتب عمر إلى ابنه عبد الله:

أما بعد:

«فإن أوصيك بتقوى الله ﷻ فإنه من اتقاه وقاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، واجعل التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك». واستعمل علي بن أبي طالب رضي الله عنه رجلاً على سرية فقال له: (أوصيك بتقوى الله الذي لا بد لك من لقائه، ولا منتهى لك دونه، وهو يملك الدنيا والآخرة).

وقيل لرجل من التابعين عند موته: أوصنا فقال: (أوصيكم بخاتمة سورة النحل: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]).

وقال شعبة: كنت إذا أردت الخروج قلت للحكم: ألك حاجة؟ فقال: أوصيك بما أوصى به النبي ﷺ معاذ بن جبل: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن». وكان الإمام أحمد ينشد:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ولا أن ما يخفى عليه يغيب
قوله ﷻ: «واتبع السيئة الحسنة تمحها» لما كان العبد مأموراً بالتقوى في السر والعلانية مع أنه لا بد أن يقع منه أحياناً تفريط في

التقوى، إما بترك بعض المأمورات أو بارتكاب بعض المحظورات، فأمر أن يفعل ما يمحو به هذه السيئة وهو أن يتبعها بالحسنة قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤] حمل جمهور له العلم الحديث على الصغائر، قالوا لان الكبائر لا بد لها من توبة. وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

قال شيخ الإسلام: (أن الموضوع الآن في الحديث هو الكلام على تكفير السيئات، ومحو الذنوب والأوزار، ولذلك قدم ذكرها؛ لأنه هو المطلوب هو المقصود «اتبع السيئة الحسنة تمحها»).

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه: (أن رجلاً أصاب من امرأة قبله ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزلت هذه الآية فدعاه فقرأها عليه، فقال رجل هذا له خاصة؟ قال: «بل للناس عامة»).

وللخطايا مكفرات دلت النصوص الشرعية على كثرتها وتنوعها منها: أحدها: الوضوء: قال صلى الله عليه وسلم: «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطايا من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره» [رواه مسلم].

والثاني: الصلاة قال ﷺ: «أرايتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهم الخطايا» [متفق عليه].

ومنها الصوم: قال رسول ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» [متفق عليه].

ومن ذلك أيضاً الحج والعمرة، والصدقة والذكر، والصبر على المصائب وغيرها والله الحمد والمنة، ومن أعظمها وأهمها التوبة قال تعالى عن الكفار: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] وفي الحديث: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»

قوله ﷺ: «وخالق الناس بخلق حسن». هذا من خصال التقوى، ولا تتم التقوى إلا به. وإنما أفرد بالذكر للحاجة على بيانه، فإن كثيراً من الناس يظن أن التقوى هي القيام بحق الله دون حقوق العباد، فنص له على الأمر بإحسان العشرة للناس. قال ابن المبارك: «هو بسط الوجه. وبذلك المعروف، وكف الأذى».

وقال النبي ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً» [رواه أحمد]. وقال ﷺ: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم» [رواه أبو داود] وقال ﷺ: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً» [رواه الترمذي].

وأخبر ﷺ أن حسن الخلق أثقل ما يوضع في الميزان، وأن صاحبه أحب الناس إلى الله وأقربهم من النبيين مجلساً، قال ﷺ: «ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليلج به درجة صاحب الصوم والصلاة» [رواه أحمد].

والتخلق بالأخلاق الحسنة من خصال التقوى الذي لا تتم إلا به، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿[آل عمران: ١٣٤].

وقال بعضهم: «ثلاثة أشياء عزيزة: حسن الوجه مع الصيانة، وحسن الخلق مع الديانة، وحسن الإخاء مع الأمانة».

وقال رسول الله ﷺ لعقبة بن عامر رضي الله عنه الحديث المرفوع: «يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك».

وقد وصف الله ﷻ المتقين في كتابه بمثل ما وصى به النبي ﷺ في هذا الحديث. فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٢٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٢٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٢٥) أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٢٦﴾ [آل عمران: ١٢٣-١٣٦].

وفي الحديث رافة الله بالعباد وأنه قد محى عن العباد سيئاتهم بسبب ما يفعلونه من الحسنات بعد ذلك، قال تعالى: ﴿وَيَذَرُوكَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ [الرعد: ٢٢].
بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، أحمده - سبحانه -
 - وأشكره على نعمة الجمعة، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك
 له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، بعثه للعالمين رحمة، صلى
 الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه خيار الأمة، والتابعين ومن
 تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

انتظم في هذا الحديث العظيم ثلاثة أشياء:

الأول: معاملة العبد مع ربه وكيف تكون، وقد جاءت في قوله

ﷺ: «اتق الله حيثما كنت».

والثاني: معاملة العبد لنفسه إذا قصرت في جنب الله، وقد جاءت

في قوله ﷺ: «واتبع السيئة الحسنة تمحها».

والثالث: معاملة العبد مع الناس وكيف تكون، وقد جاءت في

قوله ﷺ: «وخالق الناس بخلق حسن».

أيها المسلمون:

وردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تبين فضل التقوى، ومنها:

الأول: الجنة يرثها المتقون، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي

نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣].

الثاني: التقوى سبب لمحبة الله للعبد، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ

بِعَهْدِهِ وَأَتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦].

الثالث: فتح بركات السموات والأرض للمتقين قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

الرابع: معية الله مع المتقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ

اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

الخامس: تيسير الأمور في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ

يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِّنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

السادس: التقوى خير زاد في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا

فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَأْتُوا إِلَى الْآلِبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

السابع: العاقبة الطيبة في الدنيا والآخرة للمتقين، قال تعالى:

﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

وفي الحديث: وجوب تقوى الله عَجَّلْ حيثما كان الإنسان.
وفيه: أن الحسنات يذهبن السيئات.
وفيه: رحمة الله وفضله على عباده.
وفيه: الحث على مخالقة الناس بالخلق الحسن.
اللهم اجعلنا من عبادك المتقين، الذي لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون.
هذا وصلوا وسلموا.....

الخطبة الأولى^(١)

١٩

الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر، وأشكره على نعمه وآلائه، وأسأله
المزيد من فضله وكرمه، وقد تأذن بالزيادة لمن شكر، وأشهد ألا إله
إلا الله وحده لا شريك له يعلم ما ظهر وما استتر، وأشهد أن نبينا
محمد عبده ورسوله خير البشر، الشافع المشفع في المحشر، اللهم
صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه
السادة الغرر، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى،
واحذروا سخط الجبار، فإن أجسادكم على النار لا تقوى.

عباد الله:

روى الترمذي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «كنت خلف
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً، فقال: يا غلام! إنني أعلمك كلمات: احفظ الله
يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا

(١) الحديث التاسع عشر: «احفظ الله يحفظك».

اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِينَ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ؛ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

وفي رواية غير الترمذي: «احفظ الله تجدده أمامك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا».

عباد الله: هذا الحديث أصل عظيم في مراقبة الله، ومراعاة حقوقه، وحفظ حدوده، والتفويض لأمره، والتوكل عليه، وشهود توحيده ومننه، وعجز الخلائق كلهم وافتقارهم إليه. ومن أعظم ما يجب حفظه من أوامر الله بعد توحيده وإفراده بالعبادة؛ الصلاة، وقد أمر الله - تعالى - بالمحافظة عليها بقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَّمُونَ ﴿٣٥﴾ [المعارج: ٣٤-٣٥] وبقية أركان الإسلام.

فإن من لازم ذلك حفظه الله في نفسه وأهله، ودنياه ومماته، وكذلك حفظه في دينه وإيمانه، فحفظه من الشبهات المضلة،

والشهوات المحرقة؛ فإن الجزاء من جنس العمل. وقد أمر ﷺ بالبعد عما يغضبه، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

وقال النبي ﷺ: «من حفظ ما بين لحييه وما بين رجليه دخل الجنة». وقال ﷺ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَارْهَبُون﴾ [البقرة: ٤٠].

وبقدر حفظ العبد لحدود الله - تعالى - ينال حفظ الله ومعيته، وبهذا حفظ الله إبراهيم عليه السلام من النار التي أوقدت وألقي فيها، وأخرج يوسف من الجب؛ وصرف عنه السوء والفحشاء عندما راودته امرأة العزيز، وحمى - سبحانه - موسى من الغرق وهو رضيع، وحفظ الله حق اليتيمين لصلاح والدهما.

قوله ﷺ: «**احفظ الله يحفظك**»: أي: احفظ حدوده وحقوقه، وأوامره ونواهيه، وطاعته ومراقبته.

«**يحفظك**» الله ﷻ في نفسك ومالك وأهلك يحفظك في أمور دينك ودنياك. قال الله تعالى: ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢]، ومن حفظ الله للعبد في أموره

الأخروية أن يحفظه من تسليط الشياطين عليه ومن الشبهات المضلة، والشهوات المحرمة وأن يحفظه وينجيه من عذاب النار.

ويكون حفظ الله للعبد في الدنيا بحفظ المصالحه الدنيوية وحفظ بدنه وولده وأهله وماله ويوفقه في أمور الدنيا ويحفظه من الأمراض والأسقام والآفات، ويحفظه في ذريته وقرابته وما يحب، وقد حفظ الله مال اليتيمين بصلاح أبوهما. قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مِّنْ خَشْيِ الرَّحْمَنِ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ هُمْ مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٢-٣٥].

قال بعض السلف: (من اتقى الله فقد حفظ نفسه، ومن ضيع تقواه فقد ضيع نفسه والله غني عنه).

وقال بعضهم: (من حفظ الله في صباه وقوته، حفظه الله في كبره وضعف قوته).

ومن حفظ الله للعبد ولطفه به ما قاله ابن مسعود رضي الله عنه: (إن العبد ليهم بالأمر من التجارة والإمارة حتى يسر له فينظر الله إليه فيقول للملائكة اصرفوه عنه فإنه إن يسرته له أدخلته النار فيصرفه الله عنه، فيظل يتطير بقوله: سبني فلان، وأهانني فلان وما هو إلا فضل الله ﷻ).

وعند الطبراني من حديث أنس عن النبي ﷺ: «يقول الله ﷻ: إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر وإن بسطت عليه أفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من يطلب بابا من العبادة فأكفه عنه لكيلا يدخله العجب، إني أدبر أمر عبادي بعلمي بما في قلوبهم إني عليم خبير».

وفي الجملة فالله ﷻ يحفظ على المؤمن الحافظ لحدوده دينه، ويحول بينه وبين ما يفسد عليه دينه بأنواع من الحفظ، وقد لا يشعر العبد ببعضها، وقد يكون كارهاً له كما قال تعالى في حق يوسف عليه السلام: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

وفي قوله ﷺ: «**احفظ الله تجده تجاهك**». وفي رواية: «أمامك» معناه أن من حفظ حدود الله ورعى حقوقه، وجد الله معه في كل أحواله حيث توجه، يحوطه وينصره، ويحفظه ويوفقه ويسدده حيث كان فيأنس به ويستغني به عن خلقه، وخص الأمام من بين بقية الجهات الست؛ إشعاراً بشرف المقصد وبأن الإنسان مسافر إلى الآخرة غير مقيم في الدنيا، والمسافر إنما يتطلب أمامه. فهو تعالى الحافظ النافع الضار بيده مقاليد الأمور سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] وهذه معية خاصة، وأما المعية العامة فهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

كتب بعض السلف إلى أخ له: (أما بعد، فإن كان الله معك فمن تخاف، وإن كان عليك فمن ترجو؟).

قوله ﷺ: «**إذا سألت فسأل الله**» أي؛ إذا دعوت فسؤال الله تعالى دعاؤه والرغبة إليه، والدعاء مخ العبادة. قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ

رَبُّكُمْ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ [غافر: ٦٠]. فتضمن قوله: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»، أي؛ أن يسأل الله ﷻ ولا يسأل غيره، وأن يستعان بالله دون غيره. وأن لا يتخذ إلهاً سواه ولا يتعلق بغيره في جميع أموره ما قل منها وما كثر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

قال النبي ﷺ: «سلوا الله من فضله؛ فإن الله يحب أن يسأل»

[رواه الترمذي].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن بني فلان أغاروا عليّ فذهبوا بابني وإبلي، فقال له النبي ﷺ: «إن آل محمد كذا وكذا أهل بيت، مالهم مد من طعام فاسأل الله ﷻ» فرجع إلى امرأته وقالت ما قال لك؟ فأخبرها فقالت: نعم ما رد عليك، فما لبث أن رد الله عليه ابنه وإبله أوفر ما كانت، فأتى النبي ﷺ فأخبره فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، فأمر الناس بمسألة الله ﷻ والرغبة إليه، وقرأ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢] فالله سبحانه وتعالى يحب أن يسأل، ويغضب على من لا يسأله، والمخلوق

بخلاف ذلك. قال بعضهم:

والله يغضب إن تركت سؤاله وبنى آدم حين يُسأل يغضب
وقال طاوس لعطاء: (إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق
دونك بابه، وجعل دونها حجابها، وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم
القيامة، أمرك أن تسأله، ووعدك أن يجيبك).

وفي الحديث قوله ﷺ: «**وَإِذَا اسْتَعْنْتَ فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ**» أي؛ طلبت
المعونة فاستعن بالله ﷻ واطلب العون منه، فالعبد محتاج إلى
الاستعانة بالله في أمور دينه ودنياه، وهو معنى قوله: لا حول ولا قوة
إلا بالله أي: لا تحوّل للعبد من حال إلى حال، ولا قوة له على ذلك
إلا بالله. وقال النبي ﷺ: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا
تعجز**» فهو الذي بيده ملكوت السموات والأرض. هذا منتزع من
قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

قال ابن دقيق العيد: (وقوله ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا
اسْتَعْنْتَ فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ**» أرشده إلى التوكل على مولاه، وأن لا يتخذ
رباً سواه، ولا يتعلق بغيره في جميع أموره ما قل منها وما كثر. وفيه
تحقيق التوحيد بالاستغناء بالله عن خلقه، بترك سؤالهم وترك
الاستعانة بهم وصرف ذلك لله وحده، فينزل العبد حوائجه بربه
ويطلب العون منه).

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]
 فبقدر ما يركن الشخص إلى غير الله تعالى بطلبه أو بقلبه أو بأمله
 فقد أعرض عن ربه بمن لا يضره ولا ينفعه، وكذلك الخوف من غير
 الله، وقد أكد النبي ﷺ ذلك فقال: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على
 أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا
 على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك» فهو
 النافع الضار، بيده مقاليد الأمور سبحانه وتعالى وهذا هو الإيمان
 بالقدر والإيمان بالقدر يهون المصيبة ويعين على الصبر، ويمنع من
 الاعتماد على الأسباب.

قوله ﷺ: «رفعت الأقلام» أي تركت الكتابة بها لفراغ الأمر
 «وجفت الصحف»، وفي رواية: جف القلم بما هو كائن» هذا كناية
 عن تقدم كتابة المقادير والفراغ منها. قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ
 مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ
 أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

وروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث عباده بن
 الصامت عن النبي ﷺ قال: «إن أول ما خلق الله القلم، ثم قال له
 اكتب فكتب في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة».

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه».

عباد الله:

في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة» هذه معرفة خاصة، فمن اتقى الله وحفظ حدوده في حال رخائه وصحته وأمنه وغناه عرفه ربه في حال شدته، فأجاب دعاءه ونجاه من الشدائد. ومن اتقى الله في الرخاء، وقاه الله ما يكره، ويسر أموره، وهون عليه الشدائد وكشف غمه، ونفس كربته.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم كما روى ذلك الترمذي: «من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء». أي؛ رخاء الحياة كالصحة والغنى والأمن.

وقال الضحاك بن قيس: (اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة، إن يونس عليه السلام كان يذكر الله تعالى، فلما وقع في بطن الحوت قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [١٤٣] ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصفات: ١٤٣، ١٤٤]، وإن فرعون كان طاغياً ناسياً لذكر الله، فلما أدركه الغرق قال: آمنت، فقال الله تعالى: ﴿ءَاَلَسَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١].

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]. قال: «ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة».

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

وفي الحديث قوله ﷺ: «واعلم أن النصر مع الصبر» وفي رواية: «واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً». وفيه البشارة بالنصر إذا تحقق الصبر، وبالفرج إذا اشتد الكرب وأن العسر لا يدوم بل يعقبه يسر، بل يسر ان كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦].

والمؤمن بالقضاء والقدر في المصائب له حالتان: الحالة الأولى؛ الصبر وهو واجب. والثانية؛ الرضا وهو مستحب وهي الدرجة العالية، والصبر كف النفس وحبسها عن السخط، والرضا: انشراح الصدر بالقضاء.

قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١].

قال علقمة: «هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم. وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]».

قال بعض السلف: (الحياة الطيبة هي الرضا والقناعة. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]).

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَدَشِّرَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

عباد الله:

الرضا عزيز ولكن الصبر معول المؤمن. وقوله ﷺ: «واعلم أن

النصر مع الصبر».

موافق لقول الله ﷻ: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وقال بعض السلف: (كلنا يكره الموت وألم الجراح ولكن نتفاضل بالصبر. وقال إبراهيم بن علقمة لقوم جاءوا من الغزو: قد جئتم من الجهاد الأصغر فما فعلتم في الجهاد الأكبر؟ قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد القلب).

قوله ﷺ: «وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ» وهذا من لطف الله ﷻ بعباده إذ يأتي بالفرج وهو السعة وانكشاف الشدة بعد الكرب، وباليسر بعد العسر. وفيه الإرشاد إلى حسن الظن بالله، وانتظار الفرغ واليسر عند الكرب والعسر، وترك القنوط من رحمة الله، يشهد لذلك قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ [الشورى: ٢٨]. وقول النبي ﷺ: «يضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره». وقوله تعالى: ﴿وَضُنُّوا أَنْهُمْ قَدْ كَذَبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠]. وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

قوله ﷺ: «وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» هذا منتزع من قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]. وقوله ﷻ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [شرح: ٦، ٥].

وجاء في الحديث المرفوع: «لو جاء العسر فدخل هذا الجحر
لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه».

قال الفضيل: (والله لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئاً
لأعطاك مولاك كل ما تريد) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَنْ
يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ
يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ
لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله فضل من شاء من عباده، ورفع في الجنة منازل أحبائه، وبشرهم بجنة عرضها السماوات والأرض وما فيها من الزيادة، أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، المبعوث رحمة للعالمين، وحجة على الناس أجمعين، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

هذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة. وقواعد كلية من أهم أمور الدين، وهو أصل في الإيمان بالشرع والقدر. وفي الحديث: أن من حفظ حدود الله والتزمها نال الخير كله، وأعظمها معية الله - تعالى -، وفي الجملة فمن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه، عامله الله باللطف والإعانة في حال شدته. وحفظه في مصالح دنياه كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله. وفيه تحريم سؤال غير الله - تعالى - مما لا يقدر عليه إلا هو، كالرزق والشفاء، والمغفرة والنصر، وغيرها.

عباد الله:

هذا الحديث أصل عظيم في تربية الصبيان وتوجيههم، وكله يدور على تعلق القلب بالله والالتفات إليه، وقطع الطمع والرجاء في ماعند الناس، وتفويض الأمر إلى الله، وطلب العون من الله - تعالى - دون غيره.

وفيه: استحباب تعليم ناشئة المسلمين حتى ينشأوا على الخوف من الله والطمع فيما عنده، وكذلك ملاطفتهم ونصحهم وتوجيه النصيحة لهم.

وفي الحديث: بيان أن الأقلام رفعت وأن الصحف جفت، وهو كناية عن تقدم كتابة المقادير كلها.

وعلى المسلم أن يعلم أن النصر مع الصبر، مع الإيمان بالقضاء والقدر وأن «ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطاك لم يكن لصيبك» فذلك يكون فيه تسلية له عند المصائب.

ومن لطائف اقتران الفرج بالكرب واليسر بالعسر، إن الكرب إذا اشتد وتناهى أيس العبد من جميع المخلوقين، وتعلق قلبه بالله وحده، وهذا هو التوكل على الله، وهو من أعظم ما تطلب به الحوائج، ومن توكل على الله كفاه.

وفي الحديث: بشارات؛ أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع
الكرب، وأن اليسر مع العسر.
وفيه: حسن تربية الصغار وتعليمهم ما ينفعهم.
وفيه: البشارة العظيمة للصابرين، وأن النصر مقارن للصبر.
هذا وصلوا وسلموا....

الخطبة الأولى^(١)

٢٠

الحمد لله المتوحد بالعظمة والجلال، المتعالي عن الأشباه والأمثال، أحمده - سبحانه - وأشكره، منّ علينا بواسع الفضل وجزيل النوال، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ومصطفاه من خلقه، كتب الفلاح لمن اتبعه وسار على شرعه، ففاز في الحال والمآل، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه خير صحب وآل، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله -أيها المؤمنون - فبتقوى الله تزكو الأعمال، وتنال الدرجات، وارغبوا فيما عنده، فبيده الخير وهو على كل شيء قدير، اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم، ولا تتبعوا من دونه أولياء.

أيها المسلمون:

الحياء خلق الإسلام والمسلمين، وهو من أجمع شعب الإيمان،

(١) الحديث عشرون: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

فإذا اتصف الإنسان بالحياء من الله الذي يراه ويسمعه ويعلم ما يكنه ضميره، فعل جميع الواجبات والمستحبات وترك المحرمات والمكروهات، وإذا استحيا من الناس لم يواجههم بما يكرهون مما يخل بالدين والأدب والشرف والمروءة، وإذا استحيا من نفسه حاسبها فيما يصدر منه من الأقوال والأفعال وأخذها على الحق وموافقة الشرع.

روى البخاري عن ابن مسعود عتبة بن عمرو الأنصاري البصري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ».

الحياء من شعب الإيمان، وهو عمل قلبي يبعث العبد على فعل الجميل وترك القبيح من منكر ودنيء. عباد الله:

هذا الحديث أصل في الحياء. وهو سبيل المؤمنين وطريق الأنبياء والمرسلين. وفيه عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ» أي؛ مما وصل إليهم.

«من كلام النبوة الأولى» أي؛ أن هذا مأثور عن الأنبياء المتقدمين قبل نبينا محمد ﷺ. وأن الناس تداولوه بينهم، وتوارثوه عنهم قرناً بعد قرن، واشتهر بين الناس حتى وصل إلى أول هذه الأمة.

وشرع من قبلنا على قسمين:

القسم الأول: ما نقل بواسطة الأمم السابقة فمثل هذا لا يحتج به ولا يصح أن يبنى عليه أي حكم شرعي، وذلك لعدم الثقة بالناقلين.

القسم الثاني: ما نقل بواسطة شرعنا إما في الكتاب أو في السنة، فمنه ما ورد تقريره وإثبات حكمه ومنه منسوخ لا يحكم به.

قوله ﷺ: **«إذا لم تستح فاصنع ما شئت»** قيل: إذا أردت فعل شيء، فإن كان مما لا يستحي فيه من الله ولا من الناس لإباحته فافعل وإلا فلا، فالأمر للإباحة.

وقيل: أنه أمر بمعنى التهديد والوعيد. والمراد؛ إذا لم يكن حياء، فأعمل ما شئت، فإن الله يجازيك على ما صنعت.

وقيل: أنه أمر بمعنى الخبر. والمراد: أن من لم يستح صنع ما شاء؛ فإن المانع من فعل القبائح هو الحياء، فمن لم يكن له حياء انهمك في كل فحشاء ومنكر.

قوله ﷺ: **«إذا لم تستح فاصنع ما شئت»** تهديد ووعيد، كقوله تعالى: **﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** [فصلت: ٤٠].

وفي بعض الآثار: **«إذا أبغض الله عبداً نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا بغضاً مبغضاً»**. لأن عدم الحياء يوجب الاستهتار

والانهماك في هتك الأستار.

قال المظهر: (معناه؛ اتفاق كلام الأنبياء، ﷺ على استحسان الحياء؛ فما من نبي إلا وقد ندب إليه، وبعث عليه، ولم يُنسخ فيما نسخ من شرائعهم، ولم يبدل فيما بدل منها: وذلك أنه أمر قد علم صوابه، وبان فضله، واتفقت العقول على حسنه، وما كان هذا صفته، لم يجز عليه النسخ والتبديل).

وعن ابن عباس قال: (الحياء والإيمان في قرن فإذا نزع أحدهما تبعه الآخر).

قال التوربشتي: (المعنى: أن مما بقي بين الناس فأدركوه من كلام الأنبياء).

وقال القاضي: (أي؛ مما بلغ الناس من كلام الأنبياء المتقدمين أن الحياء هو المانع عن أقتراف القبائح، واشتغال بمنهيات الشرع ومستهجنات العقل، فمن لم يستحي من الله، ولا من الخلق، كان مطلقاً خليع العذار، لا وازع له، ولا مانع من أن يفعل ما شاء).

وقال يحيى بن جعده: (إذا رأيت الرجل قليل الحياء فاعلم أنه مدخول في نسبه).

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: إن الله إذا أراد بعبد هلاكاً نزع

منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء، لم تلقه إلا مقيتا ممقتا، فإذا كان مقيتا ممقتا، نزع منه الأمانة، فلم تلقه إلا خائنا مخونا، فإذا كان خائناً مخوناً نزع منه الرحمة، فلم تلقه إلا فظاً غليظاً، نزع ربق الإيمان من عنقه، فإذا نزع ربق الإيمان من عنقه لم تلقه إلا شيطاناً لعينا ملعنا.

وقد جعل النبي ﷺ الحياء من الإيمان، في الصحيحين عن ابن عمر أن النبي ﷺ مرّ على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء يقول: إنك تستحي كأنه يقول قد أضرب بك. فقال رسول الله ﷺ: «دعه فإن الحياء من الإيمان».

والحياء نوعان:

أحدهما: ما كان خلقاً وجبلة غير مكتسب، وهو من أجل الأخلاق التي يمنحها الله العبد ويجبله عليها.

الثاني: ما كان مكتسباً من معرفة الله، ومعرفة عظمتة وقربه من عباده، وإطلاعه عليهم، وعلمه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهذا من أعلى خصال الإيمان بل هو من أعلى درجات الإحسان. والحياء خلق محمود إلا إذا منع ما يجب كمن يمنعه الحياء من أن ينكر المنكر مع وجوبه فهذا حياء مذموم، أو وقع فيما يحرم.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «الحياء شعبة من

الإيمان» وفي الصحيحين عن عمران بن حصين، عن النبي ﷺ قال: «الحياء لا يأتي إلا بخير» وفي رواية لمسلم قال: «الحياء خير كله» أو قال: «الحياء كله خير».

فالحياء يكف صاحبه عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق، ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليتها. قال بعض السلف: (رأيت المعاصي ندالة فتركتها مروءة فاستحالت ديانة).

وفي حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ: «الاستحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وأن تذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله» [رواه أحمد والترمذي].

قال ابن القيم: (خلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا، بل هو خاصة الإنسانية، فمن لا حياء فيه، فليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتها الظاهرة، كما أنه ليس معه من الخير شيء).

وروى عبد الغني بن سعيد في كتاب أدب المحدث عن حرمة

بن عبد الله قال: «أتيت النبي ﷺ لأزداد من العلم، فقامت بين يديه، فقلت: يا رسول الله ما تأمرني أن أعمل به؟ قال: «أئت المعروف، واجتنب المنكر، وانظر الذي سمعته أذنك من الخير الذي يقوله القوم لك إذا قمت من عندهم فأتته، وانظر الذي تكره أن يقوله القوم لك إذا قمت من عندهم فاجتنبه»، قال: فنظرت فإذا هما أمران لم يتركا شيئاً: إتيان المعروف، واجتناب المنكر».

وحقيقة الحياء: خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق.

وقد قسم «الحياء» على عشرة أوجه: حياء جنائية. وحياء تقصير. وحياء إجلال. وحياء كرم. وحياء حشمة. وحياء استصغار للنفس واحتقار لها. وحياء محبة. وحياء عبودية. وحياء شرف وعزة. وحياء المستحيي من نفسه. فأما:

١ - حياء الجنائية: فمنه حياء آدم ﷺ لما فر هارباً في الجنة. قال تعالى: «أفراراً مني يا آدم؟ قال: لا يا رب. بل حياء منك».

٢ - وحياء التقصير: كحياء الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون، فإذا كان يوم القيامة، قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك.

٣ - وحياء الإجلال: هو حياء المعرفة، وعلى حسب معرفة العبد

بربه يكون حياؤه منه.

٤- وحياء الكرم: كحياء النبي ﷺ من القوم الذين دعاهم إلى وليمة زينب، وطولوا الجلوس عنده. فقام واستحى أن يقول لهم: انصرفوا.

٥- وحياء الحشمة: كحياء علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يسأل رسول الله ﷺ عن المذي لمكان ابنته منه.

٦- وحياء الاستحغار، واستصغار النفس: كحياء العبد من ربه ﷻ حين يسأله حوائجه، احتقاراً لشأن نفسه، واستصغاراً لها، وفي أثر إسرائيل: «إن موسى عليه السلام قال: يا رب، إنه لتعرض لي الحاجة من الدنيا، فأستحي أن أسألك هي يا رب، فقال الله تعالى: سلني حتى ملح عجيتك، وعلف شاتك».

وقد يكون لهذا النوع سببان:

أحدهما: استحغار السائل لنفسه، واستعظام ذنوبه وخطاياها.

الثاني: استعظام مسؤوله.

٧- وأما حياء المحبة: فهو حياء الحب من محبوبة، حتى إنه إذا خطر على قلبه في غيبته هاج الحياء من قلبه، وأحس به في وجهه ولا يدري ما سببه؛ وكذلك يعرض للمحب عند ملاقاته محبوبة

ومفاجأته له روعة شديدة.

وأما الحياء الذي يعتريه منه، وإن كان قادراً عليه - كأمته وزوجته - فسببه - والله أعلم - أن هذا السلطان لما زال خوفه عن القلب بقيت هيئته واحتشامه، فتولد منها الحياء. وأما حصول ذلك له في غيبة المحبوب، فظاهر لا ستيلائه على قلبه، فوهمه يغالطه عليه ويكابره، حتى كأنه معه.

٨ - وأما حياء العبودية: فهو حياء ممتزج من محبة وخوف، ومشاهدة عدم صلاح عبوديته لمعبوده، وأن قدره أعلى وأجل منها؛ فعبوديته له توجب استحياءه منه لا محالة.

٩ - وأما حياء الشرف والعزة: فحياء النفس العظيمة الكبيرة إذا صدر منها ما هو دون قدرها من بذلك أو عطاء وإحسان. فإنه يستحي مع بذله حياء شرف نفس وعزة. وهذا له سببان.

أحدهم: هذا. والثاني: استحياءه من الآخذ حتى كأنه هو الآخذ السائل. حتى إن بعض أهل الكرم لا تطاوعه نفسه بمواجهته لمن يعطيه حياء منه، وهذا يدخل في حياء منه، وهذا يدخل في حياء التلوم لأنه يستحي من خجلة الآخذ.

١٠ - وأما حياء المرء من نفسه: فهو حياء النفوس الشريفة الرفيعة

من رضاها لنفسها بالنقص، وقناعتها بالدون؛ فيجد نفسه مستحيًا
من نفسه، حتى كأن له نفسين، يستحي بإحدهما من الأخرى وهذا
أكمل ما يكون من الحياء؛ فإن العبد إذا استحيى من نفسه؛ فهو بأن
يستحيى من غيره أجدر.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَمَا يَسْتَوِ الْأَحْيَاءُ وَلَا
الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: ٢٢].
بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، حمداً طيباً كثيراً، وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً، من ركن إليه كفاه وآواه، واكتنفه وحماه، وكفى بالله وكيلاً، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واذكروا وقوفكم بين يديه، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

الحياء أحد الفروع في شجرة الإيمان العظيمة، التي جاء بها الإسلام. قال أبو حاتم: «إن المرء إذا اشتد حياؤه صان عرضه، ودفن مساويه، ونشر محاسنه؛ ومن ذهب حياؤه ذهب سروره، ومن ذهب سروره هان على الناس ومقت، ومن مقت أو ذي، ومن أودى حزن، ومن حزن فقد عقله، ومن أصيب في عقله كان أكثر قوله عليه لا له، ولا دواء لمن لا حياء له، ولا حياء لمن لا وفاء له، ولا وفاء لمن لا إخاء له، ومن قلَّ حياؤه صنع ما شاء، وقال ما أحب».

عباد الله:

الحياء نوعان: أحدهما ما كان خلقاً وجبلة غير مكتسب، وهو من

أجل الأخلاق التي يمنحها الله العبد ويجعله عليها، ولهذا قال ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير» فإنه يكف عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق، ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليتها، فهو من خصال الإيمان بهذا الاعتبار.

والثاني: ما كان مكتسباً من معرفه الله ومعرفته عظمته وقربه من عباده. وإطلاعه عليهم وعلمه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهذا من أعلى خصال الإيمان بل هو من أعلى درجات الإحسان. وقد يتولد الحياء من الله من مطالعة نعمه ورؤية التقصير في شكره، فإذا سلب العبد الحياء المكتسب والغريزي ليم يبق له ما يمنعه من ارتكاب القبيح والأخلاق الدنيئة، فصار كأنه لا إيمان له. والحياء الذي ينشأ عنه الإخلال بالحقوق ليس حياءً شرعياً بل هو عجز ومهانة، فالحياء الذي يؤدي بصاحبه في التقصير في حقوق الله، فيعبد الله على جهل ولا يسأل عن دينه، أو لا يأمر بالمعروف ولا ينهي عن المنكر فهو من الحياء المذموم.

وفي الحديث: أن الأمر بالحياء مأثور عن الأنبياء والمتقدمين. وفيه: أن الحياء من خصائص الإنسان التي حباها الله إياه ليرتدع عن ارتكاب كل ما يشتهي فلا يكون كالبهيمة. هذا وصلوا..

الخطبة الأولى^(١)

٢١

الحمد لله، شرح بفضله صدور أهل الإيمان بالهدى، وأضل من شاء بحكمته وعدله، فلن تجد له ولياً مرشداً، أحمده - سبحانه - وأشكره، وأتوب إليه واستغفره، أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً فرداً صمداً، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، كرم أصلاً، وطاب محتداً، خصه ربه بالمقام المحمود وسماه محمداً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، هم النجوم بهم يهتدى، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتدى.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس - ونفسي - بتقوى الله وَعَلَيْكُمْ، اتقوا الله، وأصلحوا قلوبكم وسرائركم تسعدوا.

أيها المسلمون:

الصراط المستقيم، صراط الله سبحانه وتعالى، وهو الذي ندعوا الله

(١) الحديث الحادي عشر: «قل آمنت بالله ثم استقم».

وَجَّكَ في كل صلاة أن يهدينا إليه ويثبتنا عليه، فإن من استقام على الصراط المستقيم وأدى ما افترض الله عليه وترك ما نهى عنه ولزم طاعته، ورجا ثوابه، وخاف عقابه؛ كان من الناجين برحمة الله تعالى.

وفي هذا الحديث الذي رواه مسلم **عَنْ أَبِي عَمْرٍو وَقِيلَ: أَبِي عَمْرَةَ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ؛ قَالَ: قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمَّ».**

عباد الله: حرص الصحابة على سؤال النبي ﷺ فيما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وفي هذا الحديث: سأل سفيان بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النبي ﷺ عن قول جامع لمعاني الدين، واضحاً في نفسه بحيث لا يحتاج إلى تفسير ومزيد إيضاح.

في الحديث **«قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ»** أي في دينه وشرعة **«قَوْلًا»** جامعاً لمعاني الدين، واضحاً في نفسه بحيث لا يحتاج إلى تفسير غيرك أعمل عليه وأكتفي به بحيث **«لا أَسْأَلُ»** ولا يحوجني لما اشتمل عليه من بديع الإحاطة والشمول، ونهاية الإيضاح والظهور على أن أسأل **«عنه أحداً غيرك»**.

فقال ﷺ كلاماً هو من جوامع الكلم، فأمره بالإيمان، وثمرته العلم والاستقامة على طاعة الله.

قال ﷺ له: «**قل: آمنت بالله، ثم استقم**» والإيمان بالله: يشمل الإيمان بوجود الله ﷻ، وبربوبيته، وبألوهيته، وبأسمائه وصفاته.

قال ﷺ: «**قل آمنت**» أي، جدد إيمانك متذكراً بقلبك، ذاكراً بلسانك وفي قوله: «قل آمنت بالله» هذا في القلب لأن محل الإيمان القلب. قال أهل العلم: قول القلب: هو إقراره واعترافه. فقوله: «**قل: آمنت**» يشمل قول اللسان وقول القلب. أي، جدد إيمانك متذكراً بقلبك، ذاكراً بلسانك «**ثم استقم**» على عمل الطاعات وهذا في عمل الجوارح، والانتها عن جميع المخالفات.

«**ثم استقم**» على عمل الطاعات، والانتها عن جميع المخالفات.

فالاستقامة: تعني التوسط بين الإفراط والتفريط، وبين التساهل وعدم المبالاة، وبين الغلو والتشدد.

والاستقامة: لزوم ما شرعه الله ﷻ في التوحيد وإخلاص العبادة لله، وفي الآداب والإخلاق والتعامل مع الناس، وفي كل ما يفعله الإنسان في هذه الدنيا، يكون مستقيماً على المنهج الصحيح الذي رسمه الله - تعالى - وبينه رسوله ﷺ، وهذا هو منهج الذين أنعم الله عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿١﴾ صِرَاطَ

الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٦٧﴾
 [الفاتحة: ٦-٧] فالذين أنعم الله عليهم هم: أهل الاستقامة من النبيين
 والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.
 وهاتان الكلمتان جمعتا الدين كله. فالإيمان بالله يتضمن
 الإخلاص له في العبادة، والاستقامة تتضمن التمشي مع شريعته ﷺ،
 فيكون جامعاً لشرطي العبادة وهما: الإخلاص والمتابعة.
 قال ابن عباس: عند قوله ﴿ثُمَّ اسْتَقِمُوا﴾ «أي؛ استقاموا على
 طاعة الله».

قال ابن رجب: والاستقامة في سلوك الصراط المستقيم، وهو
 الدين القويم من غير تعويج عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل
 الطاعات كلها: الظاهرة والباطنة وترك المنهيات كلها. والاستقامة
 معنى جامع لكل خير. وقد قال النبي ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا،
 واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا
 مؤمن» [رواه الإمام أحمد]. وقال ﷺ: «سددوا وقاربوا، واعلموا أنه لن
 ينجو أحد منكم بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا
 أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل».

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (الاستقامة أن تقوم على الأمر والنهي ولا تروغ عنه روغان الثعلب).
ومرجع الاستقامة إلى أمرين:
الأول: صحة الإيمان بالله.

الثاني: اتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهراً وباطناً.

قال العلماء: معنى الاستقامة لزوم طاعة الله تعالى، وقيل: الاستقامة درجة بها كمال الأمور وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها، ومن لم يكن مستقيماً في حال سعيه ضاع سعيه وخاب جده. والمقاربة: القصد الذي لا غلو فيه ولا تقصير. والسداد: الاستقامة والإصابة.

قال ابن أبي جمرة: (فيه دلالة على أنه ليس أحد من الخلق يقدر على توفية حق الربوبية، يؤخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»).

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في هذا الشأن: (فالذي مضى تصلحه بالتوبة والندم والاستغفار، وذلك شيء لا تعب عليك فيه ولا نصب ولا معاناة عمل شاق إنما هو عمل قلب، وتمتنع فيما يستقبل من الذوب، وامتناعك ترك وراحة، ليس هو عملاً بالجوارح

يشق عليك معاناته، وإنما هو عزم ونية جارفة تريح بدنك وقلبك وسرك، فما مضى تصلحه بالتوبة، وما يستقبل تصلحه بالامتناع والعزم والنية).

وفي قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦] إشارة إلى أنه لا بد من تقصير في الاستقامة المأمور بها، فيجبر ذلك بالاستغفار المقتضي للتوبة والرجوع إلى الاستقامة.

وقد وعد الله أهل الاستقامة بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠] تنزل عليهم ملائكة الرحمة عند الموت، تبشرهم ألا تخافوا مما أنتم قادمون عليه لأنكم قادمون على رب رحيم وعلى جنات النعيم، ولا تحزنوا على ما تركتم من الأولاد والزوجات الذين تخافون عليهم الضياع، فإن الله حافظهم. وتبشرهم بالجنة عند سكرات الموت.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (استقاموا والله على طاعته، ولم يروغوا وروغان الثعلب).

والاستقامة هي سلوك الصراط المستقيم وهو الدين القويم، ويشمل ذلك فعل الطاعات وترك المنهيات، والاستقامة معنى جامع

لكل خير. وقد قال النبي ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن» [رواه الإمام أحمد]. وقال ﷺ: «سدّدوا وقاربوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل».

فإذا كان هو وهو خير البشر لا يقدر على ذلك فالغير أحلى وأولى، ما لا نعرفه كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]. فكيف غير ذلك من أنواع التكاليفات، فما بقي إلا أخبر به الصادق وهو التغمد بالفضل والرحمة.

ومن فوائد الاستقامة؛ نزول الغيث من السماء فينتفع به أهل الأرض من إنسان ودواب وشجر ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُّوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦].

عباد الله:

هذا الحديث من جوامع الكلم التي أوتيتها ﷺ، فإنه جمع لهذا السائل في هاتين الكلمتين معاني الإسلام والإيمان كلها، وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [الأحقاف: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ [هود: ١١٢].

عباد الله:

إن مما يعين على الثبات على دين الله والاستقامة على أمره عدة عوامل منها:

أولاً: الاعتصام بالكتاب والسنة والتمسك بهما، في الحديث: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي».

ثانياً: استدامة الطاعة والمحافظة على النوافل والمستحبات فإنها مما يقرب إلى الله ﷻ بعد أداء العبد للنوافل المفروضة.

ثالثاً: كثرة الدعاء والإلحاح على الله ﷻ وطلب الثبات منه، وكان من دعاء النبي ﷺ: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» وكان ﷺ يقول: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد».

رابعاً: الالتفاف حول العلماء وطلب العلم، ومرافقة الصالحين والتأسي بالأخيار.

خامساً: القيام بأعمال الخير ونفع الغير، وعدم احتقار الأعمال وإن كانت يسيرة ففي الحديث: «اتق النار ولو بشق تمرة».

سادساً: كثرة ذكر الله ﷻ في كل حين وعلى كل حال ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وقد أمر الله بالذكر الكثير في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۖ﴾ [٤١] هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

أيها المسلمون: لما كان العبد معرض للزلل والنقص ولا بد أن يحصل شيء من التقصير في طريق الإستقامة، أمر الله المستقيمين بالاستغفار فقال تعالى: ﴿فَاسْتَغْفِرُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا لَهُ﴾ [فصلت: ٦] فالزموا الجادة وحافظوا على الإستقامة واكثروا من الاستغفار. هذا وصلوا..

الخطبة الثانية

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله إله العالمين، وأشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله الأمين.

أما بعد:

فإن المسلم يحرص على معرفة أسباب الهداية، ويجب عليه أن يكون أحرص على معرفة عوامل الثبات على دين الله، ذلك لأن الثبات على دين الله حتى الممات هو ثمرة الهداية، وهو طريق إلى الجنة برحمة الله، وما أتعس المرء وأقل حظه حين يذوق طعم الإيमान ويسبغ الله عليه الهداية العظيمة ثم يترك بعض ذلك لغرق في أحوال الإثم والمعصية، وربما الكبائر والعياذ بالله.

عباد الله:

وفي هذا الحديث: وجوب الطاعة حتى الموت كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] وقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

وفيه فضيلة الإيمان والاستقامة وعظم أجرهما، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣] وقد رُود أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية ثم قال: «قد قال الناس ثم كفر أكثرهم فمن مات عليها فهو ممن استقام» [رواه الترمذي].

وفيه مشروعية ترك الإنسان لاتباع هواه وأن يستجيب لأوامر ربه جل وعلا ويدل على هذا قوله سبحانه: ﴿فَلِذَلِكَ فَادَّعِ وَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الشورى: ١٥] فدل هذا على أن الاستقامة تكون باتباع الأوامر الشرعية، وأن مما ينافيها اتباع الهوى، وقد قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦].

والاستقامة مأخوذة من وضع الطريق المستقيم: ان المرء يسير على طريق واضح بإقامة شرائع الدين. وجاء في المسند أن النبي ﷺ قال: «استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا

يحافظ على الوضوء إلا مؤمن» [رواه ابن ماجه] فالاستقامة تشمل ما في القلب باستمراره على توحيد الله ﷻ، ولهذا قال أبوبكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣] قال: «لم يلتفتوا على غيره».

هذا وصلوا.

الخطبة الأولى^(١)

٢٢

الحمد لله الذي بنعمته اهتدى المهتدون، وبعدله ضل الضالون، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، أحمدُه - سبحانه - على هدايته وتوفيقه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له لا رب لنا سواه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - حق التقوى، فالتقوى جماع الخيرات وبها تحصل البركات. ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].
أيها المسلمون:

الجنة أغلى المطالب وأعلى المنازل، سعى إليها الجادون، وشمروا إليها الموفقون، ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون عن الطريق ويبحثون عن الجادة الموصلة إليها. وهذا يدل على كمال الحرص والاهتمام

(١) الحديث الثاني والعشرون: «أرأيت إذا صليت المكتوبات وصمت رمضان».

بنعيم الجنة واشتغال القلب بهم الآخرة وحسن العاقبة، ووجود هذا في قلب المؤمن علامة على صدق إيمانه وإخلاصه وتعلقه بالله وإيثاره الآخرة على الدنيا الفانية، وهكذا كان صحابة رسول الله ﷺ، وكان رسولنا أشد الناس تعلقاً بالله وزهداً في الدنيا واشتغلاً بهم الآخرة، ولذا قال ﷺ: «مالي وللدنيا وما أنا والدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها» [رواه أحمد].

عباد الله:

هذه الخطبة شرح لحديث من أحاديث كتاب «الأربعون النووية» قال عن الحديث ابن حجر: «هذا الحديث جامع للإسلام؛ أصولاً وفروعاً».

وقال القاضي عياض: «هذا الحديث شمل جميع وظائف الإيمان والسنن».

ورأى الحديث هو الصحابي: جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري، من أكابر الصحابة، استشهد والده عبد الله في غزوة أحد، كف بصره آخر عمره، وتوفي بالمدينة عن أربع وتسعين سنة.

روى مسلم عن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه: «أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوباتِ،

وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحَلَلْتُ الْحَلَالَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا؛ أَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ.

أيها المسلمون:

هذا الحديث أصل في حصول النجاة والفوز بالجنة لمن اقتصر على أداء الفرائض، واجتناب المحارم، وهو المقتصد. جاء في الحديث قوله: «أرأيت» بمعنى أخبرني وأفنتي. «إذا صليت المكتوبات» أي المفروضات، وهي الصلوات الخمس قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

«وصمت» شهر «رمضان».

ومعنى «حرمت الحرام»: أي أجتنبته معتقداً حرمة. والحرام يتفاوت، فأعظم ما حرم عزوجل الشرك وترك الصلاة وعقوق الوالدين. ومعنى أحللت الحلال: فعلته معتقداً حله وفعلت الواجب منه.

وفي قوله «ولم أزد على ذلك شيئاً» محتمل أن يكون أكتفى منه بذلك لقرب عهده بالإسلام، حتى يأنس ويحرص على الخير وتسهل عليه الفرائض، ويحتمل أنه قال له ذلك لأنه لم يتفرغ للنوافل لشغله بالجهاد أو غيره من أعمال البر.

«أدخل الجنة؟» أي، من غير عذاب سابق على ذلك، والجنة

هي دار المتقين.

في الحديث القدسي: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت

ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» [رواه البخاري].

وفي الكتاب المنزل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ

أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

قال ﷺ: «نعم» لأنه لم يفعل ما يقتضي عدم دخولها. ولم يذكر

في الحديث الزكاة والحج، لعدم فرضهما إذ ذاك، أو لاندراجهما في

تحليل الحلال وتحريم الحرام.

وهذا الحديث يدل على أن من قام بالواجبات، وانتهى عن

المحرمات دخل الجنة، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا

كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ

مُدْخَلَ كَرِيمٍ﴾ [النساء: ٣١]. وفي الصحيحين «أن أعرابياً جاء إلى

رسول الله ﷺ ثائر الرأس فقال: يا رسول الله أخبرني ماذا فرض الله

علي من الصلاة؟ فقال: «الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئاً».

فقال: أخبرني بما فرض الله علي من الصيام؟ فقال: «شهر رمضان إلا

أن تطوع شيئاً». فقال: أخبرني بما فرض الله علي من الزكاة؟ فأخبره

رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام. فقال: والذي بعثك بالحق لا أتطوع شيئاً، ولا أنقص مما فرض الله عليّ شيئاً. فقال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق، أو دخل الجنة إن صدق».

وخطب النبي ﷺ في حجة الوداع فقال: «يا أيها الناس: اتقوا الله وصلّوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا إذا أمركم تدخلوا جنة ربكم» وفي رواية: «وحجوا بيتكم»، وإنما لم يذكر الحج والزكاة في هذا الحديث، لأن الزكاة لا تجب إلا على صاحب المال، والحج لا يجب إلا على من استطاع إليه سبيلاً، وأما الصلاة والصيام، وتحليل الحلال، وترك الحرام، فواجب على كل أحد. وإنما ترك النبي ﷺ تنبيهه على السنن والفضائل تسهيلاً وتيسيراً لقرب عهده بالإسلام لئلا يكون الإكثار من ذلك تنفيراً له، وعلم إنه إذا تمكن. وفي الإسلام وشرح الله صدره رغب فيما رغب فيه غيره، أو لئلا يعتقد أن السنن والتطوعات واجبة فتركه لذلك.

قال القرطبي: (لم يذكر النبي ﷺ للسائل في هذا الحديث شيئاً من التطوعات على الجملة، وهذا يدل على جواز ترك التطوعات على الجملة، لكن من تركها ولم يعمل شيئاً فقد فوت على نفسه ربحاً عظيماً وثواباً جسيماً، ومن داوم على ترك شيء من السنن كان

ذلك نقصاً في دينه، وقدحاً في عدالته، فإن كان تركه تهاوناً ورغبة عنها، كان ذلك فسقاً يستحق به ذمّاً).

قال العلماء: (لو أن أهل بلدة تواطؤوا على ترك سنة لقوتلوا عليها حتى يرجعوا، ولقد كان صدر الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم يثابرون على فعل السنن والفضائل مثابرتهم على الفرائض ولم يكونوا يفرقون بينهما في اغتنام ثوابها).

وإنما احتاج أئمة الفقهاء إلى ذكر الفرق لما يترتب عليه من وجوب الإعادة وتركها خوف العقاب على الترك ونفيه إن حصل ترك بوجه ما.

ومن ترك النوافل فوت على نفسه ربحاً عظيماً، وثواباً واسعاً. كما أن النوافل سبب محبة الله كما جاء في الحديث القدسي: «ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه» [رواه البخاري].

وكذلك في الحديث الآخر: «أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فأخبره أنها خمس، فقال: هل عليّ غيرها قال صلى الله عليه وسلم: «لا إلا أن تطوع»، ثم سألته عن الصوم والحج والشرائع فأجابه، ثم قال في آخر ذلك: وفي رواية: «إن تمسك بما أمر به دخل الجنة» [رواه مسلم].

وإنما شرعت النوافل لتتميم الفرائض فهذا السائل والذي قبله،
إنما تركهما النبي ﷺ لقرب عهده بالإسلام، وتسهيلاً عليهما إلى أن
تنشرح صدورهما بالفهم عنه، والحرص على تحصي المندوبات
فيسهل عليهما.

وهذا يسمى بمحافظته على فرائضه وإقامتها والإتيان بها في أوقاته
من غير إخلال بها فلاحاً كثير الفلاح والنجاح كذلك ومن أتى
بالفرائض وابتعها بالنوافل كان أكثر فلاحاً منه.

من أكثر من النوافل وأتى بالسنن كان في رتبة السابق بالخيرات،
ويدخل في منزلة السابقين بالجنة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ
الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ
مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ
الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

قال ابن عباس: (السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب،
والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب
الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد ﷺ).

فعلى المؤمن أن يأت بالفرائض والسنن ولا يفرط في فضلها
لتكفر خطاياهم وتسد خلله في الفريضة وترفع درجاته في الجنة.

عباد الله:

دل الحديث على أن من التزم أداء الفرائض وترك المحرمات دخل الجنة، وأهم الفرائض المباني الكبرى في الدين: الصلاة والزكاة والصوم والحج وبر الوالدين وصلة الرحم. في البخاري عن أبي أيوب أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أخبرني بعمل يدخلني الجنة؟ قال: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم».

وكذلك اجتناب الكبائر من أعظم أسباب دخول الجنة كما في النسائي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ما من عبد يصلي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويخرج الزكاة ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء، ثم تلا ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمٍ﴾ [النساء: ٣١]». بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد، وأشهد أن لا إله إلا الله الحق المبين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان على يوم الدين.
أما بعد:

حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي صلى الله عليه وسلم، وكان غاية الشيء عندهم دخول الجنة والطريق الموصلة إليها، لا كثرة الأموال، ولا كثرة البنين ولا شيء من ملذات الدنيا، ولهذا لما قضى أحد الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم حاجة، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أسأل ماذا تريد؟» قال: أسألك مرافقتك في الجنة. قال: «أو غير ذلك؟» قال: هو ذاك، قال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود» أي بكثرة الصلاة.
عباد الله:

في الحديث: أن أعظم الواجبات على المسلم الصلوات الخمس وأنها أعظم أسباب دخول الجنة بعد الشهادتين، وأن صيام رمضان من أعظم فروض الإسلام.

وفيه: حرص الصحابة على أسباب النجاة وعلو هممهم كما قال معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنبي ﷺ أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني عن النار، فقال ﷺ: «لقد سألت عن عظيم».

وفي الحديث: أن الأعمال الصالحة سبب لدخول الجنة، فدخول الجنة ليس على سبيل الجزاء المجرد على الأعمال الصالحة، لأن أعمال الإنسان مهما بلغت لا تؤهله لدخول الجنة وإنما تكون سبباً لرحمة الله التي هي الطريق إلى دخول الجنة، كما قال ﷺ: «لن ينجي أحداً منكم عمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه» [رواه البخاري ومسلم].

وفي الحديث: حرص الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على السؤال. وفيه: تعليم النبي ﷺ أمته ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم. اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وأجعلنا من عبادك الصالحين المتقين ممن تفتح لهم أبواب الجنة. هذا وصلوا وسلموا.

الخطبة الأولى^(١)

٢٣

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض، وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير، أحمده - سبحانه - على ما أسداه وأولاه من الإنعام والإكرام والخير الكثير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولاند ولا ظهير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، السراج المنير والبشير النذير، صلى الله عليه وسلم عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - حق التقوى، وسارعوا إلى مغفرته ورضاه، فقد خلقكم لأمر عظيم، وهياكم لشأن جسيم، خلقكم لعبادته، وأمركم بتوحيده وطاعته.

أيها المسلمون:

روى مسلم عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الطَّهُّورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ

(١) الحديث الثالث والعشرون: «الطهور شطر الإيمان».

الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَنِ - أَوْ: تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ
حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا».

عباد الله: هذ الحديث أصل من أصول الإسلام، وأصل من أصول
فضائل الأعمال ومنزلتها في الدين، وفيه معاني كلية من معاني الشريعة،
وقد اشتمل على مهمات من قواعد الدين، فأمر بالطهارة، ورغب
بالذكر الذي تطمئن به القلوب، والصدقة التي نفعها يتعدى للآخرين،
والصلاة التي هي أعظم العبادات بعد التوحيد، وأمر بالصبر، وحث
على كتاب الله ﷻ والحرص على قراءته والعمل بما فيه، كما حث
على السعي لانقاذ النفس بطاعة الله وسلوك الطريق المستقيم.

وفي الحديث قوله ﷺ: «الطهور شرط الإيمان». المراد بالطهور
هنا التطهر بترك الذنوب والمعاصي والموبقات، وفي الآية ﴿إِنَّهُمْ
أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢].

وفي رواية الترمذي: «الوضوء شرط الإيمان»، فالطهور التطهر بالماء
من الأحداث، كالوضوء وغسل الجنابة. والطهارة شرط في صحة
الصلاة فصارت كالشرط ولا يلزم في الشرط أن يكون نصفاً حقيقياً.

وفي الحديث الآخر عن النبي ﷺ: «ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» [رواه مسلم].

فخصال الإيمان قسمان: ظاهرة وباطنة. فالطهور من الخصال الظاهرة، والتوحيد من الخصال الباطنة، فمن طهر باطنه بالتوحيد، وظاهره بالماء فقد استفتح باب الجنة، ولا يدخلها إلا الطاهرون الطيبون، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

«والطهور شطر الإيمان» هو أول ما ابتدأ به النبي ﷺ وصيته، والطهور شطر الصلاة، ومفتاح من مفاتيح أبواب الجنان، ويقصد به الفعل الشرعي الذي يزيل الخبث ويرفع الحدث، ولا تصح الصلاة إلا به، ويشمل أيضاً تطهير الثياب والبدن والمكان.

ثم انتقل الحديث إلى الترغيب في ذكر الله ﷻ، قال ﷺ: «والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله يملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض» هذا شك من الراوي. وما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام.

قوله: «تملاً الميزان» أي: ميزان الحامد لله تعالى، وقد قيل إنه ضرب مثل، وأن المعنى لو كان الحمد جسماً لملاً الميزان لعظيم أجرها، وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة على وزن الأعمال وثقل الموازين وخفتها.

قال الألباني: (وفي الحديث دليل على أن ميزان الأعمال له كفتان مشاهدتان، وأن الأعمال وإن كانت أعراضاً فإنها توزن، والله على كل شيء قدير، وذلك من عقائد أهل السنة).

قال القرطبي: (قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها).

ف«سبحان الله» تتضمن تنزيه الله عن كل نقص وعيب، و«الحمد لله» تتضمن وصفه بكل كمال. وفي رواية لمسلم والنسائي: «والتسبيح والتكبير ملء السماء والأرض».

وللترمذي من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «التسبيح نصف الميزان، والحمد لله يملؤه، ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تصل إليه».

وفي الحديث الآخر: «كلمتان حببتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» وسبب عظم فضلهما ما اشتملت عليه من التنزيه لله تعالى والافتقار إليه. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله اصطفى من الكلام أربعاً: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فمن قال: سبحان الله كتبت له عشرون حسنة، وحطت عنه عشرون سيئة، ومن قال: الله أكبر مثل ذلك، ومن قال: لا إله إلا الله مثل ذلك، ومن قال: الحمد لله مثل ذلك، ومن قال الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه كتبت له ثلاثون حسنة، وحطت عنه ثلاثون سيئة».

قوله ﷺ: «والصلاة نور»، لأنها تمنع عن المعاصي وتنهاي عن الفحشاء والمنكر وتهدي إلى الصواب، كما أن النور يستضاء به الصلاة نور لصاحبها في الدنيا وفي القبر ويوم القيامة وعلى الصراط؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [الحديد: ١٢]. ويشمل النور في القلب، والنور في الوجه، ونور الهداية، والنور يوم القيامة.

كما في الحديث الآخر: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة» [رواه أحمد]. وروى الطبراني عن عبادة بن الصامت

مرفوعاً: «إذا حافظ العبد على صلاته فأقام وضوءها وركوعها وسجودها والقراءة فيها، قالت له حفظك الله كما حفظني، وصعد بها إلى السماء ولها نور حتى تنتهي إلى الله ﷻ فتشفع لصاحبها». وهذا الفضل والثواب لصلاة المقيمين لها، والمحافظين عليها، والخاشعين فيها، ومن نقضت صلاته عن الكمال، نقص حظه من هذا الثواب.

عباد الله:

لما ذكر النبي ﷺ الصلاة وهي عبادة بدنية، ذكر الصدقة وهي عبادة مالية، يزكي بها المسلم ماله، ويظهر بها روحه من بخلها وحرصها المال، وهي عبادة نفعها متعد إلى الغير، إذ بها تُسد حاجة الفقير وتشبع جوعته، ويكفل بها اليتيم، وتظهر لحمة المجتمع وتكاتفه.

قوله ﷺ: «والصدقة برهان» أي: دليل واضح بين على صحة إيمان فاعلها وصدقه لأن المنافق يمتنع منها لكونه لا يعتقدها، فمن تصدق استدل بصدقه على قوة إيمانه، وقد قال الله تعالى في المنافقين: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤]. وقد ندب الله ﷻ ورغب في

الصدقات ورتب عليها الأجور العظيمة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مِّنَّا وَلَا أَدَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفِيسَهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وقوله: «والصبر ضياء» أي الصبر على الطاعات ولو شقت على النفوس، وعن المعاصي ولو مالت إليها النفوس، وعلى أقدار الله المؤلمة فلا يجزع ولا يتسخط، وحصول ذلك في المسلم يدل على قوة إيمانه ونور بصيرته ولهذا وصف الصبر بأنه ضياء.

قال ابن رجب (الضياء هو النور الذي يحصل فيه نوع حرارة وإحراق كضياء الشمس بخلاف القمر، فإنه نور محض فيه إشراق بغير إحراق). قال الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥]. ولما كان الصبر شاقاً على النفوس يحتاج إلى مجاهدة النفس وحبسها وكفها عما تهواه كان ضياء. لأنه يضيئ حياة المؤمن في شدائد الدنيا ويزيل مراراة البلاء عنه، ويزيح عنه الهموم والأحزان ويهديه لصالح العمل عند نزول البلاء. والصبر خير عطاء للمؤمن كما جاء في الحديث: «وما أعطي أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر».

وقد بشر الله تعالى الصابرين على أقداره المؤلمة بثلاث بشارات في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥: ١٥٧] والصبر ثلاثة أنواع؛ صبر على طاعة الله ﷻ، وصبر عن معاصي الله ﷻ، وصبر على أقدار الله ﷻ والصيام يجمعها. قال النووي: (إن الصبر محمود ولا يزال صاحبه مستضيئاً مهتدياً مستمراً على الصواب).

والصبر جزاء الجنة، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٧٥-٧٦] وجزاء الصابرين لا يوزن لهم ولا يكال إنما يغرف لهم غرفاً، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

قوله ﷺ: «والقرآن حجة لك أو عليك» أي: إن عملت به فهو حجة لك، وإلا فهو حجة عليك. فالقرآن حجة للمؤمنين، وحجة على المكذبين، وهذا الحكم شامل لكل من بلغه القرآن، فهو حجة لمن وقف عند حدوده، وحجة على من تعدى حدوده، وحجة لمن

حكم به وحكمه، وحجة على من أثر حكم الجاهلية على حكمه. قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (من جعل القرآن أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره قاده إلى النار).

وفي الحديث الذي رواه الإمام مسلم «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين» وروي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يمثل القرآن يوم القيامة رجلاً فيؤتى بالرجل قد حملة فخالف أمره فيتمثل له خصمًا، فيقول يارب حملته إياي فبئس حاملي، تعدى حدودي، وضع فرائضي، وركب معصيتي، وترك طاعتي، فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال: شأنك به، فيأخذه بيده فما يرسله حتى يكبه على منخره في النار، ويؤتى بالرجل الصالح كان قد حملة فيتمثل خصمًا دونه، فيقول يارب حملته إياي، فخير حامل حفظ حدودي، وعمل بفرائضي، واجتنب معصيتي، واتبع طاعتي، فما يزال يقذف له بالحجج حتى يقال: شأنك به، فيأخذه بيده فما يرسله حتى يلبسه حلة الاستبرق، ويعقد عليه تاج الملك، ويسقيه كأس الخمر».

ثم قال ﷺ: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها» أي: كل إنسان يسعى، فمنهم من يبيع نفسه لله بطاعته له فيعتقها من العذاب، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى فيوبقها؛ أي: يهلكها. وقد قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠]. أي: قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله، وخاب من دساها بالمعاصي. فالطاعة تزكي النفس وتطهرها فترتفع، والمعاصي تدسي النفس وتقمعها فتتخفض، وتصير كالذي يُدسى في التراب.

وهذا الحديث مع اختصاره من أجمل جوامع الكلم الذي أوتي به نبينا محمداً ﷺ ويدل على كمال فصاحته ونصحه، وفيه بيان لحال الإنسان وسعيه وكدحه في الدنيا وهو على حالتين: إما أن يبيع نفسه لطاعة الله ومَرْضَاتِهِ بالتزام العمل الصالح ويؤثر علم الآخرة على عمل الدنيا ويقدم محبة الله على محبوبات نفسه، فهذا هو السعيد قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]. وأما أن يبيع نفسه للشيطان وهوى النفس وركوب المحرمات فهذا باع نفسه ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۗ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

قال أبو بكر بن عياش: (قال لي رجل مرة وأنا شاب: خلص رقبتك ما استطعت في الدنيا من رق الآخرة، فإن أسير الآخرة غير مفكوك أبدًا، قال فوالله ما نسيتهما بعد).

وقال الحسن: (المؤمن في الدنيا كالأسير يسعى في فكاك رقبتك، لا يأمن شيئاً حتى يلقي الله وُجَّه).

وقال ابن آدم: (أن تغدو وتروح في طلب الأرباح فليكن همك نفسك فإنك لن تربح مثلها أبدًا).

وقال محمد بن الحنفية: (إن الله وُجَّه جعل الجنة ثمنًا لأنفسكم، فلا تبيعوها بغيرها) وقال: «من كرمت نفسه عليه لم يكن للدنيا عنده قدر».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾
[آل عمران: ١٣٣].

بارك الله لي ولكم..

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق الظلمات والنور ثم الذين كفروا ببرهم يعدلون، والصلاة والسلام على الهادي البشير والنذير المبين، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه الغير الميامين.

أما بعد:

خصال الإيمان من الأعمال والأقوال تطهر القلب وتزكيه، والطهارة بالماء تطهر البدن وتنظفه، فهذا صار خصال الإيمان على قسمين: أحدهما يطهر الظاهر، والآخر يطهر الباطن.

وفي الحديث قوله ﷺ: «والحمد لله تملأ الميزان» دليل على أن كلمة الحمد لله تملأ الميزان لعظم فضلها ووفرة معناها ودلالاتها على ثناء العبد على الله بأسمائه الحسنی وصفاته العلی، وأفعاله الجميلة وافتقاره للغني الحميد كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

فهي كلمة جليلة لا يوفق لها في أشد الأحوال إلا من تأله قلبه لله، واستكان له وشاهد جميل آلائه وحسن عاداته بعباده، وأدرك عجز نفسه وفقره إلى الله.

قال ابن القيم: (فالحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه).

والحمد يتضمن إقرار العبد بغنى الله وكماله وافتقاره على هدايته ونعمه، فقلبه موقن أن المنعم والمتفضل هو الله جل جلاله، والله سبحانه يحب المدح، لما ثبت في مسلم: «ولا أحد أحب إليه المدح من الله» والحمد لله تعالى يكون بسبب حدوث النعمة وبدونها وهو خاص بآلة اللسان، أما الشكر فمحله عند حدوث النعمة ويكون بالقلب واللسان والجوارح.

عباد الله:

وكلمة الحمد مشروعة في جميع الأحوال وتتأكد عند الأكل، وعند النوم والاستيقاظ منه، وعند العطاس، وعند لبس الثوب الجديد، وعند ركوب الدابة، وعند ابتداء الدعاء والموعظة، وعند فقد الوالد، وعند رؤية المبتلى والمكروه، وكل ذلك ورد في السنة. وفي الحديث: الحث على الطهور الحسي والمعنوي.

وفيه: فضيلة حمد الله ﷻ والثناء عليه، والجمع بين الحمد

والتسبيح.

وفيه: أن الصلاة نور، وأن الصدقة برهان.

وفيه: بيان حال الناس في هذه الدنيا.

هذا وصلوا...

الخطبة الأولى^(١)

٢٤

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

(١) الحديث الرابع والعشرون: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي».

أما بعد:

فإن خير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، ولك بدعة ضلالة.

أيها المسلمون:

اتقوا الله حق تقاته، وتزودوا من الفانية للباقية «وتزودوا فإن خير الزاد التقوى».

عباد الله:

روى مسلم عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى، أنه قال: «يَا عِبَادِي: إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتَهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتَهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتَهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتَهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ. يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ. يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا

عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمُ وَجَنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمُ وَجَنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنِّي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ. يَا عِبَادِي! إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ».

عباد الله:

هذا حديث جليل شريف، وهو أصل في الدلالة على كمال عدل الرب وغناه، وفقر العباد إليه، وهو من الأحاديث القدسية التي يرويها النبي ﷺ عن الله ﷻ مما ليس قرآنًا، فلا يقرأ على جهة التعبد، ولا يصح أن يقرأ في الصلاة.

وفي هذا الحديث شرف الله ﷻ أهل الإيمان وأعلى ذكرهم بأن نسبهم إلى نفسه بقوله «يا عبادي»، ونزه - تعالى - نفسه عن الظلم وحرمة بين عباده، وبين - تعالى - أن جميع الخلق مفتقرون إليه - سبحانه - في جلب مصالحهم ودفع مضارهم، وفي جميع أمور دينهم ودنياهم.

وقد جمع الحديث بين حاجات البدن من الطعام والشراب والكسوة، وبين غذاء الروح بالهداية والصلاح والرشاد ولزوم الطريق المستقيم.

وفي الحديث ذكر حال العباد، وأنهم يخطئون بالليل والنهار، والله عز وجل يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب واستقام.

وهذه النداءات من الجواد الكريم لمصلحة العباد، فإنه لو اجتمع الجن والإنس على أمر ما استطاعوا لعزة الرب وقدرته. وفيه التنبيه على محاسبة النفس، وتفقد الأعمال والندم على الذنوب.

وهذا الحديث القدسي من الأحاديث التي عليها مدار الدين. فقد اشتمل على كثير من قواعد الدين وأصوله، فنص على تحريم الظلم وبدأ بإرساء قواعد العدل في النفوس وتحريم الظلم والعدوان.

والظلم: وضع الشيء في غير موضعه، والله عز وجل نزه نفسه عن الظلم فهو لا يظلم أحد، لا بزيادة سيئات لم يعملها، ولا بنقص حسنات عملها. بل هو حكم عدل محسن لعباده. فالحسنة عنده بعشر أمثالها إلى أضعاف كثيرة.

قال النووي: (الظلم مستحيل منه - سبحانه -؛ لأنه تصرف في ملك الغير، والعالم كله ملكه وسلطانه، أو مجاوزة الحد، وليس فوقه من يطيعه).

وحرم ﷺ الظلم بين العباد؛ ويكون في ثلاثة أشياء: الدماء، والأموال، والأعراض.

والظلم نوعان: ظلم العبد لنفسه، وأعظمه الشرك بالله ﷻ. قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

والنوع الثاني: ظلم الإنسان لغيره بأخذ حقه، أو الاعتداء عليه في بدنه، أو ماله أو عرضه، أو نحو ذلك. قال ﷻ في حجة الوداع: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا».

ومن أنواع الظلم ما ذكره ﷻ بقوله: ﴿وَلَا تُسْكُوهُنَّ ضَرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ٢٣١].

والمراد بالظلم: الاعتداء على آخرين وأخذ شيء من حقوقهم قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق ٢٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١]. وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]. وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤]. وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا تَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢].

قوله في الحديث: «يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا» يعني: أن الله سبحانه وتعالى منع نفسه من الظلم لعباده وتعالّت عنه وتقدّست مع قدرته وعزّز على ذلك، لأنه لو كان ممّتنعاً على الله لم يكن ذلك مدحاً ولا ثناء، وهو وعزّز حرّمه عليهم. أي على عباده ونفي الظلم عن الله وعزّز في هذه الآيات متضمن إثبات كمال عدله سبحانه.

قوله: «وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا» أي: حكمت بتحريمه عليكم، فلا يظلم بعضكم بعضاً.

وقال النبي ﷺ في خطبته في حجة الوداع كما في الصحيحين: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا». وقال ﷺ: «إن الظلم ظلمات يوم القيامة». وقال: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»، ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: قال: «من كانت عليه مظلمة لأخيه فليتحلل منها فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرح عليه».

ولما ذكر الله ﷻ ما أوجبه من العدل، وحرمة من الظلم على نفسه وعلى عباده، أتبعه بذكر إحسانه إليهم، ونفاه عنهم، وفقرهم إليه، فقال: «يا عبادي» كرر النداء زيادة في تشريفهم وتعظيمهم ولذا أضافهم إلى نفسه «كلكم ضالّ» أي تائه عن الطريق المستقيم غافل عن الشرائع «إلا من هديته» أي علمته ووفقته وعلمته وهذه هداية الإرشاد.

و«وفقته» هداية التوفيق، قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ^ص وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

«فاستهدوني أهدكم» أي اطلبوها مني لا من غيري فالأصل في المكلفين: الضلال، وهو الجهل بالحق، وترك العمل به، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا^ط الْأِنْسُنُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢] وأن ما يحصل للعباد من علم أو اهتداء، فبهداية الله وتعليمه، وفيه الإرشاد إلى طلب الهدى من الله، والهداية نوعان: هداية البيان والإرشاد والدلالة، وهي عامة لسائر المكلفين وهي مقدورة للخلق، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] وهداية التوفيق لقبول الحق والعمل به، وهي هداية خاصة، ولا يقدر عليها إلا الله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ^ج﴾ [القصص: ٥٦].

بعد أن قدم ﷺ في الحديث الضلالة والهدى لأنها رأسى الأمر، ذكر الجوع والطعام والعري واللباس، وذلك من باب تقديم الأهم، فالضلال أشد خطراً من الجوع والعري، والهداية أتم من الطعام والشراب.

وفي الحديث: «يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم» فإن الله ﷻ هو الذي يطعم العباد ويسقيهم، وهذا يشمل ما إذا فقد الطعام، أو وجد ولكن لم يتمكن الإنسان من الوصول إليه. كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء: ٧٩] وقال تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ [قریش: ٤] وقال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٦٠].

وفيه مشروعية الدعاء في مطالب الدنيا والآخرة، وهو لا ينافي الأخذ بالأسباب الأخرى حسب السنن الكونية، كالتجارة والزراعة والصناعة، وفيه تنبيه على فقرنا وعجزنا لمن جلب منافعنا ودفع مضارنا إلا أن يعيننا الله سبحانه على ذلك ويسر لنا أسبابه.

«يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم». فإن الله هو الذي يكسوا العباد بما يخلقه لهم ويسره بما يستر عوراتهم ويتجملون به، كما قال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تَكُمُ وَرِيشًا﴾ [الأعراف: ٢٦].

«يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً؛ فاستغفروني أغفر لكم» وفيه كثرة تعرض العباد للذنوب، وأن من صفات الله ﷻ مغفرة الذنوب، وفيه الأمر بالاستغفار وأنه سبب المغفرة، فإن كان الاستغفار متضمناً للتوبة كان الوعد بالمغفرة وعداً محققاً وإن لم يكن متضمناً للتوبة، فالوعد بالمغفرة مقيد بالمشيئة، وذلك فيما دون الشرك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ۖ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] فإن الله يغفر لمن يشاء، ويتوب على من تاب هذا، يقتضي أن جميع الخلق مفتقرون إلى الله تعالى في جلب مصالحهم، ودفع مضارهم في أمور دينهم ودنياهم. قال الله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]. وقال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦].

قال تعالى حاكياً عن آدم وزوجه ﷺ أنهما: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

وفي الحديث دليل على أن الله تعالى يحب أن يسأله العباد جميع مصالح دينهم ودنياهم من الطعام والشراب والكسوة وغير ذلك، كما يسألونه الهداية والمغفرة.

وفي الحديث الآخر عن النبي ﷺ: «ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله إذا انقطع» [رواه مسلم].

أيها المسلمون: الهداية نوعان: مجملة ومفصلة، فالمجملة هي الهداية للإسلام والإيمان، والمفصلة: هي الهداية إلى معرفة تفاصيل أجزاء الإيمان والإسلام، وإعانتة على فعل ذلك، ولهذا أمر الله عباده أن يقرءوا في كل ركعة في صلاتهم: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

وكان النبي ﷺ يقول في دعائه بالليل: «اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم». وأما الاستغفار فهو طلب مغفرة الذنوب، والعبد أحوج شيء إليه؛ لأنه يخطئ بالليل والنهار، وكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون. وعن الأغر المزني أنه سمع النبي ﷺ يقول: «أيها الناس توبوا إلى ربكم فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة» [رواه البخاري]. وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في كل

يوم مائة مرة» [رواه مسلم].

وروى الإمام أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: «اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساءوا استغفروا».

ثم ذكر عليه السلام غنى الله عن خلقه وقدرته وعدم حاجته فقال: «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني»
يعني أن العباد لا يوصلون إلى الله نفعاً ولا ضرراً، فإن الله تعالى غني حميد. قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]. فهو تعالى لا يلحقه ضرر، لا في ذاته ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله ولا في ملكه، بل الضرر ممتنع في حقه، بخلاف الأذى فإنه جائز عليه سبحانه، وواقع من بعض العباد بما يقولون أو يفعلون مما يكرهه سبحانه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧].

والفرق بين الضرر والأذى؛ أن الضرر يستلزم نقصاً في الكمال والسلامة من الآفات، والأذى لا يستلزم ذلك، وإن كان هو من العبد تنقصاً والعبد غير قادر على ضرر يلحق الرب سبحانه في صفاته

وملكه وسلطانه وكماله، بخلاف الاذى فإنه مقدور للعبد وواقع، ولهذا جاء في النصوص نفي الضرر وإثبات الأذى، فالعبد يؤذى الرب بكفره ومعاصيه، ولكنه لا يضره تعالى بذلك، ولهذا يقال: إنه تعالى لا تنفعه طاعة المطيعين، ولا تضره معصية العاصين مع أنها تؤذيه. وذلك لكمال غناه سبحانه عن عباده.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].
بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، له ما في السموات وما في الأرض، وهو العليم الحكيم.
والصلاة والسلام، على محمد رسول الله، خير خلق الله ودعائه.

أما بعد:

عباد الله: فأوصيكم ونفسي بتقوى الله؛ فقد أمر بها ربكم ووصى.
﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧].

أيها المؤمنون:

قوله ﷺ: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً» فيه إشارة إلى أن ملكه لا يزيد بطاعة الخلق، ولا ينقص بمعصيتهم، فهو كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

قوله: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل واحد مسأله ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر».

فيه إشارة إلى كمال ملكه سبحانه، وكمال قدرته، وأن خزائنه لا تنفذ ولا تنقص، ولو أعطى الأولين والآخرين جميع ما سألوه في مقام واحد. وفي ذلك حث الخلق على سؤاله وإنزال حوائجهم به. وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يد الله مملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أفرأيتم ما أنفق ربكم منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغيض ما في يمينه» وفي حديث أبي ذر عند الترمذي: «ذلك بأني جواد واحد ماجد أفعل ما أريد، عطائي كلام، وعذابي كلام، وما أمري لشيء إذا أردته أن أقول له كن فيكون». وفي الحديث: افتقار الخلق إلى الله، وأن الله غني عن خلقه، وأن خزائنه لا تنفذ. وفيه مشروعية اللجوء إلى الله بالدعاء والتضرع في كل حين، فالهداية بيده - جل وعلا - والرزق كذلك.

قوله: «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله» أي على توفيقه للطاعات والأعمال الصالحة. «و من وجد غير ذلك» أي شراً «فلا يلومنّ إلا نفسه» لأنه تعالى أوضح الطريق وبين، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧: ٨] وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾

[الكهف: ٤٩]، وفي قوله: «لم يقل ومن وجد شرًا وفيه إشارة إلى أن الخير كله فضل من الله على عباده، والشر كله من عند ابن آدم من اتباع هوى نفسه. قال الله ﷻ: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩].

(فلا يلو من إلا نفسه) فإنها أثرت شهواتها ومستلذاتها على رضا خالقها ورازقها، فكفرت بأنعم الله ولم تدعن لأحكامه وحكمه. وفي المسند وسنن أبي داود عن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن إذا أصابه سقم ثم عافاه الله منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل من عمره، وإن المنافق إذا مرض وعوفي كان كالبعير عقله أهله وأطلقوه لا يدري بما عقلوه ولا بما أطلقوه».

وفي الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً: «ما من ميت يموت إلا ندم إن كان محسنًا ندم على أن يكون ازداد وإن كان مسيئًا ندم أن يكون استعجب». وكان مطرف بن عبد الله يقول: «اجتهدوا في العمل، فإن يكن الأمر كما نرجو من رحمة الله وعفوه كانت لنا درجات، وإن يكن الأمر شديدًا كما نخاف ونحذر لم نقل: ربنا أرجعنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل».

وفي الحديث: بيان عدل الله ﷻ، وأنه حرم الظلم.
وفيه: الحث على طلب العلم، وطلب الهداية من الله ﷻ.
وفيه: أن كل خير يصل إلى الإنسان إنما هو من فضل الله ﷻ
وجوده وكرمه.
هذا وصلوا وسلموا.

الخطبة الأولى^(١)

٢٥

الحمد لله ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، له الحمد في الأولى والآخرة؛ وله الحكم وإليه ترجعون. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، أظهر الله به دينه على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى.

أيها المسلمون:

الصحابة رضي الله عنهم هم خير الأمة، وكل خير فيه المسلمون إلى يوم القيامة من الإيمان والإسلام والقرآن والعلم والمعارف والعبادات، ودخول الجنة والنجاة من النار، فإنما هو ببركة ما فعله الصحابة الذين بلغوا الدين وجاهدوا في سبيل الله، وكل مؤمن آمن بالله، فللصحابة رضي الله عنهم الفضل إلى يوم القيامة.

(١) الحديث الخامس والعشرون: «ذهب أهل الدثور بالأجور».

ومن شدة حرص الصحابة على الخير والمسارة إليه جاءوا يطلبون ما يحملهم عليه من الدواب للجهاد في سبيل الله؛ فاعتذر النبي ﷺ بأنه لا يجد ما يحملهم عليه من الدواب. فما كان من هؤلاء الصحابة إلا أن سالت أعينهم بالدمع أسفاً على أنهم لا يجدون عدة للجهاد قال تعالى: ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢].

وفي هذا الحديث بيان حال الصحابة ودليل على شدة حرصهم أيضاً على الأعمال الصالحة و قوة رغبتهم في الخير. فإن أصحاب رسول الله ﷺ أحرص الناس على كل خير وأسبقهم إلى كل خير، يتنافسون في الأعمال الصالحة، ويحب بعضهم أن يلحق في الأجر بمن سبقه منهم، وفي هذا الحديث معرفة وبيان ما كان عليه سلف الأمة من تنافس وحرص على الطاعات وما يقربهم ويرفع درجاتهم عند الله. وفي الحديث أيضاً أن الطاعات في الإسلام ليست قاصرة على بعض المناسك بل تشمل كل خير.

قال ابن دقيق العيد: (وفي هذا الحديث فضيلة التسبيح وسائر الأذكار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحضار النية في المباحات، وإنما تصير طاعات بالنيات الصادقات).

روى البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه، «أن ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور؛ يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم. قال: أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليل صدقة، وأمر بمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة. قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال، كان له أجر».

عباد الله: كان الصحابة رضي الله عنهم يتسابقون إلى الخيرات ويسارعون إلى الطاعات، وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم نفر من فقراء الصحابة متسائلين، بأن أصحاب الغنى والسعة والأموال الكثيرة قد ذهبوا بالأجور ومضوا بها، وذلك أنهم يتصدقون مما رزقهم الله وينفقون مما أعطاهم، وهم فقراء ليس لديهم ما يتصدقون به ويرغبون في الخير والمسابقة إليه، وتلك شكوى غبطة لا شكوى حسد.

ولا الاعتراض على قدر الله أو طمعاً في الثراء، لكنهم رغبا في أعمال تعوضهم فوت هذا الأجر عليهم. وخرج مخرج الغبطة وتمني حصول الخير ليحوزوا المرتبة التي امتاز بها الأغنياء؛ وقالوا عنهم:

«ذهب أهل الدثور بالأجور» الدثور: الأموال جمع دثر، وهي المال الكثير وأهل الدثور: هم أصحاب الأموال العظيمة فهم «يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم» أي بأموالهم الفاضلة عن كفايتهم، وقيدوا بذلك بياناً لفضل الصدقة.

فطيب النبي ﷺ نفوسهم، وذكر لهم عبادة عظيمة ليس فيها تكلفة مادية ولا بدنية، بل هي سهلة ميسورة، يأتي بها المريض والصحيح، والغني والفقير، والصغير والكبير، والرجل والمرأة، لا تحتاج وضوء ولا طهارة ولا مكاناً مخصوصاً. وسواء أكان على جنبه أو قائماً أو قاعداً.

والعبادة التي أرشدهم ﷺ إليها هي: فضيلة التسبيح والتحميد والتكبير، فإذا قلت سبحان الله: فهي صدقة، وإذا قلت الله أكبر فهذه صدقة، وإذا قلت الحمد فهذه صدقة، وإذا قلت لا إله إلا الله فهذه صدقة. والأمر بمعروف والنهي عن المنكر صدقة؛ وأن ذلك كله صدقة.

قوله: «أو ليس قد جعل لكم ما تصدقون» أي من غير الأموال. «إن بكل تسبيحة صدقة» ظن الفقراء أن لا صدقة إلا بمال، وهم عاجزون عن ذلك، فأخبرهم النبي ﷺ أن جميع أنواع فعل

المعروف والإحسان صدقة. وروي عن ابن عمر مرفوعاً: «من كان له مال فليصدق من ماله، ومن كان له قوة فليصدق من قوته، ومن كان له علم فليصدق من علمه». وفي مراسيل الحسن عن النبي ﷺ: «أن من الصدقة أن تسلم على الناس وأنت طليق الوجه».

قال ﷺ: «وكل تكبيرة صدقة» أي قوله: الله أكبر. «وكل تحميدة صدقة» قول: الحمد لله. «وكل تهليلة صدقة» قول: لا إله إلا الله. عن حذيفة عن النبي ﷺ قال: «كل معروف صدقة» فالصدقة تطلق على جميع أنواع المعروف والإحسان.

قال القاضي: (يحتمل تسميتها صدقة أن لها أجراً كما للصدقة أجر، وأن هذه الطاعات تماثل الصدقات في الأجور، وسماها صدقة على طريق المقابلة وتجنيس الكلام، وقيل: معناه أنها صدقة على نفسه). وقال القرطبي: (مقصود هذا الحديث: أن أعمال الخير إذا حسنت النيات فيها، تنزل منزلة الصدقات في الأجور، ولا سيما في حق من لا يقدر على الصدقة، ويفهم منه أن الصدقة في حق القادر عليها أفضل له من سائر الأعمال القاصرة على فاعلها).

وفي قوله ﷺ: «وأمر بالمعروف صدقة، ونهى عن المنكر صدقة».

قال النووي: (فيه إشارة إلى ثبوت حكم الصدقة في كل فرد من أفراد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهذا نكره، والثواب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أكثر منه في التسبيح والتحميد والتهليل؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، وقد يتعين، ولا يتصور وقوعه نفلاً، والتسبيح والتحميد والتهليل نوافل، ومعلوم أن أجر الفرض أكثر من أجر النفل؛ لقوله تعالى «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب مما أفترضت عليه» [رواه البخاري].

ثم قال لهم ﷺ: «وفي بضع أحدكم صدقة» فتعجبوا من ذلك؛ لأنه من أمور الدنيا، ومما تتلذذ به النفس وتشتاق إليه. فأجابهم ﷺ: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزراً، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر».

وفي هذا بيان أن الأعمال المعتادة التي هي من فطر الناس المباحة يؤجر عليها المسلم إذا نوى نية صالحة وقصد حسن؛ كاعفاف نفسه وزوجه وكذلك طلب الولد، والتقوي بالطعام والشراب تنشيطاً على العبادة، وغيرها.

قوله: «وفي بضع أحدكم صدقة»، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان

عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له فيها أجر» وهذا دليل على أن الإنسان إذا نوى بالجماع عفاف نفسه أن له في ذلك أجراً، وكذلك إذا نوى قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف، أو طلب ولد صالح، أو غير ذلك من المقاصد الحسنة كما قال النبي ﷺ في الحديث الآخر: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله تعالى إلا أجرت بها حتى ما تجعل في امرأتك».

وفي الحديث: الحث على كثرة الذكر ومداومته، وهو من أفضل الطاعات والقربات وأيسرها وأسهلها. وكذلك النية الصادقة في أن تكون العادات والمستلزمات عبادات حتى يؤجر عليها المرء.

قال الشيخ ابن عثيمين عن الذكر: (حتى تتيقن أن المسألة هي مسألة توفيق انظر إلى الذكر من أسهل الطاعات، لكن لا يوفق له إلا قليل).

والذكر ثلاثة أنواع: أفضله ما كان ثناءً على الله، ثم ما كان انشاءً من العبد، أو اعترافاً بما يجب لله عليه، ثم ما كان دعاءً من العبد.

قال ابن القيم: (إن العبد إذا غفل عن ذكر الله جثم على قلبه الشيطان، وبذر فيه الوسوس التي هي أصل الذنوب كلها، فإذا ذكر العبد ربه واستعاذ به خنس).

وقال ابن تيمية: (الذكر للقلب مثل الماء للسّمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء).

وفي هذا الحديث بيان كثرة طرق الخير، فحري بالمسلم أن يلتزم بها ويقوم بها، ولا يفرط في شيء منها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان أو طير أو دابة إلا كان له صدقة». وذكر البخاري في تاريخه من حديث جابر مرفوعاً: «من حفر ماء لم تشرب منه كبّد حرى من جن ولا إنس ولا سبع ولا طائر إلا آجره الله يوم القيامة».

وروى الإمام أحمد والترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «ذكر الله عجل».

وروى الترمذي من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة،

وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة».

وفضل الأمر المعروف والنهي عن المنكر معروف مشهور ومن شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر الأول: أن يكون الأمر عالمًا بأن هذا الفعل من المعروف أو من المنكر، إذ لا يجوز للإنسان أن يأمر بما يجهل حقيقته أو لا يعرف حكم الله فيه.

الأمر الثاني: ألا يؤدي أمره إلى منكر أعظم من ترك المعروف، وألا يكون النهي عن المنكر مؤديًا إلى منكر أعظم، فإذا كان المنكر عند إنكاره يزول ويؤدي إلى منكر أعظم فإن العبد حينئذ لا ينكر هذا المنكر، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

عباد الله:

الصدقة بغير المال نوعان:

أحدهما: ما فيه تعدية الإحسان على الخلق، فيكون صدقة عليهم، وربما كان أفضل من الصدقة بالمال، وهذا كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه دعاء إلى طاعة الله، وكف عن معاصيه،

وذلك خير من النفع بالمال، وكذلك تعليم العلم النافع، وإقراء القرآن، وإزالة الأذى عن الطريق، والسعي في جلب النفع للناس، ودفع الأذى عنهم، وكذلك الدعاء للمسلمين والاستغفار لهم.

والثاني: من الصدقة التي ليست مالية: ما نفعه قاصر على فاعله، كأنواع الذكر: من التكبير والتسبيح، والتحميد، والتهليل، والاستغفار، وكذلك المشي إلى المساجد صدقة وغير ذلك.

في الصحيحين عن أبي هرير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾
[آل عمران: ١٣٣].

بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار
على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.
أما بعد:

وفي الحديث - عباد الله - فضيلة التسبيح وسائر الأذكار، والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحضار النية في المباحات وإنما
تصير طاعات بالنيات الصادقات، وفيه دليل على أن الصحابة رضي الله عنهم
لشدة حرصهم على الأعمال الصالحة يحزنون على ما يفوتهم منها
مما لم يقدرُوا عليه كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى
الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ
إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٩١] وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ
قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ
الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩١: ٩٢].

عباد الله:

أبواب الخير غير محصورة على ما ورد في الحديث، بل وردت أعمال أخرى أخذت وصف الصدقة منها: التبسم في وجه الأخ، وعزل الشوكة أو الحجر عن طريق الناس، وإسماع الأصم والأبكم حتى يفهم، وإرشاد الأعمى الطريق، والسعي في حاجة الملهوف، ونفقة الرجل على أهله، وإفراغك دلوك في دلو أخيك؛ بل كل ما هو داخل في لفظة (المعروف) يعتبر صدقة من الصدقات إما على النفس أو على المجتمع.

وفي هذا يتبين فضل الله ﷻ على عباده وشمولية الإسلام لكل ما ينفع الإنسان ومن حوله.

بل ومن فضل الله ﷻ على المسلم: أن عاداته تنقلب بالنية إلى عبادة يؤجر عليها، ويصير فعله وتركه قرابة يتقرب بها من ربه جل وعلا، فإذا تناول الطعام والشراب المباح بقصد الحفاظ على جسمه والتقوى على طاعة ربه، كان ذلك عبادة يثاب عليها ولا سيما إذا قارن ذلك ذكر الله تعالى في بدء العمل وختامه فسمى الله تعالى في البدء، وحمده وشكره في الختام.

ومن أبواب الخير الأخرى كف الأذى عن المسلمين قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨] وكما في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك».

وعن أبي هريرة قال: «قال رجل: يا رسول الله إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها. قال: هي في النار».

وفي الحديث عن أبي موسى الأشعري قال: (قلنا يا رسول الله: أي الإسلام أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده») [متفق عليه].

وفي الحديث من الفوائد: فضيلة الصحابة رضي الله عنهم إلى العمل الصالح وشدة حرصهم على الخير وقوة رغبتهم في الأعمال الصالحة، وعظم الأجر، ولذلك كانوا يحزنون على فوات بعض الأعمال التي يتمكن منها الأغنياء. وليس في الحديث حسد فقراء الصحابة الأغنياء، بل فيه رغبة في التنافس معهم على سبل الخير. هذا وصلوا...

الخطبة الأولى^(١)

٢٦

الحمد لله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين؛ ولو كره الكافرون، أسبغ علينا النعم، ودفع عنا النقم، له الحمد في الأولى والآخرة؛ وله الحكم وإليه ترجعون. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، أظهر الله به دينه على الدين كله، ولو كره المشركون، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله - تعالى - حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى.

أيها المسلمون:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ).

(١) الحديث السادس والعشرون: «كل سلامى من الناس عليه صدقة».

هذا حديث عظيم وقاعدة من قواعد الدين الحنيف، وفيه أن الأعمال الصالحة لا تقتصر على الإنسان نفسه، بل كل عمل فيه نصح ونفع للناس فيه أجر، وهو من أحاديث شكر النعم وفضائل الأعمال، وفيه فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم وإعانتهم. وفيه فضل المشي إلى المساجد وإمطة الأذى عن الطريق.

عباد الله:

للصدقة مفهوم واسع لا يقتصر على بذل المال وإنفاقه في أوجه البر والخير، بل ويشمل كثيراً من الطاعات والعبادات التي تدل وتبرهن على صدق صاحبها في عبوديته لله تعالى. وفي هذا الحديث جملة من الأعمال التي يعم نفعها الجميع، فيحقق بها الائتلاف بين أفراد المجتمع، وتجتمع فيها القلوب ويكون المجتمع متوآداً متحاباً متعاوناً. وقد جمع الرسول ﷺ في الحديث جملة من مكارم الأخلاق والإحسان إلى الناس؛ وهي صفة من صفات الأنبياء والصالحين، فحسن الخلق وإعانة المسلمين يوجب التحاب والتآلف، مع رفيع الدرجات.

أيها المسلمون:

خلق الله الإنسان فأحسن خلقه وأتمه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] وقد ذكر النبي ﷺ نعم الله

على العبد، ومنها المفاصل في جسمه والتي عددها ستين وثلاثمائة مفصل، وقد خص النبي ﷺ السلاميات بالذكر في حديثه، لما فيها من تنظيم وجمال ومرونة وتقابل. ولهذا هدد وتوعد ﷺ كل كافر معاند بالحرمان منها؛ قال تعالى: ﴿بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة: ٤].

أي: نجعل أصابع يديه ورجليه مستوية شيئاً واحداً، كخف البعير وحافر الحمار، فلا يمكنه أن يعمل بها شيئاً، كما يعمل بأصابعه المفرقة ذات المفاصل من فنون وأعمال.

ومن أداء حق هذه النعمة القيام بالأعمال الصالحة التي ذكرها النبي ﷺ في الحديث وهي: الكلمة الطيبة التي تسر السامع وتدخل السرور وتؤلف القلوب، وكذلك الإصلاح بالعدل بين الناس، ومعاملتهم بالأخلاق الكريمة، وكذلك مساعدة الرجل في دابته سواء بحمله عليها أو برفع متاعه عليها كل ذلك صدقة، وبكل خطوة إلى الصلاة يمشيها صدقة، وإمطة الأذى عن الطريق صدقة. وهذه الأعمال لها من الأجر والثواب ما يساوي أجر الصدقة لمن عجز عنها، ومثلها لمن جمع بينها وهو قادر عليها.

عباد الله:

في كل صباح يوم يحمد المسلم ربه ﷻ على نعمه، وبما أنعم عليه من خلق هذه السلاميات والمفاصل في جسده، وما فيهما من باهر نعمه ودوامها التي هي نعمة أخرى تستحق الحمد والشكر قولاً وعملاً.

جاء في الحديث أنه ﷺ قال: «كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس» أي؛ أن الصدقة على ابن آدم عن هذه الاعضاء في كل يوم من أيام الدنيا. شكر الله ﷻ.

(والسلامى) عظام البدن ومفاصله وأعضاؤه.

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها عن النبي ﷺ قال: «خلق الله آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن ذكر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، وعزل حجراً عن طريق المسلمين، أو عزل شوكة، أو عزل عظماً، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامى أمسى من يومه، وقد زحزح نفسه من النار».

وفيه أيضاً من حديث أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «يصبح على كل سلامى أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهى عن المنكر صدقة، ويجزى من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى».

قال ابن دقيق العيد: (أي يكفي من هذه الصدقات عن هذه الأعضاء ركعتان، فإن الصلاة عمل لجميع أعضاء الجسد، فإذا صلى فقد قام كل عضو بوظيفته).

قال ابن العطار رَحِمَهُ اللهُ (ففي هذا الحديث عظم فضل صلاة الضحى، وأنها تجزئ عن ذلك كله).
عباد الله:

صلاة الضحى سنة مؤكدة، وهي صلاة الأوابين. ووقت صلاة الضحى من ارتفاع الشمس قيد رمح إلى قبيل الزوال، أي بعد طلوع الشمس بنحو ثلث ساعة إلى قبيل أذان الظهر بعشر إلى خمس دقائق.

وآخر الوقت أفضل حين يشتد الضحى قبل وقوف الشمس. وأقلها ركعتان ولا حد لها، يصلى أربعاً أو ستاً، أو ثماناً أو أكثر. ولا ينبغي جمعهن بسلام واحد.

وصلاة الإشراف هي صلاة الضحى في أول وقتها. وتستحب صلاة الضحى للمسافر وغيره.

أيها المسلمون: أمر الله ﷻ بالاصلاح بين المسلمين حتى لا تدب الفرقة والتناحر بينهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ

فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴿١٠﴾ [الحجرات: ١٠] وقال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨].

وفي الحديث قال ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى. قال: «إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة» [رواه الترمذي].

وصلاح النية في أمر الإصلاح أمر مهم، قال تعالى: ﴿إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥].

وفي الحديث قال ﷺ: «تعدل بين الإثنين صدقة» يدخل في العدل الحكم بينهما بالعدل والصلح وغير ذلك. وكل ما وافق الشرع فهو عدل، وكل ما خالف الشرع فهو ظلم وجور؛ لأن إقامة العدل في الأرض سمة من سمات أهل الإسلام.

والعدل بين الإثنين «صدقة» عليه، لوقايته ما يترتب على الخصام من قبيح الأقوال والأفعال، ولهذا عظم فضل الإصلاح بين المسلمين أفراداً وأسرًا ومجتمعات.

ثم قال ﷺ: «وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة» وهي صدقة الإعانة. وفي الحديث استحباب إعانة الآخرين، وأن فيه الأجر والمثوبة لمن قام بذلك.

قال ﷺ: «والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه» [رواه مسلم].
وأوجه إعانة المسلمين كثيرة لا تحصى.

«والكلمة الطيبة صدقة» سواء من ذكر الله كالتهليل والتكبير
والتهليل، أو في حق الناس كحسن الخلق وطيب الكلام وإدخال
السرور والدعاء، كل ذلك صدقة. ومنه قول النبي ﷺ: «ولو أن
تلقى أخاك بوجه طلق».

وهناك عدد من الأعمال الصالحة التي تعتبر صدقة يؤجر العبد
عليها ومن ذلك ما ورد في قوله ﷺ: «حق المسلم على المسلم
خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعاء،
وتشميت العاطس» [رواه البخاري ومسلم].

ثم ذكر ﷺ فضل الصلاة، وهي أعظم الفرائض بعد الشهادتين،
قال ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» وقال
ﷺ: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» وقال عمر بن
الخطاب رضى الله عنه: «لاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة».

وفي هذا الحديث قال ﷺ حاثاً ومرغباً في صلاة الجماعة. «وبكل
خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة» فإذا خرج إلى الصلاة لم يخط
خطوة إلا رفع الله بها درجة، وخط عنه بها خطيئة. وإذا أسبغ

المصلي الوضوء في بيته، وخرج إلى المسجد، لا يخرج به إلا الصلاة، فله ثلاث فوائد: الأولى: صدقة، والثانية: رفع درجة، والثالثة: حط خطيئة، وفي الحديث الحث والتأكيد على حضور الجماعات وعمارة المساجد.

وفي الحديث الآخر قوله ﷺ: «من غدا إلى المسجد وراح أعد الله له نزله في الجنة كلما غدا أراح» [متفق عليه].

وفيه فضيلة أداء الصلوات في المساجد وأن العبد يؤجر على ذلك الأجور العظيمة حتى ممشاه إلى المسجد تحسب له كل خطوة يخطوها صدقة. قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۚ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۚ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ ۚ وَالْأَبْصَارُ ۚ لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٦-٣٨].

والصلاة صلة بين العبد وربّه، نور في الوجه والقلب، وصلاح للبدن والروح، تطهر القلوب، وتكفر السيئات، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أرايتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه

كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟» قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال «فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا» [متفق عليه]. والمراد صغائر الذنوب، أما الكبائر فإنها تحتاج إلى توبة صادقة.

عباد الله:

تفضل الله ﷻ علينا بنعمه وآلائه فهدانا للإسلام، ورزقنا من الطيبات، وأنعم علينا بالصحة في الأبدان والأمن في الأوطان، فله الحمد والشكر، رب جواد كريم، والشكر هو عرفان الإحسان ونشره، والاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع.

قال ابن القيم: (الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناء واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة. ومن أسماء الله ﷻ؛ الشاكر والشكور، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣] ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧] والشكر صفة الأنبياء وحلية الأتقياء.

ومن أعظم شكر الله ﷻ تقوى الله، واستعمال نعمه في طاعته وعبادته فإن ذلك سبب لرضا الرب عن عبده ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧] وهو سبب للزيادة ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ

شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ ﴿٧﴾ [إبراهيم: ٧] وأهل الشكر هم المخصوصون
بمنه الله عليهم من بين عباده ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل
عمران: ١٤٥].

في هذا الحديث عنه ﷺ أنه ﷺ قال: «من قال حين يصبح: اللهم
ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك
فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر ذلك اليوم، ومن قالها حين
يمسي أدى شكر ليلته» [رواه أبو داود].

والشكر قسمان: شكر واجب؛ ويكون بالقيام بالواجبات وترك
المحرمات، وهو كاف لشكر هذه النعم وغيرها.

وشكر مستحب؛ وهو أن يزيد على ذلك بنوافل الطاعات القاصرة
كالأذكار، والمتعدية كالإعانة والعدل، وهو المراد من هذا الحديث.

كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه: إني بأرض قد كثرت فيها
النعم، حتى لقد أشفقت على أهلها من ضعف الشكر. فكتب إليه
عمر: أني قد كنت أراك أعلم بالله مما أنت، إن الله لم ينعم على عبد
نعمة فحمد الله عليها، إلا كان حمده أفضل من نعمته، لو كنت لا
تعرف ذلك إلا في كتاب الله المنزل، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا
دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ

مَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿النمل: ١٥﴾ وقال الله ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا﴾ إلى قوله ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الزمر: ٧٣-٧٤] وأي نعمة أفضل من دخول الجنة.

وقال وهب بن منبه: (عَبَدَ الله عابد خمسين عامًا، فأوحى الله ﷻ لعرق في عنقه، فضرب عليه فلم ينم ولم يصل، ثم سكن وقام، فأتاه ملك فشكا إليه ما لقي من ضربات العرق. فقال الملك: إن ربك ﷻ يقول: عبادتك خمسين سنة لم تعدل سكون ذلك العرق).

وقال سليمان التيمي: (إن الله أنعم على العباد على قدره، وكلفهم الشكر على قدرهم، حتى رضي الله منهم من الشكر بالاعتراف بقلوبهم بنعمه، وبالحمد بألسنتهم عليها).

عباد الله:

أعمال العباد كلها لا تساوي قدر أقل نعمة من نعم الله المتكاثرة، فلئن كان شكرها لا يوفي قدرها، فلا أقل من حق الرعاية، وصيانتها من استعمالها في غير مرضاة خالقها ومولاها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله حمد الشاكرين، خلقنا وآونا وكفانا، وأطعمنا وسقانا،
وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم
وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان على يوم الدين.

أما بعد:

ديننا عباد الله دين شامل كامل، فيه الهدى والنور، وفيه مصالح
العباد في الدنيا والآخرة.

وفي الحديث: الحث على أعمال الخير والطاعات شكرًا لله على
نعمه وتقربًا إليه بصالح الأعمال، وفي كثرتها وتنوعها مدعاة إلى
الأخذ بما تيسر منها سواء اجتمعت أم تفرقت. والإنسان إذا عجز
عن خصلة من خصال الخير قدر على الأخرى، وبعضها ذات نفع
متعد لعباد الله وبعضها مقتصر على من عملها.

قال السعدي عند قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧: ٨]. قال

رَحِمَهُ: (وهذا شامل عام للخير والشر كله، لأنه إذا رأى مثقال الذرة، التي هي أحقر الأشياء، وجوزي عليها، فما فوق ذلك من باب أولى وأحرى، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]، ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩]. وهذه الآية في غاية الترغيب في فعل الخير ولو قليلاً، والترهيب من فعل الشر ولو حقيراً).

«وتميط الأذى عن الطريق صدقة» أي؛ تزيل ما يؤذي المارة من حجر أو شجر، أو غيرها مما يؤذي المارين فإنه صدقة. وهذا من الترغيب في إمطة الأذى عن الطريق، وأنه صدقة على المسلمين، وهو صدقة من الإنسان على نفسه؛ وشرط ذلك: أن يعملها ويقوم به إيماناً واحتساباً، وهو شعبه من شعب الإيمان، كما في قوله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إمطة الأذى عن الطريق.....» [رواه مسلم].

وفي الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق، فأخره، فشكر الله له، فغفر له» [رواه مسلم].

ومن إمطة الأذى: كف الأذى عن الناس، وهي عبادة عظيمة، في الحديث عنه ﷺ أنه قال: «تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك» وفي القرآن العظيم: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وفي الحديث؛ أن الصدقة لا تختص بالمال، بل كل ما يقرب إلى الله ﷻ فهو صدقة بالمعنى العام.
هذا وصلوا وسلموا...

الخطبة الأولى^(١)

٢٧

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠: ٧١].

(١) الحديث السابع والعشرون: «البر حسن الخلق».

أما بعد:

فإن خير الهدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

عباد الله:

روى الإمام مسلم عَنْ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ».

راوي هذا الحديث؛ هو النواس بن سمعان الكلابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قدم أبواه على النبي فدعا له ﷺ وأعطاه نعليه فقبلها ﷺ وزوجه أخته، فلما دخل عليها النبي ﷺ تعوذت منه فتركها وهي الكلابية، كان حريصاً على طلب العلم، كثير البكاء لا يملك دمعته، قال: أقمت مع رسول الله ﷺ بالمدينة سنة ما يمنعني من الهجرة إلا المسألة. سكن الشام ومات بها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا الحديث؛ من جوامع الكلم التي أوتيها النبي ﷺ. وهو اختصار المعاني العظيمة في الألفاظ القليلة.

قال ابن حجر: (وهذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ، بل من أوجزها، إذ البر كلمة جامعة لجميع أفعال الخير، وخصال

المعروف، والإثم كلمة جامعة لجميع أفعال الشر والقبائح كبيرها وصغيرها).

عباد الله:

إن الأخلاق في دين الإسلام عظيم شأنها، عالية مكانتها، رفيعة منزلتها، ولذلك دعا المسلمين إلى التحلي بها وتنميتها في نفوسهم، وهي أحد الأصول الأربعة التي يقوم عليها دين الإسلام وهي: الإيمان، والأخلاق، والعبادات والمعاملات، ولذا نالت العناية الفائقة والمنزلة العالية في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ.

وفي الحديث قال ﷺ: «البر حسن الخلق» البر: كلمة جامعة لجميع أفعال الخير وخصال المعروف. وهو لمقابلته، بالفجور، عبارة عما اقتضاه الشرع وجوبًا، كما أن الإثم عما نهى عنه الشرع وجوبًا أو ندبًا.

وقوله ﷺ: «البر حسن الخلق» يعني: أن حسن الخلق أعظم خصال البر، وهو ما يسر فاعله ويلحقه بالأبرار، وحسن الخلق هو الأخلاق الحميدة، والأوصاف الجميلة، كالإنصاف في المعاملة، والرفق في المحاولة، والعدل في الأحكام، والبذل والإحسان في اليسر، والإيثار في العسر، وغير ذلك من الصفات الحميدة.

وحسن الخلق من البر الداخل في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿[المائدة: ٢].

وفي الصحيحين: «أن أعرابياً جذب برد النبي ﷺ حتى أثرت حاشيته في عاتق النبي ﷺ، وقال: أعطني يا محمد من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك وأمر له بعطاء»
وحسن الخلق يكون في عبادة الله، ويكون في معاملة عباد الله، فحسن الخلق في عبادة الله: أن يتلقى الإنسان أوامر الله بصدق منشراح، ونفس مطمئنة، ويفعل ذلك بانقياد تام، بدون تردد، وبدون شك، وبدون تسخط. أما في معاملة الناس فإنه يقوم ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، وهو منشراح الصدر، واسع البال، لا يضيق بذلك ذرعاً، ولا يتضجر منه، فإذا علمت من نفسك أنك في هذه الحال، فإنك من أهل البر.

قال العلماء: (البر يكون بمعنى الصلة، وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة، وبمعنى الطاعة، وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق).

وقيل: حسن الخلق طلاقة الوجه، وكف الأذى، وبذل الخير، وأن يحب للناس ما يحب لنفسه من التواضع وعدم الكبر، ولين الجانب، ورحمة الصغير، واحترام الكبير، ودوام البشر، وحسن المصاحبة، وسهولة الكلمة، وإصلاح ذات البين، والتواضع والصبر، والحلم والصدق، وغير ذلك من الأخلاق الحسنة والأفعال الحميدة التي حث عليها الإسلام ورغب فيها. والمسلم مأمور باحتساب حسن الخلق والتأدب بآداب الشريعة.

قالت عائشة رضي الله عنها: «ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال: لبيك، فلذلك أنزل الله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وقال ابن تيمية وهو يتكلم عن منهج السلف في الأخلاق والسلوك: (يأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمر القضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال).

والبر أنواع: فيكون البر فيما بين العبد وبين ربه - جل وعلا -، ويكون البر فيما بين العبد وبين الناس؛ فالبر الذي بين العبد وبين ربه - جل وعلا - هو بالإيمان، وإتيان أوامر الله - جل وعلا - المختلفة، وامتنال الأمر، واجتناب النهي، كما قال عز وجل في سورة

البقرة: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧] الآية. وهذا النوع من البر يأتي في القرآن كثيراً، والعبد يكون من أهل البر إذا قام بما جاء في هذه الآية، وترك ما نهى الله ﷻ عنه.

والقسم الثاني من البر: البر مع الخلق، وهذا جماعه حسن الخلق، ولهذا قال ﷺ: «البر حسن الخلق» فجمع البر في عبارة وجيزة شاملة وهي «حسن الخلق» وهو بذل الندي، وكف الأذى والإحسان إلى الخلق، وأن يتجزئ بالسيئة الحسنة، وأن تعامل الناس بما فيه عفو عن المسيء، وكنتم للغيط، وإحسان للخلق، ودرجة البر تختلف باختلاف حسن الخلق.

ثم قال ﷺ: «والإثم ما حاك في نفسك، وكرهت أن يطلع عليه الناس».

«والإثم» أي؛ الذنب. وهو كلمة جامعة لجميع أفعال الشر والقبائح.

«ما حاك» أي؛ تردد وتحرك. وقيل رسخ وأثر.

«في نفسك» اضطرابًا وقلقًا ونفورًا وكراهية لعدم طمأننتها، ومن

ثم لم يرض بالاطلاع عليه.

«وكرهت أن يطلع عليه الناس» والمراد بالناس أمثالهم

ووجوههم وأشرفهم لا غوغاؤهم وأراذلهم، وفيه إشارة على أن

الإثم سبب من أسباب ضيق الصدر وقلقه واضطرابه، مما يدل على

أن الطاعة سبب للطمأنينة بخلاف المعصية فإنها سبب للاضطراب

والتردد، وهذا يرجع إليه عند الاشتباه، وهو ما استنكره الناس؛

فاعله وغير فاعله.

قال النووي: (هو ما اختلج وتردد ولم تطمئن النفس إلى فعله).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (ما رآه المؤمن حسناً فهو عند الله حسن،

وما رآه المؤمن قبيحاً فهو عند الله قبيح).

«وكرهت أن يطلع عليه الناس» أي؛ فيعيرونه بفعله، فإن النفس

بطبعها تحب المدحة وتكره المذمة.

قال ابن عثيمين رحمته الله: (ولكن هذا خطاب للمؤمنين، أما الفاسق

فإن الإثم لا يحييك في صدره، ولا يهمله أن يطلع عليه الناس، بل

يجاهر به ولا يبالي، لكن المؤمن لكون الله - سبحانه - وتعالى - قد أعطاه نوراً في قلبه، إذا همَّ بالإثم حاك في صدره، وتردد فيه، وكره أن يطلع عليه الناس، فهذا الميزان إنما هو في حق المؤمنين).

عباد الله:

والخير في حسن الخلق، لأن صاحبه يبادر إلى محاسن الأفعال وترك رذائلها، والمعصية ما يتردد في النفس من مطالب الهوى والآثام، ولا يحب أن يراه بها أحد من الناس مخافة الملامة والتعير.

قال القرطبي: (إنما أحاله النبي ﷺ على هذا الإدراك القلبي؛ لما علم من جوده فهمه، وحسن قريحته، وتنور قلبه).

قوله: «**وإن أفتاك الناس وأفتوك**» يعني: أن ما حاك في صدر الإنسان فهو إثم وإن أفتاه غيره، وهذا إنما يكون إذا كان المفتي يفتيه بمجرد ظن أو هوى من غير دليل شرعي.

وقد تبين من الحديث أن للإثم علامتين، علامة باطنة وعلامة ظاهرة. أما الأولى: فهي ما يشعر به الإنسان من قلق واضطراب في نفسه. والثانية: فهي أن تكره أن يطلع عليه الناس.

وفيه: أن للنفس شعورًا من أصل الفطرة بما تحمد وتذم عاقبته، ولكن غلبت عليها الشهوة فأوجبت لها الإقدام على ما يضرها، وكذلك كراهة اطلاع الناس عليه؛ دليل أن النفس بطبعها تحب اطلاع الناس على خيرها وبرها وتكره ضد ذلك. وإذا بقي الإثم خاطرًا ولم يعمل أو يتكلم به فلا إثم عليه.

وفي الحديث الآخر عَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ» [رواه أحمد].

عباد الله:

هذا الحديث؛ من الأحاديث الجوامع، وفيه من معجزات الرسول ﷺ إخبار السائل بما يريد سؤال عنه قبل أن يسأل، وهذا من الغيب الذي أطلعه الله تعالى عليه.

فقد جاء إلى رسول الله ﷺ وابصة بن معبد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال له رسول

الله ﷺ:

«جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ؟» أي الحلال، لأن الله ﷻ أطلع نبيه عليه في

نفسه؛ لأنه لا يعلم الغيب إلا الله - سبحانه - .. (قلت: نعم)

والبر: من جوامع الكلم التي أوتيها النبي ﷺ. وهو اختصار المعاني العظيمة في الألفاظ القليلة. (قال عن البر) أي معظمه: الخير والطاعة. (والبر) هي اللفظة الجامعة التي ينطوي تحتها كل أفعال الخير وخصاله. وجاء تفسيره في الحديث السابق بأنه حسن الخلق. قال ابن دقيق العيد: (أما البر فهو الذي يبر فاعله، ويلحقه بالآبرار، وهم المطيعون لله ﷻ).
قال وابصة: نعم.

فقال ﷺ:

«استفت قلبك» أي؛ اطلب الفتوى من قلبك ما دام على صفاء فطرته لم تدنسه آفات الهوى، لتوقعه فيما لا يرضي.
قال العلماء: (ولا يقال لكل إنسان: استفت قلبك، وإنما يقال ذلك لمن كان مثل الصحابي وابصة في قوة الفهم، وصفاء النفس، وسعة العلم، والحرص على تحري الخير، فمثله لا يرجع لفتوى رُؤسهم، أما عامة الناس فلا يقال استفت قلبك، وإنما يقال له: استفت العلماء الذين يميل قلبك إلى أمانتهم في العلم، فاسأل واعمل بفتواهم وإن خالفت فتواهم ما في قلبك، لقوله تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

قال ﷺ: «البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب» أي؛
نفسك وقلبك، فإن القلب السليم يدرك البر والإثم، ويرتاح
وينشرح.

«والإثم ما حاك في النفس» أي؛ في نفس المجتهد ولم يستقر حله
عنده.

«وتردد في الصدر» أي؛ لم ينشرح له.

«وإن أفتاك الناس وأفتوك» أي؛ غير أهل العلم والاجتهاد من أهل
الجهل والفساد، أو الناس عامة «وإن أفتوك» تأكيد لترك الشبهات.
وفي الآية الكريمة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ
فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].
والحق والباطل لا يلتبس أمرهما على المؤمن البصير، بل يعرف
الحق بالنور الذي عليه، فيقبله قلبه، وينفر عن الباطل فينكره
ولا يعرفه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ
وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَأَنْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].
بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، أحمده - سبحانه - وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، أحسن الناس خلقاً، وأبرهم قولاً وفعلاً فأظهر الله به دينه على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

عباد الله: يخلط كثير من الناس في فهم هذا الحديث، حيث يجعلونه مطية لهم في الحكم بالتحليل أو التحريم على وفق ما تمليه عليهم أهواءهم ورغباتهم، فيرتكبون من المحرمات ويقولون: (استفت قلبك) مع أن الحديث لا يمكن أن يراد به ذلك، وإنما المراد من الحديث أن المؤمن صاحب القلب السليم قد يستفتي أحداً في شيء فيفتيه بأنه حلال، ولكن يقع في نفس المؤمن حرج من

فعله، فهنا عليه أن يتركه عملاً بما دله عليه قلبه. ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

عباد الله:

البر من خصال الخير، ومن مواطن الأجور وهو طريق موصل إلى الجنة، وسبيل للزيادة في العمر، وهو من أسباب سعادة المرء في الدارين، وهو طريق لراحة البال واستقرار النفس واطمئنانها، والبر والإحسان إلى عباد الله معين على أمور الدنيا والدين. فاحرصوا على مداخل البر ودقائقه لتكونوا من أهل الخير والصلاح والفلاح.

وفي الحديث: بيان مكانة حسن الخلق في الإسلام، وأن للنفس شعوراً من أصل الفطرة بما تحمد وتذم عليه فهي قادرة على تمييز الإثم من البر، لأن الله ﷻ فطر عباده على معرفة الحق، والسكون إليه وقبوله، وركّز في الطباع محبة ذلك والنفور عن ضده.

وفي الحديث: الأمر بترك الشبهات التي تحصل للنفوس خشية أن تكون حراماً في نفس الأمر.

وفيه: آية من آيات النبوة حيث أخبر ﷺ وابصة بن معبد بما في نفسه قبل أن يتكلم.

وهذا الحديث أصل في معنى البر والإثم.

وفيه: أن النبي أعطي جوامع الكلم.

وفيه: أن المؤمن يكره أن يطلع الناس على آثامه.

وفيه: أن المدار في الشريعة على الأدلة لا على ما اشتهر بين الناس.
هذا وصلوا..

الخطبة الأولى^(١)

٢٨

الحمد لله أهل الحمد والشكر، والإحسان والبر، أحمده - سبحانه -
- وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، نعمه تجلّ عن الحصر، وأشهد إلا
إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ نبينا محمداً عبده ورسوله،
أكرم رسول نزل عليه أشرف ذكر، صلى الله وسلم وبارك عليه،
وعلى آله وأصحابه والتابعين؛ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الحشر.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله تعالى، فتقوى الله أكرم ما
أسررتم، وأجمل ما أظهرتم، وأفضل ما ادخرتم، أعاننا الله على
لزومها، وأوجب لنا ثوابها.

عباد الله:

روى أبو داود والترمذي عن أبي نجيح العرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه
قَالَ: «وَعَظَّنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَوْعِظَةً وَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ

(١) الحديث الثامن والعشرون: «وجوب لزوم السنة وتقوى الله».

مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَأَنَّهَا مَوْعِظَةٌ مُودَّعٌ فَأَوْصِنَا، قَالَ: أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» [حديث حسن صحيح].

أيها المسلمون: هذا الحديث حديث جليل، يحتوي على علوم فيها الحث على التقوى، والسمع والطاعة في غير معصية، والإخبار عن اختلاف الناس في المستقبل، وقد كان النبي ﷺ يعظ أصحابه بين الحين والآخر، ومما رواه العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَعَظَهُمْ وَذَكَرَهُمْ، وَأَعْلَمَهُمْ وَنَصَحَهُمْ بِمَوْعِظَةٍ بَلِيغَةٍ أَثَرَتْ فِيهِمْ تَأْثِيرًا بَلِيغًا، كَمَا وَصَفَ حَالَهُمُ الْعَرَبُاضُ بْنُ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكُلَّ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ ﷺ جُمِعَتِ الْفَصَاحَةُ وَالْبَلَاغَةُ، فَقَدْ أُوتِيَ ﷺ جَوَامِعُ الْكَلِمِ وَلِهَذَا فَإِنْ لَحْدِيثُهُ وَقَعَ فِي الْقُلُوبِ وَأَثَرَ فِي النَفُوسِ.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَعَظَنَا النَّبِيُّ ﷺ، أَيِ ذَكَرْنَا وَنَصَحَنَا:

قوله: «**وعظنا رسول الله ﷺ موعظة**» وفي رواية «بليغة» يعني: بلغت إلينا وأثرت في قلوبنا، **(وجلت منها القلوب)** أي خافت وذرفت منها العيون كأنه قام مقام تخويف ووعيد. والموعظة: هو التذكير بالعواقب.

وكان ذلك التذكير وتلك الموعظة بعد صلاة الصبح.

«وجلت منها القلوب» هذه صفة للمؤمنين عند سماع الذكر قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وقوله: «وذرفت منها العيون» أي: دمعت وسالت منها العيون تأثراً بها.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

قوله: (فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا) لما رقت قلوبهم ولانت طلبوا المزيد من النصح والوصية. لأن المودع يستقصي في القول والفعل لا يترك شيئاً مما يهمه إلا ويورده ويستقصي فيه، ولعل الخطبة التي أشار إليها العرباض شبيهة بما روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً كالمودع. فقال: «أنا محمد النبي الأمي ولا نبي بعدي، أوتيت فواتح الكلم، وخواتمه وجوامعه، وعلمتكم خزنة النار

وحملة العرش، وتَجوز لي ربي، وعوفيت أمتي، فاسمعوا وأطيعوا ما دمت فيكم، فإذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله، أحلوا حلاله، وحرّموا حرامه».

قوله ﷺ في موعظته: «أوصيكم بتقوى الله» أوصاهم بتقوى الله، وهي وصية الله للأولين والآخرين، وهي امتثال أوامره واجتناب نواهيه.

وقوله ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة» فهاتان الكلمتان تجمعان سعادة الدنيا والآخرة. جمع بينهما تأكيداً للاعتناء بهذا المقام. وجمع بين التقوى التي بها صلاح الآخرة، والإمامة وبها صلاح الدنيا.

وخرج الخلال في كتاب الإمارة من حديث أبي أمامة قال: «أمر رسول الله ﷺ أصحابه حين صلى العشاء أن احشدوا فإن لي إليكم حاجة، فلما فرغوا من صلاة الصبح قال: «هل حشدتم كما أمرتكم؟» قالوا نعم، قال: «اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، هل عقلتم هذه ثلاثاً؟» قلنا: نعم. قال: «أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، هل عقلتم هذه ثلاثاً؟» قلنا: نعم. قال: «اسمعوا وأطيعوا، هل عقلتم هذه ثلاثاً؟» قلنا: نعم» قال: فكنا نرى أن رسول الله ﷺ سيتكلم كلاماً

طويلاً، ثم نظرنا في كلامه، فإذا هو قد جمع لنا الأمر كله. قوله: «**وإن تأمر عليكم عبد**» وفي رواية: «**حبشي**» وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة».

«**والسمع والطاعة**» يعني لولاة الأمر في غير معصية، هاتان الكلمتان تجمعان سعادة الدنيا والآخرة. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١]. وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (إن الناس لا يصلحهم إلا إمام بر أو فاجر).

قوله ﷺ: «**وإن تأمر عليكم عبد حبشي**» أي: تولى الإمارة عليكم رجل ولو لم يكن من العرب، وهذه قاعدة شرعية فيها صلاح البلاد والعباد والوقاية من الفتن ودفع الشرور. والسمع والطاعة له بالمعروف لقوله ﷺ: «**إنما الطاعة في المعروف**» [رواه البخاري]. قال ابن العطار: (هذا الحديث معجزة وعلم من أعلام النبوة).

قال ابن العربي: (والذي عندي فيه أن النبي ﷺ أخبر بفساد الأمر ووضعه في غير أهله، حتى توضع الولاية في العبيد، فإذا كانت فاسمعوها واطيعوها؛ تغليبا لأهون الضررين، وهو الصبر على ولاية من لا تجوز ولايته، لئلا يغير ذلك فيخرج منه إلى فتنة عماء صماء، لا دواء لها، ولا خلاص منها).

والسمع والطاعة هنا ليسا على الإطلاق، بل هما مقيدان بما كان وفق كتاب الله وسنة رسوله، كما في الحديث «ما أقام فيكم كتاب الله» [رواه أحمد] ولحديث: «إنما الطاعة في المعروف» [رواه البخاري] ولحديث «ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» [رواه الحاكم].

قال الحسن: (والله لا يستقيم الدين إلا بالأمراء وإن جاروا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون).

ثم ذكر لهم النبي ﷺ أمراً مستقبلياً بقوله:

«وأنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً» أي؛ أن من طال عمره

منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، وهو ما حصل من الأمور التي وقعت بعد النبي ﷺ. وهذا آية من آيات النبي ﷺ.

ثم أعلمهم بالمخرج منها بقوله «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء

الراشدين المهديين» أي: عليكم التمسك بسنتي، وهي طريق

الرسول ﷺ علماً وعملاً وقولاً، وكذلك سنة الخلفاء الراشدين الأربعة وهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، - رضي الله عنهم أجمعين -، كما في الحديث الآخر: «والخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكاً». فإنهم خير هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ والراشد: من عرف الحق واتبعه.

وهذا إخبار منه ﷺ بما وقع في هذه الأمة من كثرة الاختلاف في أصول الدين وفروعه، فأمر عند ذلك بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين في الاعتقادات والأعمال والأقوال.

«تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ» أي؛ تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ. والنواجذ أقصى الضرس. وهو كناية عن شدة التمسك وعدم التهاون والتفريط في سنته ﷺ.

ثم حذر ﷺ من محدثات الأمور، فقال:

«وإياكم ومحدثات الأمور» ومحدثات الأمور: هي الأمور

المحدثة في الدين وليس لها أصل في الشريعة، وهي مذمومة.

«فإن كل بدعة ضلالة» هذا تحذير للأمة من اتباع الأمور

المحدثة، والمراد بالبدعة ما أحدث في الدنيا مما لا أصل له في الشريعة، وهذا من جوامع الكلم، وهو أصل عظيم من أصول الدين

وهو شبيه بقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد». والمعنى أن كل محدثة في دين الله فهي ضلالة، فدعوها واحذروا منها، لأن الله ﷻ أكمل وأتم لنا الدين، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

عباد الله:

اشتمل هذا الحديث على وصية أوصاها الرسول ﷺ لأصحابه وللمسلمين عامة من بعده، وجمع فيها التقوى لله ﷻ، والسمع والطاعة لأئمة المسلمين، وفي هذا تحصيل سعادة الدنيا والآخرة، كما أوصى ﷺ الأمة بما يكفل لهم النجاة والهدى إذا اعتصمت بالسنة، ولزمت الجادة، وتباعدت عن الضلالات والبدع، فاستمسكوا بوصية النبي ﷺ تفلحوا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون،
أحمده - سبحانه - وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، له الحمد في
الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون، وأشهد ألا إله إلا الله
وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، حمى
حمى التوحيد، وسدَّ كل طريق يوصل إلى الشرك، فأظهر الله به دينه
على الدين كله ولو كره المشركون.

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن
تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

هذا حديث جامع لخيري الدنيا والآخرة، ولمصالح العباد في
العاجل والآجل.

وفي الحديث مشروعية إعطاء المواعظ قبل الأسفار وقبل
التوديع، وفيه أن الموعظة التي يودع بها ينبغي أن تكون مؤثرة وأن
تحتوي على معان جليلة. لأنها ترقق القلوب، وفيها التحذير من
الفتن، والحرص على التمسك بالسنة والمحافظة عليها.

وفيه أيضاً: الأمر بالسمع والطاعة لولاة الأمور، والسمع والطاعة من الأعمال الصالحة التي أمرت بها الشريعة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «إن خليلي أوصاني أن اسمع وأطيع وإن كان عبداً مجدع الأطراف» [رواه مسلم]: وفي الحديث الآخرة قوله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم، واطيعوا إذا أمركم تدخلوا جنة ربكم» [رواه الترمذي].

وفي الحديث: أن البدع كلها مذمومة لقوله صلى الله عليه وسلم: «كل بدعة ضلالة» وكل: من ألفاظ العموم، وفيه إشارة إلى أن العبادات توقيفيه وأنه لا يجوز لنا أن نحدث عبادات جديدة لم يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم. وفي الحديث: فضل البكاء من خشية الله وشوقاً إليه.

وهذا الحديث أصل في الاعتصام بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وسنة الخلفاء الراشدين.

فإن من ثمرات اتباع السنة: الهداية، والهداية هي أجل النعم وأعظمها، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤] قال ابن كثير: (ذلك لأنه يدعو إلى صراط مستقيم، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى اله تصير الأمور).

ومن ثمرات اتباع النبي ﷺ دخول الجنة في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي» قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى» [رواه البخاري].

قال ابن قدامة: (وفي إتباع السنة بركة وموافقة الشرع، ورضا الرب سبحانه وتعالى، ورفع الدرجات، وراحة القلب، ودعة البدن، وترغيم الشيطان، وسلوك الصراط المستقيم).

وفي الحديث: ظهور آية من آيات النبي ﷺ في قوله: «فإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً». هذا وصلوا.

الخطبة الأولى^(١)

٢٩

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين،
وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الصادق الأمين، صلى الله وسلم
وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله - تعالى - أيها المسلمون، واعلموا أنكم إليه
راجعون، وعلى أعمالكم مجزيون ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ
مُلْقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

أيها المسلمون:

في الحديث: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ!
أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ
عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسِرُّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا،
وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ:

(١) الحديث التاسع والعشرون: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً».

أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ تَلَا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] حَتَّىٰ بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟» قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَكَ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» فَقُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا». قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكَلْتُكَ أُمُّكَ وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ - أَوْ قَالَ عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!» [رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح].

هذا الحديث أصل في جوامع أسباب السعادة، ومن أحاديث الوصايا، وهو جواب سؤال عظيم، ومن رحمة الله أن فتح لهم أبواب الخير، ليتزودوا من أسباب الأجر، ومغفرة الذنوب.

ورأوي الحديث هو معاذ بن جبل بن أوس الأنصاري المدني البصري، أسلم وهو ابن ثمانين سنة، شهد العقبة مع الأنصار السبعين، وشهد بدرًا وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان أعلم الأمة بالحلال والحرام، وهو أحد الستة الذين

جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ. بعثه النبي ﷺ إلى اليمن. ثم سار إلى الشام، وتوفي فيها سنة ثمانى عشرة للهجرة، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه.

عباد الله:

حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عن أمور الخير وطريق الجنة، وما يقرب إليها، وعن النار وما يباعد عنها، وفي هذا الحديث سأل معاذاً النبي ﷺ بقوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار)** أي؛ أرشدني إلى عمل شامل جامع لأعمال القلب واللسان والجوارح بحيث لو تمسكت به وسرت عليه يكون سبباً في دخولي الجنة وبعدي عن النار.

فأجابه النبي ﷺ على سؤاله في الحديث بقوله: **«لقد سألت عن عظيم»** وهو دخول الجنة والمباعدة عن النار، **«وإنه»** أي العمل الذي يدخل الجنة ويباعد عن النار **«ليسير»** أي هين.

«على من يسر الله عليه» فيه إشارة إلى أن التوفيق كله بيد الله ﷻ، فهو سهل على من سهله الله عليه بتوفيقه وتهيئة أسبابه له، وشرح صدره إليه، وأعانتة عليه، وقد قال النبي ﷺ: **«اعملوا فكل مُيسر لما خلق له. أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم تلا ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ**

وَأَتَّقِ ۞ وَصَدَّقْ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۞ وَأَمَّا مَنْ
 خَلَّ ۞ وَاسْتَغْنَى ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ۞
 [الليل: ٥-١٠].

قوله ﷺ: «**تعبد الله لا تشرك به شيئاً**» فإن الشرك أعظم الذنوب،
 قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾
 [المائدة: ٧٢].

وقال في سورة الأنعام بعد أن ذكر جملة من الأنبياء ﴿وَلَوْ
 أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨] وقال عن
 نبينا محمد ﷺ وحاشاه ذلك ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ
 قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾
 [الزمر: ٦٥] وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ
 بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

ثم قال ﷺ: «**وتقيم الصلاة**»، وإقامتها الإتيان بها على أكمل
 أحوالها تامة الأركان والواجبات والشروط. «**وتؤتي الزكاة**» أي تدفع
 الزكاة المفروضة لمستحقيها، «**وتصوم**» شهر «**رمضان**»، «**وتحج**
البيت» الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً.

هذه أركان الإسلام الخمسة، أرشده ﷺ لعبادة الله وحده مخلصاً له الدين، وإقامة الصلاة، والإتيان بشرائع الإسلام. ولما رتب دخول الجنة على واجبات الإسلام دله بعد ذلك على أبواب الخير من النوافل.

فقال ﷺ: «**ألا أدلك على أبواب الخير؟**» وأبواب الخير: مسائله وطرقه المؤدية إليه، وظاهر هذه العبادة أن المراد بها النوافل لأنه ذكر قبل ذلك الفرائض.

(الصوم جنة)، أي ستره وقاية تقي صاحبها من المعاصي ومن الشهوات، وتقيه في الآخرة من النار والمراد به هنا غير صوم رمضان، ومراده الإكثار من الصوم.

وفي الحديث: «من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً» [متفق عليه]. قال النووي: (معناه المباحة عن النار والمعاينة منها).

وقوله ﷺ: «**والصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار**». أي؛ تمحوها وتذهب أثرها، والصدقة تمحو أثر الخطيئة إن كانت من الصغائر بحق الله ﷻ، أما الكبيرة فلا يمحوها إلا التوبة، وأما حق آدمي فلا يمحوه إلا رضا صاحبه.

وفي الحديث الآخر: «إن صدقة السر لتطفئ غضب الرب، وتدفع ميتة السوء» وأراد بالصدقة هنا غير الزكاة. وقد قال تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا أَلْصَدَقَاتِ فَنِعْمًا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١].

ثم قال ﷺ من جملة الأعمال الصالحة: «وصلاة الرجل في جوف الليل» هذا هو الباب الثالث من أبواب الخير، والمراد بجوف الليل وسط الليل، (ثم تلا) شاهداً لما قال من أن الصلاة من جوف الليل من أبواب الخير لأنه رتب عليها: «تتجافى جنوبهم عن المضاجع، حتى بلغ آية يعملون»: أي: قرأ قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ أي أنهم لا ينامون ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦-١٧].

قوله: «وصلاة الرجل في جوف الليل» يعني تطفئ الخطيئة أيضاً كالصدقة فهي من أبواب البر، وهي دأب الصالحين من قبلنا وشعارهم. وخص الرجل بالذكر لأن السائل ذكر، وإلا فمثله المرأة.

وفي الترمذي من حديث بلال رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وإن قيام الليل قربة إلى الله ﷻ، ومنهاة عن الإثم، وتكفير السيئات، ومطرقة للداء عن الجسد». وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل».

وخرج النسائي والترمذي من حديث أبي أمامة: قيل يا رسول الله: أي الدعاء أسمع؟ قال: «جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات». وقد رتب عليها الأجر العظيم بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]

ثم قال صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟» قلت: بلى يا رسول الله، أي دلني وأخبرني.

قال صلى الله عليه وسلم: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد» المراد بالأمر: الدين، ورأسه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وعموده الصلاة المفروضة فلا يقوم إلا بها، وذروة سنامه: الجهاد في سبيل الله، وذروة كل شيء أعلاه وأرفعه، وهذا يدل على أن الجهاد أفضل الأعمال بعد الفرائض. ولا شيء

من معالم الإسلام أشهر ولا أظهر منه، فهو كذروة السنام التي لا شيء من البعير أعلى منه، وعليه يقع بصر الناظر من بُعد. ووجه إثارة الإبل بالذكر في تشبيه مكانة الجهاد بذروة السنام أنها خيار أموالهم، ومن ثم كانوا يشبهون بها رؤساءهم.

وفي رواية الإمام أحمد عن معاذ رضي الله عنه: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن شئت حدثتك برأس هذا الأمر، وقوام هذا الدين، وذروة السنام؟» قلت: بلى. فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «إن رأس هذا الأمر أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن قوام هذا الأمر إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وإن ذروة السنام منه الجهاد في سبيل الله».

ثم قال صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبرك بملاك ذلك الأمر كله؟» قلت: «بلى يا رسول الله» أخبرني.

«فأخذ بلسانه» أي أمسك لسان نفسه بيده، والحكمة في ذلك المبالغة في الزجر «فقال صلى الله عليه وسلم: «كف عليك هذا» أي لا تتكلم بما لا يعينك، وكف اللسان عن المحارم سلامة.

وفي الحديث «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» «فقلت: يا نبي الله: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟» أي

معاقبون بكل ما نتكلم به «فقال: **ثكلتك أمك يا معاذ**» قوله ﷺ: «**ثكلتك أمك يا معاذ**» أي: فقدتك، والعرب تدعو على الرجل ولا تريد وقوع الأمر به، «**وهل يكب الناس في النار على وجوههم** -أو قال: **مناخرهم -، إلا حصائد ألسنتهم؟!** » هذا يدل على أن كف اللسان وضبطه هو أصل الخير كله، وأن من ملك لسانه فقد ملك أمره. وشبه النبي ﷺ ما يتكلم به الإنسان بالزرع المحصود بالمنجل، وهو من بلاغة النبوة، فكما أن المنجل يقطع ولا يميز بين الرطب واليابس والجيد والرديء، فكذلك لسان بعض الناس يتكلم بكل أنواع الكلام حسناً وقبيحاً، والمعنى لا يكب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم، من الكفر، والقذف، والشتم، والغيبة، والنميمة، والبهتان، ونحوها.

في قوله: «**وهل يكب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم**» يعني جزاء الكلام المحرم وعقوباته، وفيه دلالة على أنه ينبغي شغل الإنسان لسانه بالكلام الطيب. وفيه أن ظاهر الحديث يدل على أن أكثر ما يدخل الناس به النار هو النطق بألسنتهم، وذلك لأنه قد يتكلم الإنسان بالكفر والشرك وبسب الله وسب نبيه، وبال دعوة إلى الباطل، وشهادة الزور والسحر والقذف والغيبة والنميمة والاستهزاء وغير ذلك من المعاصي القولية.

والمراد بحصائد الألسنة جزاء الكلام وعقوباته، فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات، فمن زرع خيراً حصد الكرامة، ومن زرع شراً حصد الندامة، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب» [رواه البخاري ومسلم]. وفي الحديث الآخر أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئل: «أكثر ما يدخل النار؟» قال: «الأجوفان الفم والفرج» [رواه ابن ماجه].

وقال يحيى بن أبي كثير: (ما صلح منطق رجل قط إلا عرفت ذلك في سائر عمله، ولا فسد منطق رجل قط إلا عرفت ذلك في سائر عمله). وكان ابن مسعود رضي الله عنه يحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما على الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان. وفي الحديث السابق عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

قال شيخ الإسلام: (ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنا والسرقة وشرب الخمر، ومن النظر المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يُشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو

يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يُلقي لها بالاً، يزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل مُتورع عن الفواحش والظلم ولسانه يغري في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي ما يقول).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: (إن بعض الناس لا تراه إلا منتقداً داءً ينسى حسنات الطوائف والأجناس، ويذكر مثالبهم، فهو مثل الذباب يترك موضع البرء والسلامة، ويقع على الجرح والأذى، وهذا من رداءة النفوس وفساد المزاج).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].
بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله شرح صدور المؤمنين فانقادوا لطاعته، وحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، فلم يجدوا حرجاً في امتثال شريعته، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

شرائع الإسلام سهلة ميسرة، وعد الله عليها للمتقين جنات تجري من تحتها الأنهار.

وقد ورد في هذا الحديث جملة من الوصايا العظيمة هي:

الأولى: إقامة فرائض الإسلام الخمسة.

والثانية: السعي في أبواب الخير الثلاثة: الصوم النافلة، والصدقة،

وصلاة الليل، ففيها وقاية من النار، ومن الذنوب والمعاصي.

والثالثة: في بيان بنيان الدين (وقد شبه بالفحل من الإبل): فرأسة

الإسلام، وعموده الصلاة، وأعلاه الجهاد.

والرابعة: في الجامع لهذا: هو كف اللسان عن الحرام.

وفيه دليل على أن الأعمال سبب لدخول الجنة كما قال تعالى:
﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢].
وقوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]
وأما قوله ﷺ: «لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله» فالمراد أن العمل
بنفسه لا يستحق به أحد الجنة لولا رحمة الله، فالجنة وأسبابها من
فضل الله ورحمته.

وفي الدعاء المأثور: (ونسألك الجنة وما قرب إليها من قول
وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل).
عباد الله:

إن أمر هذا الدين عظيم، لكن في دعاء الله وتقواه ما ييسر على
العبد الأخذ والالتزام بالأوامر والبعد عن النواهي طمعاً ورجاء في
رحمة ربه ومغفرته لينال جنته.

ومن فوائد الحديث: حرص الصحابة رضي الله عنهم على العلم.
وفيه: علو همة معاذ رضي الله عنه حيث لم يسأل عن أمور الدنيا.
وفيه: أن العمل الصالح يدخل الجنة ويباعد عن النار.
وفيه: تيسير الطاعة والعبادة على من يسرها الله عليه.
هذا وصلوا وسلموا

الخطبة الأولى^(١)

٣٠

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ ﴿٦٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

(١) الحديث الثلاثون: «إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها».

ذُنُوبُكُمْ^ق وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٠﴾
[الأحزاب: ٧٠: ٧١].

أما بعد:

فإن خير الهدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

عباد الله: روى الدار قطني وغيره عن أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُسَيْبِيِّ جُرْثُومِ بْنِ نَاشِبٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا».

أيها المسلمون:

رسمت الشريعة منهجًا عظيمًا وطريقًا موصلًا إلى الصراط المستقيم، وفي الحديث الذي سنقرأه في هذه الخطبة نجد أن النبي ﷺ حدد لنا معالم هذا الدين وطبيعته فأوضحت الحال وحذرت من الحرام، ولم تدع شاردة ولا واردة إلا وبينتها ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

هذا الحديث أصل كبير من أصول الدين، فمن عمل بهذا الحديث، فقد حاز الثواب، وأمن العقاب، لأن من أدى الفرائض، واجتنب المحارم، ووقف عند الحدود، وترك البحث عما غاب عنه فقد استوفى أقسام الفضل، وأوفى حقوق الدين، لأن الشرائع لا تخرج عن هذه الأنواع المذكورة في هذا الحديث.

فعبر عن شرع الله بألفاظ أربع: الفرائض، والمحارم، والحدود، والمسكوت عنه.

وأول قضية يتناولها الحديث بيان موقف المكلف نحو ما يرد عليه من الأوامر في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ.

قال ابن حجر: (هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ الوجيزة البليغة؛ وذلك لتضمنه جميع قواعد الشرع وأحكامه وآدابه؛ إذ الحكم الشرعي إما مسكوت عنه أو متكلم به؛ وهو إما مأمور به وجوباً أو ندباً، أو منهي عنه تحريماً أو كراهة، أو مباح؛ فالواجب: حقه ألا يضيع، والحرام: حقه ألا يقارب، والحدود - وهي الزواجر الشرعية؛ كحد الردة والزنا والسرقه والشرب: حقه أن تقام على أهلها من غير محاباة ولا عدوان).

وفي قوله ﷺ: **(إن الله تعالى فرض)** أي؛ أوجب سبحانه وتعالى وألزم عباده، **(فرائض)** فرضها عليهم وبينها في كتابه وسنة نبيه ﷺ **(فلا تضيعوها)** تهاوناً أو كسلاً **(وحد حدوداً)** **(فلا تعتدوها)** وأما قوله **(فلا تنتهكوها)** أي فلا تدخلوها فيها.

قوله ﷺ: **«وسكت عن أشياء»** وهو الذي لم يذكر حكمه بتحليل ولا إيجاب ولا تحريم بالنص عليه. وكل ذلك **«رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها»** وهذا موافق لقوله ﷺ: **«ذروني ما تركتكم فإنما أهلك الذين قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم»**.

قال بعض العلماء: كانت بنو إسرائيل يسألون فيجابون، ويعطون ما طلبوا، حتى كان ذلك فتنة لهم، وأدى ذلك إلى هلاكهم، وكان الصحابة رضي الله عنهم قد فهموا ذلك، وكفوا عن السؤال إلا فيما لا بد منه، وكان يعجبهم أن يجيء الأعراب يسألون رسول الله ﷺ فيسمعون ويعون.

قوله ﷺ: **«إن الله - تعالى - فرض فرائض»** وهو الواجبات التي أوجبها الله على عباده وألزمهم بها. وذهب بعض أهل العلم إلى أن ما ثبت عن طريق الكتاب فرضاً، وما ثبت عن طريق السنة واجباً. **«فلا تضيعوها»** أي؛ بالإخلال بها، إما بتركها، أو بترك ركن من أركانها؛ أو شرط من الشروط المتوقف على صحتها عليه.

وفي هذا توجيه عظيم إلى عدم التفريط في أداء الفرائض، والفرائض هي الواجبات التي أوجبها الله على عباده وألزمهم بها، ومنها ما يكون واجباً على كل أفراد الأمة، وهو ما يسمى بالفرائض العينية، ومنها ما هو واجب على الكفاية، أي إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين. فهذه الفرائض - بنوعيتها - واجبة على كل مكلف ما دام مستطيعاً، وإذا ورد الأمر من الله تعالى أو من رسوله ﷺ فلا مجال لرده أو عدم القيام به، لأن هذا هو مقتضى إيمان العبد بالله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١] فهذه الطاعة هي عنوان العبودية والتسليم لحكم الله وشرعه.

ثم ذكر ﷺ ما يتعلق بالمحرمات، فأرشد إلى تركها، فدعا إلى ترك المعاصي بجميع أنواعها، وإنما عبر عنها بلفظ الانتهاك، لبيان ما عليه حال من يقارف المعاصي من تعد وعدوان على أحكام الله ﷻ، فأتى بهذه اللفظة للتنفير عن كل ما نهى الله عنه.

قال ﷺ:

«**وحد حدوداً**» أي بين وعين أحكاماً كحد الزنا والسرقة.

«**فلا تعتدوها**» أي لا تتجاوزوها.

وقيل: حدود الله: أحكامه وأوامره ونواهيه، فلا تعتدوها. أي؛ فلا تتجاوزوا عنها بتركها.

«وحرّم أشياء» التنكير للتكثير.

«فلا تنتهكوها» بالوقوع فيها ولا تقربوها، مثل الشرك والزنا والخمر وعقوق الوالدين وقتل النفس إلا بالحق والسرقة وأشياء كثيرة؛ وكأن التحريم كالحجاب الحائل بين المكلف وبينها فلا يصل إليها إلا بانتهاكه وخرقه.

وإنما عبر عنه بلفظ الانتهاك؛ ليبين ما عليه حال من يقارف المعاصي من تعد وعدوان على أحكام الله، فأتى بهذه اللفظة لتنفير عن كل ما نهى الله عنه.

«وسكت عن أشياء» أي؛ لم يحكم فيها بوجوب أو حل أو حرمة. فهي شرعاً على الإباحة الأصلية.

«رحمة لكم» أي؛ من أجل الرحمة والتخفيف عنكم.

«غير نسيان» أي؛ سكوت عن إظهار الحكمة، ومقتضاه أن يكون باقيًا على أصل إباحته. لأن النسيان مستحيل عليه سبحانه وتعالى. وإذا كان الأمر كذلك.

«فلا تبحثوا عنها» أي؛ فلا تسألوا عن حالها، لأن السؤال عما سكت الله عنه يفضي إلى التكاليف الشاقة. إنه سكوت عن إظهار حكمه، ومقتضاه أن يكون باقياً على أصل إباحته، وليس معنى هذا جواز الابتداع في الدين والزيادة فيه، بحجة أنه مسكوت عنه، فإن الابتداع ليس مسكوتاً عنه، بل هو محرم كما دلت الأدلة على ذلك.

عباد الله:

هذا الحديث أصل كبير من أصول الدين وفروعه، من عمل به فقد حاز الثواب، وأمن العقاب؛ لأن من أدى الفرائض التي فرضها الله على عباده وألزمهم القيام بها وأوجبها عليهم، واجتنب المحارم، وهي المعاصي وهي الأفعال التي منع الله من قربانها وارتكابها وانتهاكها ووقف عند الحدود وهي ما نهى الله عن تجاوزها وتعيديها قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩] وقد تطلق الحدود ويراد بها الذنوب قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧] وقد يراد بالحدود العقوبات الشرعية المقدرة، وترك البحث عما غاب عنه، فقد استوفى أقسام الفضل، وأوفى حقوق الدين.

قال أبوبكر ابن السمعاني - رحمه الله تعالى - : (من عمل بهذا الحديث فقد حاز الثواب وأمن العقاب، لأن من أدى الفرائض واجتنب المحارم ووقف عند الحدود، وترك البحث عما غاب عنه، فقد استوفى أقسام الفضل، وأوفى حقوق الدين، لأن الشرائع لا تخرج عن هذه الأنواع المذكورة في هذا الحديث).

وأخرج البزار في مسنده والحاكم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً» ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

وظاهر هذا الحديث أن الله ﷻ يسكت لكنه ليس سكوتاً مطلقاً، فلا يقال: السكوت من الله وصف، وإنما يقال: فعل لأن ما ينسب إلى الله ثلاثة أشياء: أسماء، وصفات، وأفعال، والسكوت من الأفعال وليس من الأسماء ولا من الصفات، وهذا من كمال الله ﷻ، فإنه سبحانه إذا شاء تكلم وإذا شاء لم يتكلم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤].

بارك الله لي ولكم

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق الجنة، وجعل مفتاحها لا إله إلا الله،
أحمده - سبحانه - وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة
مخلص فيها، موقن بها، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، جدد ما
اندرس من معالمها، ومع ذلك قال له ربه: ﴿أَنْتَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾
[محمد: ١٩]، فصعد بها ونادى، ووالى عليها وعادى، وقال: «أمرت
أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني
دماءهم وأموالهم إلا بحقها».

دعا إلى هذه الكلمة عشر سنين ولم يدع قبلها إلى زكاة ولا صيام،
ولا حج وعمره إلى بيت الله الحرام، اللهم صل وسلم على عبدك
ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه؛ الذين جاهدوا من امتنع من
قولها، أو صد عنها، أو نقضها.

أما بعد:

اتقوا الله عباد الله: حق التقوى، وأخلصوا العبادة لربكم تسعدوا
وتنجوا.

أيها المسلمون:

إن عنوان سعاد العبد في هذه الحياة هو أساس فلاحه في الدنيا والآخرة، وأن يكون حافظاً لحدود الله محافظاً على أوامره حافظاً نفسه في طاعة الله، ومن حفظ الله حفظه الله، ومن اتقى الله وقاه. عباد الله:

أمر الله ﷻ بالعدل فيما يتعلق بحقوقه وما افترضه على عباده، وبالعدل فيما يتعلق بحقوق العباد بعضهم مع بعض، والعدل هو القيام بالواجب على وجهه سالماً من التفريط والإفراط، ومن أعظم ما يدخل فيه من حقوق الله، تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله علماً وعملاً واعتقاداً، ومحبة واجلاً وتعظيماً، ظاهراً وباطناً، والقيام بما هو من حقوقها ولوازمها وهو أداء الفرائض، والواجبات الشرعية بإخلاص ونية صادقة وتحقيق شهادة أن محمداً رسول الله بمحبته وطاعته، ومتابعته متابعة صادقة، وامتنال أوامره واجتناب نواهية سواء ما وافق رغبات النفس أو ما لا يوافق رغباتها لقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به».

ونهى سبحانه عن الفحشاء، والفحشاء كل أمر قبيح فاحش من الأمور التي حرمها الشرع وحذر منها، وعن المنكر؛ أي ما انكره الشرع وحذر منه. وأعظمه الشرك بالله وقتل النفس والزنا وغيرها.

وفي الحديث: الحلال من أحله الله في كتابه وسنة رسوله ﷺ، وكذلك الحرام ما حرمه.

وفيه: لا ينبغي تضييع حدود الله وتجاوزها.

وفيه: سعة رحمة الله بعبادة ولطفه بهم.

وفيه: أن ما سكت عنه الشرع إنما هو عافية للأمة، فربنا أحصى لكل شيء وأحاط به علمًا، وما كان ربك نسيًا.

وفيه: كراهة التنطع في السؤال عما لم يقع والتشدد في البحث عما تركه الشارع، لأن ذلك قد يفضي إلى التكاليف الشاقة، وهذا كان في عصر النبوة.

هذا وصلوا.

الخطبة الأولى^(١)

٣١

الحمد لله تفضل علينا بالنعيم، ودفع عنا النقم، أحمده حمداً كثيراً
كما يحب ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد
أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة
وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فصلوات ربي وسلامه
عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - وتزودوا من دنياكم لأخراكم.

عباد الله:

الإنسان اجتماعي بطبعه، ويحب أن يأنس بالناس، وأن يأنس به
الناس، كما يعجبه أن يكون محبوباً في مجتمعه، ومحترماً في قومه،
لذا فهو يسعى دائماً لكسب ود الناس وحبهم، والعاقل من يسعى
لرضا رب الناس قبل سعيه في كسب رضا الناس.

(١) الحديث الحادي والثلاثون: «ازهد في الدنيا يحبك الله».

ومحبة الله ثم محبة الناس سبيل قويم وطريق مستقيم، من حاد عنه خسر تلك المحبة، ومن سلكه فاز بها، وأنس بلذتها. فمحبة الله ﷻ للعبد منزلة عظيمة، فهي مفتاح السعادة وباب الخير، وقد جاء في الكتاب والسنة بيان للعديد من الطرق التي تقرب العبد من مولاه وخالقه، وتجعله أهلاً لنيل رضاه ومحبته، وكان من جملة ما أرشد إليه النبي ﷺ في هذا الحديث من التخلق بخلق الزهد.

روى ابن ماجه عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ذُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؛ فَقَالَ: «أَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَأَزْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ».

أيها المسلمون:

حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة ما يقربهم إلى الله، وينفعهم في حياتهم وتعاملاتهم، وهذا من باب جمع خيري الدنيا والآخرة. وقد سئل أحد الصحابة رضي الله عنهم الرسول ﷺ بقوله: (دلني) ونهني (على عمل إذا عملته) مريدًا به وجه الله؛ (أحبنى الله، وأحبنى الناس). وهذا مطلب عال يطلب فيه السائل ما يجلب محبة الله له، وما يجلب محبة الناس له.

فدله النبي ﷺ على وصيتين عظيمتين وقاعدتين أساسيتين، هي عنوان محبة الله ومحبة الناس.

ومحبة الله لعباده الزهد في الدنيا. ومحبة الناس بالإعراض عما في أيديهم فيميلون إليه ميلاً طبعياً، وهذا الحديث هو أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، إذ الزهد في الدنيا فيه محبة الله، والزهد فيما عند الناس فيه العزة والعفة ومحبة الناس.

قال أبو داود: (أصول السنن في كل فن أربعة أحاديث: حديث عمر (إنما الأعمال بالنيات)، وحديث: (الحلال بين والحرام بين)، وحديث: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)، وحديث: (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس)).

قال ﷺ في الحديث:

«**ازهد في الدنيا**» الزهد؛ هو القناعة بما أعطاك الله، والتعفف عن

الناس من نحو مال وجاه، وأعرض مما لا تدعو إليه الضرورة.

وفي الحديث (**وازهد فيما أيدي الناس**) والزهد فيما في أيدي

الناس ألا يتعلق القلب بما في أيدي الآخرين، ويتضمن هذا عدم

سؤال الآخرين بشيء من أموالهم من أجل حاجة النفس.

قال شيخ الإسلام: (فأعظم ما يكون العبد قدرًا وحرمة عند الخلق، إذا لم يحتج إليهم بوجه من الوجوه، ومتى احتجت إليهم ولو في شربة ماء نقص قدرك عندهم بقدر حاجتك إليهم).

والزهد: ترك ما لا يحتاج إليه من الدنيا وإن كان حلالًا، والاقتصار على الكفاية، والورع ترك الشبهات. قيل: أ عقل الناس الزهاد، لأنهم أحبوا ما أحبه الله، وكرهوا ما كره الله من جمع الدنيا، واستعملوا الراحة لأنفسهم. وقد وصى النبي ﷺ جماعة من الصحابة أن يكون بلاغ أحدهم من الدنيا كزاد الراكب، ووصى ابن عمر أن يكون في الدنيا كأنه غريب أو عابر سبيل، وأن يعد نفسه من أهل القبور.

قال شيخ الإسلام: (والزهد النافع المشروع الذي يحبه الله ورسوله هو الزهد فيما لا ينفع في الآخرة، فأما ما ينفع في الآخرة وما يستعان به على ذلك، فالزهد فيه زهد في نوع من عبادة الله وطاعته، والزهد إنما يراد لأنه زهد فيما يضر، أو زهد فيما لا ينفع، فأما الزهد في النافع فجهل وضلال، كما قال النبي ﷺ: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز» [رواه مسلم].

وقال رحمه الله: (الزهد هو ترك ما لا ينفع في الدار الآخرة، أما كل ما يستعين به العبد على طاعة الله فليس تركه من الزهد المشروع).
وقال سفيان الثوري: (الزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباءة).

ووجه هذا أن قصر الأمل يوجب محبة لقاء الله بالخروج من الدنيا، وطول الأمل يقتضي محبة البقاء فيها، فمن قصر أمله، فقد كره البقاء في الدنيا، وهذا نهاية الزهد فيها، والإعراض عنها، فالزهد في الدنيا يراد به تفريغ القلب من التعلق بها والاشتغال لها، ليتفرغ لطلب الله، ومعرفته والقرب منه، والأنس به، والشوق إلى لقائه، وهذه الأمور ليست في الدنيا.

وذم الدنيا ومحبتها يكون مذموماً إذا كان إثارة لشهوة النفس وانشغالا بغير الحق - سبحانه -، أما حبها لفعل الخير وإعانة الخلق فليس بمذموم، بل هو عبادة وطاعة لله عز وجل.

قوله رحمه الله: «**ازهد في الدنيا يحبك الله**» فمحبة الخالق للعبد منزلة عظيمة، فهي مفتاح السعادة وباب الخير.
وفيه: دليل على أن الزهد أعلى المقامات وأفضلها، لأنه جعله سبباً لمحبة الله - تعالى -.

وقال أيوب السخيتاني: (لا يقبل الرجل حتى تكون فيه خصلتان؛ العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عما يكون منهم).

وفي الحديث المرفوع: «حب الدنيا رأس كل خطيئة» [رواه البيهقي].

ثم قال ﷺ: «وازهـد فيما عند الناس يحبـك الناس» أي؛ اعرض عما في أيديهم من الدنيا وأن لا يكون قلبك متعلقاً بما في أيدي الناس من نعيم الدنيا، فإذا فعل العبد ذلك، مالت إليه قلوب الناس، وأحبته نفوسهم؛ والسر في ذلك أن القلوب مجبولة على حب الدنيا، وهذا الحب يبعثها على بغض من نازعها في أمرها، فإذا تعفف العبد عما في أيدي الناس، عظم في أعينهم، لركونهم إلى جانبه وأمنهم من حقه وحسده، ومحبة الناس معينة على الطاعة وسائر أمور الدنيا.

قال الحسن: (لا تزل كريماً على الناس، أو لا يزال الناس يكرمونك ما لم تعاط ما في أيديهم، فإذا فعلت ذلك استخفوا بك، وكرهوا حديثك وأبغضوك).

وقد تكاثرت الأحاديث عن النبي ﷺ بالأمر بالاستعفاف عن مسألة الناس والاستغناء عنهم.

في الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من سأل الناس أموالهم تكثراً فإنما يسأل جمر جهنم، فليقل أو ليستكثر» [رواه مسلم].

قال الغزالي: (والسؤال في الأصل أنه حرام، وإنما يباح لضرورة أو حاجة ملحة قريبة من الضرورة، لما فيه من الشكوى من الله تعالى، وفيه إظهار قصور نعمة الله على عبده، وهو عين الشكوى، وفيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى، وكذلك أنه لا ينفك عن إيذاء المسؤول غالبًا، فقد يعطيه حياءً أو رياءً، وهذا حرام على الآخذ).

وقال الشيخ ابن عثيمين: (فالمسكين يجب عليه الصبر، ويجب عليه أن يمتنع عن سؤال الناس، لا يسأل إلا عند الضرورة القصوى، إذا حلت له الميتة حل له السؤال).

وقد أخذ النبي ﷺ البيعة على بعض أصحابه في الحديث ومنه «ولا تسألوا الناس شيئاً» قال راوي الحديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم، فما يسأل أحداً يناوله إياه» [رواه مسلم].

وعن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من يتقبل لي بواحدة، أتقبل له الجنة» قال: قلت: أنا يا رسول الله، قال: «لا تسأل الناس شيئاً» قال فربما سقط سوط ثوبان وهو على بغيره، فما يسأل أحداً أن يناوله، حتى ينزل إليه فيأخذه» [رواه أحمد].

قال يحيى بن معاذ: (لست أمركم بترك الدنيا، أمركم بترك الذنوب، ترك الدنيا فضيلة وترك الذنوب فريضة، وأنتم إلى إقامة الفريضة أحوج منكم إلى الحسنات والفضائل).

وفي الحديث: الدلالة على القناعة بالرزق الحلال والرضا به بعد بذل أقصى الجهد في السعي والعمل، والتعفف عن الحرام والشكر على الحلال وإنفاقه في الوجوه المشروعة.

والزهد ليس بالفقر والاستجداء والتذلل والكسل، وإنما هو بغنى النفس والتعفف.

والمراد بالزهد في الشيء: الرغبة عنه. والفرق بين الورع والزهد، أن الورع: ترك ما يضر، وأما الزهد: فهو ترك ما لا ينفع، والزهد في الدنيا قد ورد إشارات تتضمن مدحه، منها قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٦: ١٧] وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣].

قال أبو إدريس الخولاني: (الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، إنما الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يديك، وإذا أصبت بمصيبة كنت أشد رجاء لأجرها منها لو بقيت).

وقيل لأبي حازم الزاهد: (ما مالك؟ قال: لي مالان لا أخشى
 معهما الفقر: الثقة بالله، واليأس مما في أيدي الناس).
 وقال الفضيل بن عياض: (أصل الزهد الرضا عن الله وَعَلَيْهِ).
 وسئل الزهري من الزاهد؟ فقال: (من لم يغلب الحرام صبره،
 ولم يشغل الحلال شكره).
 وقال الإمام أحمد بن حنبل: (الزهد في الدنيا قصر الأمل،
 واليأس مما في أيدي الناس).
 وقال إبراهيم بن أدهم: (الزهد ثلاثة أصناف: فزهد فرض، وزهد
 فضل، وزهد سلامة، فأما الزهد الفرض: فالزهد في الحرام، والزهد
 الفضل: الزهد في الحلال، والزهد السلامة: الزهد في الشبهات).
 وقال سعيد بن جبير: (متاع الغرور ما يلهيك عن طلب الآخرة،
 وما يلهك فليس متاع الغرور، ولكنه متاع بلاغ إلى ما هو خير منه).
 وقال النبي ﷺ: «من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره، وجعل
 فقره بين عينيه، ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة
 نيته، جمع الله عليه أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي
 راغمة» [رواه أحمد].

وليس المراد بالزهد ترك التكسب، قال تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وكان عمر يقول في خطبته على المنبر: (إن الطمع فقر، وإن اليأس غنى، وإن الإنسان إذا آيس من شيء استغنى عنه).

وروي أن عبد الله بن سلام لقي كعب الأحمار عند عمر فقال: يا كعب من أرباب العلم؟ قال: الذين يعملون به. قال: فما يذهب بالعلم من قلوب العلماء بعد أن حفظوه وعقلوه؟ قال: يذهبه الطمع، وشَرَه النفس، وتطلب الحاجات إلى الناس. قال: صدقت. ومن زهد فيما أيدي الناس وعف عنهم، فإنهم يحبونه ويكرمونه لذلك، ويسود به عليهم.

قال أعرابي لأهل البصرة: (من سيد أهل هذه القرية؟ قالوا: الحسن. قال: بما سادهم؟ قالوا احتاج الناس إلى علمه، واستغنى هو عن دنياهم).

وقد أجمل النبي ﷺ الحديث عن الدنيا وحال المؤمن فيها بقوله ﷺ: «مالي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها» [رواه الترمذي].

وفي الحديث إثبات صفة المحبة لله ﷻ، فالله ﷻ يُحِبُّ، وَيُحَبُّ،
 كما قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ
 فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ حُبِّهِمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].
 أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:
 ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا
 وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].
 بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين،
وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، الملك الحق المبين،
وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الصادق الأمين، صلى الله وسلم
وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله - تعالى - أيها المسلمون، واعلموا أنكم إليه راجعون،
وعلى أعمالكم مجزيون ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ﴾
وَكَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿[البقرة: ٢٢٣].

أيها المسلمون:

في الحديث كما روى ذلك الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: «من
كانت الآخرة همه جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا
وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه شتت الله شمله وجعل فقره بين
عينيه ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له، والسعيد من اختار باقية يدوم
نعيمها على بالية لا ينفد عذابها».

عباد الله:

ولما كان العمل وطلب العيش والتكسب من ضروريات الحياة ولوازمها هياً لله لعباده مصادر الرزق وطرقه وأسبابه، وقد حث الإسلام على الكسب والتعفف عما في أيدي الناس، وفي الحديث الذي رواه الإمام البخاري أن النبي ﷺ قال: «لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحد فيطعيه أو يمنعه».

وقال ﷺ عندما سُئل عن الكسب الطيب، قال ﷺ: «عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور» [رواه أحمد] وفي الحديث الآخر عن رسول الله ﷺ قال: «ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده» [رواه البخاري].

وأعظم الله الأجر لمن يعول نفسه وذريته، فإنه لما مر رجل على النبي ﷺ فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه ما رأوا فقالوا: يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان» [رواه الطبراني].

وقدم الله ﷻ الذين يضربون في الأرض يبتغون من فضل على
المجاهدين في سبيله في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي
الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾
[المزمل: ٢٠].

وفي الحديث: علو همم الصحابة رضي الله عنهم.

وفيه: إثبات محبة الله ﷻ.

وفيه: فضيلة الزهد في الدنيا، وأن الزهد مرتبة أعلى من الورع،
وأنه من أسباب محبة الله.

هذا وصلوا.

الخطبة الأولى^(١)

٣٢

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۚ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

(١) الحديث الثاني والثلاثون: «لا ضرر ولا ضرار».

أما بعد: فإن خير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

عباد الله:

الأخوة بين المسلمين هي سبيل وطريق الحياة الطيبة، فهم يتعاونون على البر والتقوى والنصح والمحبة فيما بينهم، ولذا حرم الإسلام التقاطع والتدابير، والغيبة والنميمة وكل ما فيه ضرر على أخيك المسلم، بل الواجب نشر المحبة والوئام والصفاء والتسامح والتجاوز والإعانة.

وفي هذا الحديث.

روى ابن ماجه والدارقطني عَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ».

هذا الحديث أصل عظيم وقاعدة من قواعد الفقه وهو قاعدة عظيمة عند أهل العلم مع قصر ألفاظه، واختصار كلماته، إلا أنه يشمل على قواعد وليس على قاعدة واحدة فحسب.

وقد وضع النبي ﷺ قاعدة عظيمة في التعامل فيما بيننا وفي التعامل مع أنفسنا، وفي قوله ﷺ: «لا ضرر» والضرر يكون في البدن، ويكون في المال، ويكون في الأولاد، ويكون في غيره. وقوله ﷺ: «ولا ضرر» أي ولا مضاره. والضرر ضد النفع.

والمضارة بالناس على نوعين:

الأول: أن يضرهم فيما لا يعود عليه بمصلحة.

والثاني: أن يضرهم بما له فيه مصلحة.

والأول أقبح ويدل على صدورة من غير عاقل، لكنه حاسد لا يريد الخير لا لنفسه ولا للناس، وإنما كل سعيه أن يزول الخير عن الناس سواء انتفع هو أم لم ينتفع.

والفرق بين الضرر والضرار: أن الضرر يحصل بدون قصد، والمضارة بقصد، ولهذا جاءت بصيغة المفاعلة.

قوله ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**». الضرر: هو أن يدخل على غيره ضرراً بما ينتفع هو به بغير حق.

قيل: والضرار: هو أن يدخل على غيره ضرراً بلا منفعة، كمن منع مالا يضره، وقيل الضرر أن يضر به من لا يضره، والضرار: أن يضر بمن قد أضر به على وجه غير جائز، والمراد إدخال الضرر بغير حق، فيكون الضرر أعم فعطف الضرار عليه من عطف الخاص على العام.

وفيه: الحث على الكلمة الطيبة، وإزالة الأذى عن الطريق.

وفيه: أن كل ما يقرب إلى الله ﷻ من عبادة وإحسان إلى خلقه

فإنه صدقة.

وهذا الحديث أصل عظيم في أبواب كثيرة، ولا سيما في المعاملات، كالبيع والشراء والرهن والارتهان، وكذلك في الأنكحة يضار الرجل زوجته أو هي تضار زوجها، وكذلك في الوصايا يوصي الرجل وصية يضر بها الورثة.

قال أبو داود: الفقه يدور على خمسة أحاديث: «الحلال بيّن والحرام بيّن».

وقول النبي ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار» وقوله: «إنما الأعمال بالنيات». وقوله: «الدين النصيحة». وقوله: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم».

وفي هذا الحديث قوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار» زاد الحاكم «من ضارَّ ضرَّه الله، ومن شاقَّ شقَّ الله عليه».

وفي رواية للدارقطني عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرورة، ولا يمنع أحدكم جاره أن يضع خشبته على حائطه».

وفي الترمذي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ملعون من ضارَّ مؤمناً أو مكر به». وقد قال الله تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ [النساء: ١٢].

وقال النبي ﷺ: «إن العبد ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضره الموت فيضارَّ في الوصية فيدخل النار».

وقال تعالى في حق الزوجات: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا فُجْسُكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۖ﴾ [البقرة: ٢٣١]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦] وقال تعالى: ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ۖ﴾ [البقرة: ٢٣١].

عباد الله: جاء النهي عن الإضرار بالزوجة وغيرها وذلك بأساءة عشرتها وإلحاق الضرر بها والله ﷻ يقول: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩] وقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فمن ذلك أن يؤذي زوجته لكي تفتدي منه، وترد إليه ما أعطها من مهر. وقد قال ﷻ: «إن أعظم الذنوب عند الله رجل تزوج امرأة فلما قضى حاجته منها طلقها وذهب بمهرها، ورجل استعمل رجلاً فذهب بأجرته، وآخر يقتل دابة عبثاً» [رواه الحاكم وصححه الالباني].

قال ابن عثيمين: ومن صور الاضرار بالزوجة: كانوا في الجاهلية يطلق الرجل المرأة فإذا شارفت انقضاء العدة راجعها، طلقها ثانية فإذا شارفت انقضاء العدة راجعها، ثم طلقها ثالثة ورابعة، لقصد الاضرار، فرفع الله تعالى ذلك إلى حد ثلاث طلاقات فقط.

ومن ذلك مثلاً: رجل طلق امرأته ولها أولاد منه، حضانتهم للأم إلا إذا تزوجت، والمرأة تريد أن تتزوج ولكن تخشى إذا تزوجت أن يأخذ أولاده، فتجده يهددها ويقول: إن تزوجت أخذت الأولاد، وهو ليس له رغبة في الأولاد ولا يريدهم، ولو أخذهم لأضاعهم لكن قصده المضاره بالمرأة بأن لا تتزوج، فهذا لا شك أنه حرام وعدوان عليها، ولو تزوجت وأخذت أولادها معها مع قيامها بواجب الحضانة ورضا زوجها الثاني بذلك، لكن قال: أريد أن أضارها، ونعرف أنه إذا أخذهم لم يهتم بهم، بل ربما يدعمهم تحت رعاية ضرة أمهم، يعني الزوجة الثانية، وما ظنك إذا كان أولاد ضررتها تحت رعايتها سوف تهملهم، وسوف تقدم أولادها عليهم، وسوف تهينهم ولكنه أخذهم لمضارة، فهذا لا شك أنه من المحرم.

مثال آخر: رجل أوصى بعد موته بنصف ماله لرجل آخر من أجل أن ينقص سهام الورثة فهذا محرم عليه مع أن للورثة أن يبطلوا ما زاد على الثلث.

مثال آخر: رجل له ابن عم بعيد لا يرثه غيره، فأراد أن يضاره وأوصى بثلث ماله مضارة لابن العم البعيد أن لا يأخذ المال فهذا أيضاً حرام.

ويدخل في ذلك التدليس والغش في المعاملات وكتم العيوب فيها، والمكر والخداع والنجش وتلقي الركبان، وبيع المسلم على بيع أخيه، والشراء من شرائه، ومثله الإجازات وجميع المعاملات والخطبة على خطبة أخيه، وكل معاملة من هذا النوع، فإن الله لا يبارك فيها، لأنه من ضار مسلماً ضاره الله، ومن ضاره الله تخلص عن الخير وتوجه إليه الشر، ذلك بما كسبت يده، ويدخل في ذلك مضارة الشريك لشريكه والجار لجاره بقول أوفعل، حتى أنه لا يحل له أن يحدث بملكه ما يضر بجاره فضلاً عن مباشرة الإضرار به.

ومن أمثلة ما وقع النهي فيه عن الإضرار بالآخرين، الإضرار في الوصايا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ [النساء: ١٢] ومن ذلك يخص أحد ورثته بأكثر مما له، أو ينقص الوارث، أو يوصي لغير وارثه، بقصد الإضرار بالورثة، ومن ذلك الوقعة في الناس عند الولاية ليغريهم بعقوبة أو أخذ ماله أو منعه من حق هو له.

وكذا نهى الشرع عن الإضرار بالوالد أو الرضيع في الرضاعة، قال تعالى: ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ [البقرة: ٢٣١].
عباد الله: في الحديث تحريم مضارة المسلم، ومعصوم الدم والمال، ومن أضر بأخيه فقد ظلمه والظلم حرام. وأخرج أبو داود

في المراسيل عن واسع بن حبان قال: «كان لأبي لبابة عذق في حائط رجل فكلمه. فقال: إنك تطأ حائطي إلى عذقك فأنا أعطيك مثله في حائط وأخرجه عني فأبى عليه، فكلم النبي ﷺ. فقال: «يا أبا لبابة: خذ مثل عذقك فحزها إلى مالك، واكفف عن صاحبك ما يكره»، فقال: ما أنا بفاعل. فقال: «اذهب فأخرج له عذقه إلى حائطه، ثم اضرب فوق ذلك بجدار فإنه لا ضرر في الإسلام ولا ضرار» عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» [رواه مسلم].

وعن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ملعون من ضار مؤمناً أو مكر به» [رواه الترمذي].

وأخرج أبو داود أيضاً في السنن من حديث أبي جعفر محمد بن علي أنه حدث عن سمرة بن جندب «أنه كان له عذق من نخل في حائط رجل من الأنصار ومع الرجل أهله، وكان سمرة يدخل إلى نخلة فيتأذى به وشق عليه، فطلب إليه أن يناقله فأبى، فأتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له فطلب إليه النبي ﷺ أن يبيعه فأبى، فطلب إليه أن يناقله فأبى. قال: فهبه لي ولك كذا مداً رغبه فيه فأبى. فقال: أنت مضارّ.

فقال النبي ﷺ للأنصاري: «اذهب فاقلع نخله». قال أحمد في رواية حنبل: كل ما كان على هذه الجهة وفيه ضرر يمنع من ذلك، فإن أجاب وإلا أجبره السلطان، ولا يضر بأخيه في ذلك وفيه مرفق له.

قال ابن رجب: ويستدل بذلك على وجوب العمارة على الشريك الممتنع منها، وعلى إيجاب البيع إذا تعذرت القسمة.

ومن صور المضارة أيضاً: المضارة بالمدين المعسر الذي أمر الله بإنظاره إلى ميسرة أو إعفائه من الدين أو من بعضه، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

ورد النهي عن الإضرار في أمور كثيرة. ومسائل الضرر في الأحكام كثيرة جداً، فيجتهد الحاكم في ذلك، فإن كان الضرر بحق أمضاه، وإن كان للتعنت والبغي والتطاول والحسد، فلا ضرر ولا ضرار.

وقد قضى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه على محمد بن مسلمة أن يجرى ماء جاره في أرضه وقال: (لنمرن به ولو على بطنك).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

[الحجرات: ١٠].

بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى.

عباد الله:

هذا الحديث يعتبر قاعدة من قواعد الشريعة، وهي أن الشريعة لا تقر الضرر وتنكر الإضرار أشد وأشد.

وإن الحاق الضرر بالأمة أفراداً وجماعة أمر محرم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

والجزاء من جنس العمل، قال ﷺ: «من ضار ضار الله به، ومن شاق شاق الله به» [رواه أحمد]. ومن الإضرار أن يخطب المسلم على خطبة أخيه، فإذا خطب امرأة حرم عليك أن تخطبها حتى تتبين لك

أنهم ردوا ذلك، أو أذن لك الآخر، وكل ذلك حتى لا تحلق الأذى والضرر بأخيك المسلم فليتق المسلم ربه، وليتجنب الضرر، وليكن داعية خير، ينصح بالخير في أقواله وأعماله. قال يحيى بن معاذ: (ليكن حظ المؤمن منك ثلاثة: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تعمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه).

بل الأصل في علاقة المسلم بالمسلم ما قاله النبي ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» [رواه البخاري ومسلم].

وفي الحديث الآخر: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» [رواه مسلم].

وفي الحديث: النهي عن الضرر ورفع.

وفيه: أن المعاملة الحسنة هي الأصل بين المسلمين.

وفيه: أن الإحسان إلى الناس من أسباب الألفة ودفع الشقاق.

هذا وصلوا.

الخطبة الأولى^(١)

٣٣

الحمد لله الذي كان بعباده خبيرًا بصيرًا، وتبارك الذي جعل في المساء بروجًا، وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفَةً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - ، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].
 عباد الله: روى البيهقي في السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ، لَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ».

(١) الحديث الثالث والثلاثون: «البينة على المدعي واليمين على من أنكر».

هذا الحديث من أجل الأحاديث وأرفعها، وأقوى الحجج وأنفعها، وهوقاعدة عظيمة من قواعد الشريعة، وأصل عظيم من أصول الأحكام، وطرق الحكم، وأعظم مرجع عند التنازع والخصام، ويقتضي أن لا يحكم لأحد بدعواه.

قال النووي: (وهذا الحديث قاعدة كبيرة من قواعد أحكام الشرع، ففيه أنه لا يقبل قول إنسان فيما يدعيه بمجرد دعواه، بل يحتاج إلى بينة، أو تصديق المدعى عليه، فإن طلب يمين المدعى عليه فله ذلك).

عباد الله:

من مقاصد الشريعة حماية أموال الناس ودمائهم لأنها جاءت لحماية أموال الناس ولحفظ دمائهم، وإقامة العدل ودفع الظلم. والذي في الصحيحين منه: «لو يعطى الناس» أي، لو يجاب في دعواه «بدعواهم» بمجرد قولهم أو طلبهم «لا دعى ناس دماء رجال وأموالهم» أي لاستباح الناس دماء غيرهم دون حق، «ولكن اليمين على المدعى عليه» أي الحلف على نفي ما ادعى به عليه.

وفي رواية: «أن النبي ﷺ قضى أن اليمين على المدعى عليه».

وفي الصحيحين أيضاً: «أن الأشعث بن قيس قال: كان بيني وبين

رجل خصومة في بئر، فاختصمنا على رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «شاهدك أو يمينه» قلت: إذا يحلف ولا يبالى. فقال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان» فأنزل الله تصديق ذلك، ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧]. وفي رواية لمسلم بعد قوله: إذا يحلف «قال ليس لك إلا ذلك».

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «البينة على المدعى واليمين على من أنكر إلا في القسامة». وقال قتادة: فصل الخطاب الذي أوتيهِ داود عليه السلام هو أن البينة على المدعى، واليمين على من أنكر.

ذكر في الحديث الدعوى تكون في الأموال والدماء، وهو كذلك، وتكون في الأموال والأعيان، وفي الأموال المنافع، كأن يدعي أن هذه أجره بيته لمدة سنة فهذه منافع، وتكون أيضًا في الحقوق كأن يدعي الرجل أن زوجته لا تقوم بحقه أو بالعكس، فالدعوى بابها واسع، وذكر ﷺ المال والدم على سبيل المثال، وإلا قد يُدعى حقوقاً أخرى.

وفي قوله ﷺ: «لو يعطى الناس بدعواهم» المراد برجال هنا، هم الذين لا يخافون الله تعالى. أي بما يدعونه على غيرهم، وليعلم أن أضافة الشيء تكون على أوجه:

الأول: أن يضيف لنفسه شيئاً غيره، مثل أن يقول (لفلان علي كذا) فهذا إقرار.

الثاني: أن يضيف شيئاً لنفسه على غيره مثل أن يقول: (لي على فلان كذا وكذا) فهذه دعوى.

والثالث: أن يضيف شيئاً لغيره على غيره، مثل أن يقول: (لفلان علي فلان كذا كذا) فهذه شهادة.

وفي الحديث قوله ﷺ: «لكن البينة على المدعى» البينة: هي ما أبان الحق وأظهره، والتي تؤيد صدق دعوى المدعي فيحكم الحاكم بإقرار المدعى عليه، أو بشهادة رجلين، أو رجل وامرأتين، أو رجل ويمين المدعى، ويمين المنكر، ويمين الرد، ويعلمه إذا لم يتهم.

«واليمين» أي دفع الدعوى «على من أنكر» أي على من أنكر دعوى خصمه إذا لم يكن لخصمه بينه. فإنه إذا فقد الدليل فلا بد من اليمين، وهو فصل الخطاب.

عباد الله: الحكمة في اختصاص المدعى بالبينه، والمنكر باليمين لأن الشخص الذي ادعى على غيره أمرًا، فإنه يدعي أمرًا خفيًا يخالف ظاهر الحال، فلذلك يحتاج إلى أن يسند دعواه تلك بينة ظاهرة قوية تؤيد صحة دعواه، بينما يتمسك المنكر بظاهر الأمر، ويبقى العمل على الأصل، فجاءت الحجة - وهي اليمين - في حقه. فإذا لم يأت المدعي بالبينه، وأنكر المدعى عليه استحقاق خصمه وحلف على ذلك لزم القاضي أن يحكم لصالح المنكر، لأنه حكمه هذا مبني على ظاهر الأمر والحال.

لكن ثمة أمر ينبغي التنبيه عليه، وهو أن قضاء القاضي لا يحل حرامًا ولا يحل حلالًا، ولا يغير من حقائق الأمور لأنه لا يعلم الغيب، وقد يكون هناك من الأدلة الزائفة أو الشهادات الكاذبة ما يخفى عليه فيحكم بموجبها كما ثبت في البخاري عن أم سلمة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وأقضي له على نحو مما أسمع، فمن قضيت له عن حق أخيه شيئًا فلا يأخذ، فإنما أقطع له قطعة من النار».

وقد شدد النبي ﷺ على التخويف من أخذ الحرام لأنه قد يوجد من الناس من لا ادع عنده ولا تقوى، فقال: «من حلف على يمين ليستحق بها مالا هو فيها فاجر - أي كاذب - لقي الله وهو عليه غضبان» وأنزل الله تصديق ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما: «أن النبي ﷺ قضى بيمين وشاهد» [رواه مسلم وأبو داود والنسائي].

وعن جابر رضى الله عنه: «أن رجلين اختصما في ناقة، فقال كل واحد منهما نتجت هذه الناقة عندي واقاما بينة، فقضى بها رسول الله ﷺ للذي هي في يده».

وعن ابن عمر رضى الله عنهما: «أن النبي ﷺ رد اليمين على طالب الحق» رواهما الدارقطني، فإذا لم يحلف المدعى عليه وطلب يمين المدعي فله ذلك. وقد كان شريح وإياس بن معاوية يحكمان في الأموال المتنازع فيها بمجرد القرائن الدالة على صدق أحد المتداعيين.

وكذلك قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز لما قال الحاكم:
﴿وَأِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ
﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ
كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٧: ٢٨].

وقضى شريح في أولاد هرة تداعاها امرأتان كل منهما تقول هي
ولد هرتي. قال شريح: ألقها مع هذه، فإن هي قرّت ودرت
واسبطرت فهي لها، وإن فرت وهرت وبارت فليس لها. قال ابن
قتيبة: قوله اسبطرت: يريد امتدت للإرضاع، وقوله وإن بارت: أي
اقشعرت وتنفشت.

وروي عن علي رضي الله عنه أنه أحلف المدعي مع بينته أن شهوده
شهدوا بحق. وقال إسحاق: إذا استراب الحاكم وجب ذلك.
وقال ابن عباس في المرأة الشاهدة على الرضاع أنها تستحلف.
وقضى ابن مسعود في رجل مسلم حضره الموت فأوصى إلى
رجلين مسلمين معه، وسلمهما ما معه من المال، وأشهد على
وصيته كفاراً، ثم قدم الوصيان فدعا بعض المال إلى الورثة وكتما
بعضه، ثم قدم الكفار فشهدوا عليهم بما كتموه من المال، فدعا
الوصيين المسلمين فاستحلفهما ما دفع إليها أكثر مما دفعاه، ثم دعا

الكفار فشهدوا وحلفوا على شهادتهم، ثم أمر أولياء الميت أن يحلفوا أن ما شهدت به اليهود أو النصارى حق فحلفوا، فقضى على الوصيين بما حلفوا عليه.

عباد الله: وأما حقوق الله ﷻ: فمن العلماء من قال لا يستحلف فيها بحال، ومنها من قال يستحلف إذا اتهم. وروى الخلال بإسناده عن الركين بن الربيع عن أبيه قال: أحمس أي شرد لأخي فرس بعين التمر فراه في مرتبط سعد، فقال: فرسي، فقال سعد: لك بينته؟ قال: لان ولكن أدعوه فيحمحم فدعاه فحمحم فأعطاه إياه.

وقال أبو الزناد: كان عمر بن عبد العزيز يرد المظالم إلى أهلها بغير البينة القاطعة، وكان يكتفي باليسير إذا عرف صرف مظلمة الرجل ردها عليه ولم يكلفه تحقيق البينة لما يعرف من غشم الولاية قبله على الناس. وذكر القاضي أن الأموال المغصوبة من قطاع الطريق واللصوص يكتفي من مدعيها بالصفة كاللقطة.

وليحذر المسلم من اليمين الغموس وهي التي تغمس صاحبها في النار، قال ﷺ: «الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس» [رواه البخاري] واليمين الغموس: هي اليمين الكاذبة التي يقطع بها الإنسان حق أخيه بغير حق، يحلف

بالله على أمر ماض كاذباً متعمداً وهي من كبائر الذنوب، وسميت غموساً لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم في النار.

وفي الحديث الآخر قوله ﷺ: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار» فقال رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: «وإن كان عوداً من أراك» [رواه مسلم].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ
وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].
بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله، عظم شأنه، ودام سلطانه، أحمده، - سبحانه -
وأشكره، عم امتنانه، وجزل إحسانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا
شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، به علا منار
الإسلام، وارتفع بنيانه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله
وأصحابه، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أداء ما للغير من غير حق إنما هو من الظلم، الذي هو أقبح
الكبائر والذنوب، وعاقبته وخيمته، وهو سبب الفساد والفتن، والبلاء
والإحزن، يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ يَظْلَمْ
مِّنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩] ويقول تعالى:
﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٨] وفي الحديث
عن النبي ﷺ أنه قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة».
وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها
وبين الله حجاب».

وقال ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن»، وذكر منها
«دعوة المظلوم».

عباد الله:

كم من الناس من يرجو رحمة الله ويخشى عقابه، وهو مع ذلك قد
ظلم العباد، واعتدى عليهم في أموالهم وأعراضهم فأنى يستجاب
لهذا، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ إن فلانة تقوم الليل
وتصوم النهار، وتفعل الخيرات، وتتصدق وتؤدي جيرانها بلسانها،
فقال رسول الله ﷺ: «لا خير فيها، هي من أهل النار» [رواه الحاكم].

وفي ذلك الموقف العظيم يوم القيامة ﴿الْيَوْمَ وَأَنْذِرْهُمْ تَجْزَى كُلُّ
نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعٌ﴾ [غافر: ١٧].

فاتقوا الله عباد الله، وتذكروا يوم الحساب، ويوم العرض على الله
ﷻ قال تعالى ﴿الْحِسَابِ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ
كَظْمِينَ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]،
تذكروا يوم تبعر القبور، ويحصل ما في الصدور، وعند الله تجتمع
الخصوم، فيقتص من الظالم للمظلوم.

وعلى المسلمين مناصحة الظالم وكفه عن غيه، وردعه عن
أعماله، قال ﷺ: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أو
شك أن يعمهم الله بعقاب منه» [رواه أبو داود].

وفي الحديث: التحذير من الظلم وأخذ ما ليس له.
 وفيه: الرجوع إلى الشريعة والتحاكم إليها.
 وفيه؛ أن البيئة على المدعي واليمين على من أنكر.
 وفيه: إقامة العدل بين الناس ورفع الظلم.
 هذا وصلوا وسلموا.

الخطبة الأولى^(١)

٣٤

الحمد لله الذي رفع راية التوحيد، ونصر عباده الموحدين، أشهد
ألا إله إلا الله رب الأولين والآخرين، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله
ورسوله؛ أرسله كافة إلى الناس أجمعين، صلى الله وسلم عليه وعلى
آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - وسارعوا إلى جنة عرضها السموات
والأرض أعدت للمتقين.
أيها المسلمون:

إن من أهم المهمات وأفضل القربات؛ التناصح والتوجيه
للخير، والتواصي بالحق والصبر عليه، والتحذير مما يخالفه
ويغضب الله ﷻ ويباعد من رحمته.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمره عظيم، وهو من
أسباب صلاح المجتمع وقوته وتماسكه. وترتبط خيرية هذه الأمة

(١) الحديث الرابع والثلاثون: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده».

ارتباطاً وثيقاً بدعوتها للحق، وحمایتها للدين، ومحاربتها للباطل، ذلك أن قيامها بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحقق لها التمكين في الأرض ورفع راية التوحيد، وتحكيم شرع الله ودينها، ولذلك امتدحها الله ﷻ في كتابه الكريم بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقدمه الله ﷻ في سورة التوبة على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

وفي هذا التقديم إيضاح شأن هذا الواجب، وبيان لأهميته في حياة الأفراد والمجتمعات والشعوب، وبتحقيقه والقيام به تصلح الأمة ويكثر فيها الخير ويضمحل الشر ويقل المنكر، وبإضااعته تكون العواقب وخيمة، والكوارث العظيمة والشرور الكثيرة، وتتفرق الأمة، وتقسو القلوب أو تموت، وتظهر الرذائل وتنتشر، ويظهر صوت الباطل ويفشو المنكر.

وهذا الحديث؛ أصل في تغيير المنكر، ولذلك عده العلماء من الأحاديث التي عليها مدار الدين.

قال النووي: (هو من أعظم قواعد الإسلام).

فإن الدلالة على الخير وإنكار المنكرات من الأعمال الصالحة، ومن خصال الإيمان. والمنكر: ما أنكرته الشريعة ونهت عنه.

عباد الله:

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ».

أخرج مسلم من حديث طارق بن شهاب قال: «أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان، فقام إليه رجل فقال الصلاة قبل الخطبة، فقال: قد ترك ما هنالك. فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه» ثم روى هذا الحديث.

قال ابن دقيق العيد: (يحتمل أن يكون أبو سعيد لم يكن حاضراً أول ما شرع مروان في الخطبة، ويحتمل أن يكون حاضراً لكنه خاف حصول فتنة، ويحتمل أن همّ بالإنكار فبدره الرجل فعضده أبو سعيد).

وأخرج مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «**من رأى منكم منكراً فليغيره**» أي؛ علم بوجود المنكر سواء رآه أو سمعه أو نقل له. وتأكد رؤية أو سماعاً أو نقلاً موثقاً، والمنكر هو ما نهى الله عنه ورسوله، لأنه ينكر على فاعله أن يفعله. سواء أكان فعلاً، أم قولاً، أم اعتقاداً.

«**فليغيره**» أي؛ يزيله أو يغيره، وهو فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط عن الباقي، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر. «**بيده**» وذلك خاص بمن تحت يده، كالراعي إذا صدر من الرعية منكر يغيره بيده، وكذلك الأب في أهل بيته. قال الإمام أحمد: التغيير باليد ليس بالسيف والسلاح.

«**فإن لم يستطع**» الإنكار بيده بأن ظن لحوق ضرر به، لكون فاعله أقوى منه فالواجب تغييره «**فبلسانه**» أي فليغيره بالقول وتلاوة ما أنزل الله من الوعيد عليه، فيذكر العاصي بالله، ويخوفه من عقابه.

«فإن لم يستطع» ذلك بلسانه لوجود مانع، كخوف فتنة، أو خوف على نفس، أو عضو، أو مال محترم، أو شهر سلاح «فبقلبه» أي؛ بكراهة ذلك المنكر وبغضه والتغيير بالقلب من عمل القلب، وعمل القلب إذا كان خالصاً صواباً يثاب عليه الشخص، ومن تمام الإنكار بالقلب مغادرة المكان الذي فيه المنكر.

«وذلك أضعف الإيمان» أي؛ أقله ثمرة.

وفي الحديث: وجوب تغيير المنكر بدرجاته حسب الاستطاعة، فالأول الإنكار باليد واللسان، ويجب بحسب القدرة والطاعة، والإنكار بالقلب فرض على كل مسلم في كل حال، فإنه إن لم ينكر قلبه دل على ذهاب الإيمان منه.

قال القصري رحمه الله: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أقوى شعب الإيمان بوجه، وأضعفها بوجه، فتغييره باليد واللسان أقوى شعب الإيمان وتغييره بالقلب أضعف الإيمان».

وقال الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - : «ويجب هجر من كفر أو فسق ببدعة، أو دعا إلى بدعة مضلة أو مفسقة على من عجز عن الرد عليه أو خاف الاغترار به والتأذي دون غيره».

عباد الله:

قال النووي - رحمه الله تعالى -: (واعلم أن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أو شك أن يعمهم الله بعذاب، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، فينبغي لطالب الآخرة، والساعي في تحصيل رضى الله ﷻ أن يعتني بهذا الباب فإن نفعه عظيم، لا سيما وقد ذهب معظمه، ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته فإن الله - تعالى - قال: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠]، واعلم أن الأجر على قدر النصب، ولا يتركه أيضا لصداقته ومودته فإن الصديق للإنسان وهو الذي يسعى في عمارة آخرته، وإن أدى ذلك إلى نقص في دنياه، وعدوه من يسعى في زهاب آخرته أو نقصها وإن حصل بسببه نفع في دنياه).

وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: (أول ما تغلبون عليه من الجهاد جهاد بأيديكم، ثم الجهاد بألستكم، ثم الجهاد بقلوبكم، فمن لم يعرف قلبه المعروف، وينكر قلبه المنكر نكس، فجعل أعلاه أسفله).

وفي سنن أبي داود عن النبي ﷺ قال: «إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها».

وفي المسند من حديث جرير عن النبي ﷺ: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعمله فلم يغيروه إلا عمهم الله بعقاب».

وفي سنن أبي داود وابن ماجه والترمذي عن أبي ثعلبة الخشني أنه قيل له: كيف تقول في هذه الآية: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] قال: سألت عنها خبيراً، أما والله لقد سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «بل ائتمروا بالمعروف، وانهاؤا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهو متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام».

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (إذا اختلفت القلوب والأهواء، وألبستم شيعاً، وذاق بعضكم بأس بعض، فيأمر الإنسان حينئذ نفسه).

قال العلماء: (ولا يسقط الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر لكونه لا يقبل في ظنه بل يجب عليه فعله. قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] وقال تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ﴾ [المائدة: ٩٩].

عباد الله:

قال ابن دقيق العيد: (ولا يشترط في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر أن يكون كامل الحال، ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولاية، بل ذلك ثابت لأحد المسلمين، وإنما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به وما ينهى عنه، فإن كان من الأمور الظاهرة مثل الصلاة والصوم، والزنا وشرب الخمر ونحو ذلك، فكل المسلمين علماء بها، وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال فذلك للعلماء، والعلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه، أما المختلف فيه فلا إنكار فيه، لكن على وجه النصيحة إلى الخروج من الخلاف).

وينبغي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون من ذلك برفق ليكون أقرب إلى تحصيل المقصود.

قال سفيان بن عيينة: (لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه ثلاث خصال: رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر، عدل بما ينهى، عالم بما يأمر، عالم بما ينهى).

وقال الإمام أحمد: (الناس محتاجون إلى مداراة ورفق، والأمر بالمعروف بلا غلظة، إلا رجل معلن بالفسق فلا حرمة له).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: (يَأْمُرُ بِالرَّفْقِ فَإِنْ أَسْمَعُوهُ مَا يَكْرَهُ لَا يَغْضَبُ، فَيَكُونُ يَرِيدُ أَنْ يَنْتَصِرَ لِنَفْسِهِ).

قال: (وَكَانَ أَصْحَابُ ابْنِ مَسْعُودٍ إِذَا مَرُّوا بِقَوْمٍ يَرُونَ مِنْهُمْ مَا يَكْرَهُونَ يَقُولُونَ: مَهْلًا رَحِمَكُمُ اللهُ، مَهْلًا رَحِمَكُمُ اللهُ).

قال الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى -: (مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ سِرًّا فَقَدْ نَصَحَهُ وَزَانَهُ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَانِيَةً فَقَدْ فَضَحَهُ وَعَابَهُ).

قال ابن دقيق العيد: (وَلَيْسَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ النَّاهِي عَنِ الْمُنْكَرِ الْبَحْثُ وَالتَّفْتِيْشُ وَالتَّجَسُّسُ، وَاقْتِحَامُ الدُّورِ بِالظُّنُونِ، بَلْ إِنْ عَثَرَ عَلَى مُنْكَرٍ غَيْرِهِ).

وقال الماوردي: (لَيْسَ لَهُ أَنْ يَقْتَحِمَ وَيَتَجَسَّسَ إِلَّا أَنْ يَخْبِرَهُ مَنْ يَثِقُ بِقَوْلِهِ: أَنْ رَجُلًا خَلَا بِرَجُلٍ لِيَقْتُلَهُ، أَوْ امْرَأَةً لِيَزْنِيَ بِهَا، فَيَجُوزُ لَهُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ أَنْ يَتَجَسَّسَ وَيَقْدِمَ عَلَى الْكَشْفِ وَالْبَحْثِ حَذَرًا مِنْ فَوَاتٍ مَا لَا يَسْتَدْرِكُهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ).

عباد الله:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مهام وأعمال الرسل عليهم السلام قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وهو من

صفات المؤمنين كما قال تعالى: ﴿التَّيْبُونَ الْعَبْدُونَ الْحَمْدُونَ السَّيِّحُونَ الرَّكْعُونَ السَّجْدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

وهو من خصال الصالحين، قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣: ١١٤].

وهو من خيرية هذه الأمة ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وهو سبب للتمكين في الأرض قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

وهو سبب من أسباب تكفير الذنوب، قال ﷺ: «فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره، تكفرها الصيام والصلاة، والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» [متفق عليه].

وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - عباد الله - حفظ
 للضرورات الخمس: في الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.
 أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى
 الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].
 بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد
ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن نبينا
محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله
وصحبه وأتباعه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
عباد الله:

إن أعلى مراتب تغيير المنكر: تغييره باليد، وذلك إذا اقتضى
عملًا، كإتلاف آلة المنكر، والعين المحرمة، وعقوبة فاعله، ومن
ذلك: إقامة الحدود، والتعزيرات مما هو إلى السطان.
المرتبة الثانية: التغيير باللسان، وذلك ببيان حكم المنكر، والزجر
عنه، ولوم فاعله، ودعوته للتوبة. والمرتبة الثالثة: التغيير بالقلب،
وذلك ببغض المنكر، والرغبة الصادقة في زواله، والعزم على تغييره
بالقول والفعل لو أمكن ذلك.

قال شيخ الإسلام: «ومن لم يكن في قلبه بغض ما يبغضه الله
ورسوله من المنكر الذي حرمه من الكفر والفسوق والعصيان، لم
يكن في قلبه الإيمان الذي أوجبه الله عليه، فإن لم يكن مبغضًا لشيء
من المحرمات أصلًا لم يكن معه إيمان أصلًا».

أيها المسلمون:

ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عواقبه وخيمة وهو من أسباب وقوع الهلاك والعذاب، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

وهو سبب من أسباب عدم إجابة الدعاء، كما جاء في الحديث عن عائشة مرفوعاً: «مروا بالمعروف، وانهاوا عن المنكر، قبل أن تدعوا فلا يُستجاب لكم» [رواه ابن ماجه]. وفي تركه تسلط الفساق والكفار وتزيين المعاصي وشيوع المنكر واستمراؤه.

إن المطلوب تغيير المنكر، لا مجرد الإنكار، فإن أدى إلى منكر أكبر منه، فإنه يصير الإنكار حينئذ منكرًا، ويكون التغيير والحالة هذه غير مستطاع. وفي الحديث مشاهد ليسر الإسلام في شرائعه.

وفي الحديث: أن إنكار المنكر مقيد بالقدرة والاستطاعة وهذا في الإنكار باليد واللسان، وأما الإنكار بالقلب واجب على كل أحد، ولا يعذر منه أحد من الخلق وفي قوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً» أن الإنكار متعلق بالرؤية والمشاهدة، أما الأمور المستورة فإنه لا يتعلق بها إنكار لقوله ﷺ: «من رأى منكم» قال بعض العلماء: بان الرؤية أعم من مشاهدة العين وقد يكون المراد بذلك العلم.

هذا وصلوا وسلموا...

الخطبة الأولى^(١)

٣٥

الحمد لله، يحمد بنعمته، وتنال كرامته برحمته، ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠]، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله -عباد الله- وتأهبوا للرحيل، واعلموا أن أمامكم يوم ثقيل.

عباد الله:

خلق الله الخلق لعبادته وحده، والدخول تحت أمره ونهيهِ، قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] وما أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وقام سوق الجنة والنار إلا لأجل هذه الحقيقة العظيمة، ولإخراج العباد من داعية أهوائهم؛ إلى عبادة خالقهم ومولاهم.

(١) الحديث الخامس والثلاثون: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا».

ومن أعظم ما يعين على الطاعة والعبادة سلامة الصدر للمؤمن ومحبة الخير لهم، وفي هذا الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم « لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرَضُهُ ».

عباد الله: للمسلم حرمة عظيمة عند الله وعز وجل، من أجل ذلك حرم منه ما حرم، ويشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنْ دَمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا» [رواه البخاري ومسلم].

وهذا الحديث اشتمل على أحكام كثيرة وفوائد عظيمة، قال ابن حجر رحمته الله: (هو حديث كثير الفوائد، مشير إلى جل المبادئ والمقاصد، بل هو عند تأمل معناه وفهم مغزاه حاوٍ لجميع أحكام الإسلام منطوقاً ومفهوماً، ومشتمل على جمع الآداب أيضاً إيماءً وتحقيقاً). وقال النووي: (ما أعظم نفع هذا الحديث وأكثر فوائده).

عباد الله:

أصل دوام الأخوة بين المسلمين سلامة الصدر تجاه المسلم، وقد حرص الإسلام على أمر المسلمين بكل ما فيه سلامة الصدر، كما حرص على نهيمهم عن كل ما يعكر صفو ذلك. وفي هذا السياق جاءت أحاديث جامعة، بتعاليمها وأحكامها، وآدابها لتعمق هذه الأخوة الإيمانية.

وقد ذكر النبي ﷺ في هذا الحديث تعظيم حرمة المسلمين، بعضاً من الآداب والوصايا في التعامل بين المسلمين حتى لا يقع ظلم على أحد منهم، وحتى تصفو النفوس، وتزداد المودة. واشتمل هذا الحديث على النهي عن خصال دميمة وفعال قبيحة.

قال ﷺ: «**لا تحاسدوا**» أي؛ لا يحسد بعضكم بعضاً، والحسد مركوز في طباع البشر. وهو أن يكره الإنسان أن يفوقه أحد من جنسه في شيء من الفضائل ويتمنى زوال النعمة عن المحسود. وقد انعقد الإجماع على تحريمه وقبحه.

والحسد: هو تمنى زوال النعمة عن الغير، وهو خلق ذميم، ومنه الغبطة: وهي تمنى أن يكون له مثل ما لأخيه من غير تمنى زوالها عن أخيه.

وفي الحسد مفسدة كثيرة: منها أنه تشبه باليهود وهو دليل على خبث نفس الحاسد، وفيه اعتراض على قدر الله وقضائه وما وهب - جل وعلا - لعباده.

ومن مفسده أنه يأكل الحسنات. قال ﷺ: «إياكم والحسد فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» [رواه أبو داود] وغير ذلك من المفساد. وهذا هو الحسد المذموم، وهو تمنى زوال النعمة؛ فأما الغبطة وهي تمنى حال المغبوط من غير أن يريد زوالها عنه، فإن كانت في أمور الدين فهي محمودة.

والحاسد في غم لا ينقطع، ومصيبة لا يؤجر عليه، ومذمة لا يحمدها، ويسخط عليه الرب، ويغلق عنه أبواب التوفيق. قال ابن تيمية: (لا يخلو جسد من حسد، ولكن الكريم يخفيه والليثم يبيديه).

عباد الله:

العمل بهذا الحديث من أعظم الأسباب الموصلة للتآلف بين المسلمين وقلة الشحناء وتعميق الأخوة الإيمانية.

قال الله تعالى ناهياً عن الحسد، وأن ما نال الناس من خير فهو من الله: ﴿أَمْ تَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ﴾

[النساء: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩]. ويروى أن إبليس قال لنوح عليه السلام: اثنتان أهلك بهما بني آدم: الحسد، وبالحسد لعنت وجعلت شيطاناً رجيماً. والحرص أبيع آدم الجنة كلها، فأصبت حاجتي منه بالحرص.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر» [رواه الترمذي]. وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار».

وإن كانت الغبطة في أمور الدنيا فلا خير في ذلك. قال الله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [٧٩] وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنِ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ [القصص: ٧٩، ٨٠].

قوله ﷺ: «ولا تناجشوا» النجش: هو أن يزيد في السلعة من لا يريد شراءها، لكن من أجل نفع البائع والإضرار بالمشتري، وقيل: المراد الخداع في جميع المعاملات من غش واحتيال وغيرها، وفي النهي عنها حماية للأنفس وحماية للأموال وحماية للغير. وأصل النجش: الختل وهو الخداع.

قال ابن أبي أوفى: الناجش أكل ربا خائن. وفي حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ: «من غشنا فليس منا، والمكر والخداع في النار» قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ أَلْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءِ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» [رواه الترمذي].

«ولا تباغضوا» أي؛ لا تتعاطوا أسباب التباغض، فيبغض بعضكم بعضا، بل يحبه، ومن أسبابه الغض، الغيبة والنميمة، والسخرية والتنازع بالألقاب. فالبغض حرام إلا في الله تعالى، فإنه واجب ومن كمال الإيمان كما قال ﷺ: «من أحب له وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان» [رواه أبو داود].

قال ابن عبد البر: قوله: **(ولا تباغضوا)** نهى معناه النذب إلى رياضة النفس على التحاب، لأن المحبة والبغضة لا يكاد المرء يغلب فيهما نفسه لقول الله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣]. وقال رسول الله ﷺ: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» [رواه البخاري].

ثم قال ﷺ: **«ولا تدابروا»** التدابر: هو الهجر والتقاطع، ومعناه: أن لا يولي أحدكم الآخر دبره من إعراضه عنه بوجهه وكرهيته له من أجل دنيا وعرض زائل ويقاطعه ويهجره، والتدابير محرم وسبب في رفع الخير، وحرمان من عرض العمل على الله - تعالى -. وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا وخيرهما الذي يبدأ السلام». عباد الله:

قوله ﷺ: **«ولا يبع بعضكم على بيع بعض»** وفي الصحيحين: «لا يبيع المؤمن على بيع أخيه» أن يقول لمن اشترى سلعة في مدة الخيار: افسخ هذا البيع أنا أبيعك مثله أو أجود بثمنه أو يكون المتبايعان قد تقرر الثمن بينهما وتراضيا به، ولم يبق إلا العقد فيزيد عليه أو يعطيه بأنقص.

قوله ﷺ: «وكونوا عباد الله إخوانا» أي؛ اكتسبوا ما تصيرون به إخواناً مما سبق ذكره وغيره، مما يدعوا إلى الألفة ويمنع من النفرة. وفي الحديث إشارة إلى أنهم إذا تركوا التحاسد والتناجش والتباغض والتدابير، وبيع بعضهم على بيع بعض، كانوا أخواناً: أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الإخوة، ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة، والتعاون في الخير مع صفاء القلوب والنصيحة بكل حال، وقد قال النبي ﷺ: «تهادوا فإن الهدية تذهب وجر الصدر» [رواه أحمد].

وقال الحسن: (المصافحة تزيد في المودة). وقوله ﷺ: «ولا يبيع بعضكم على بيع بعض» أي لا يبيع سلعة باعها أخوه المسلم فيترك المسلم السلعة الأولى فيجعل البائع ييغض المشتري لعدم التزامه بالبيع.

وأما الاحتقار -عباد الله- فهو ناشئ عن الكبر، وقد قال ﷺ: «الكبر بطن الحق وغمط الناس» أي: احتقارهم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا

تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ
الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ [الحجرات: ١١].
إلى قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ [الحجرات: ١٣].

وفي الحديث: «**وكونوا عباد الله إخواناً**» تحقيقاً لقوله تعالى:
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقوله ﷺ في الحديث: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا
يخذله، ولا يكذبه ولا يحقره**» أي لا يتكبر عليه ويستصغره. وهذا
مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ
أَخَوَيْكُمْ﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ [الحجرات: ١٠]. وفي هذا
تأكيد وإثبات عقيدة الولاء بين المسلمين بأن يعين بعضهم بعضاً،
ويقوم بعضهم بحوائج بعضهم الآخر. وقد قال النبي ﷺ: «انصر
أخاك ظالماً أو مظلوماً». قال: يارسول الله أنصره مظلوماً، فكيف
أنصره ظالماً؟ قال: «تمنعه من الظلم، فذلك نصرك إياه» [متفق عليه].
وقال النبي ﷺ: «ما من امرئ مسلم يخذل امرءاً مسلماً في موضع

تنتهك فيه حرمة، وينتقص فيه من عرضه، إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر امرءاً مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه، وتنتهك فيه حرمة، إلا نصره الله في موضع يحب فيه نصرته» [رواه أبو داود]. وفي حديث آخر: «من نصر أخاه بالغيب وهو يستطيع نصره، نصره الله في الدنيا والآخرة».

وفي مسند الإمام أحمد عن النواس بن سمعان عن النبي ﷺ قال: «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق وأنت به كاذب».

وفي الحديث «وكونوا عباد الله إخواناً» تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

«التقوى هاهنا» التقوى؛ هي اجتناب عذاب الله بفعل المأمور وترك المحذور.

وفي قوله «هاهنا» يشير بيده إلى صدره ثلاث مرات. وفي رواية: «وأوماً بيده إلى القلب». وقال ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

وقال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل

جواظ مستكبر» [رواه البخاري]. والتقوى محلها القلب، فإذا اتقى القلب، اتقت الجوارح، وإذا لم يتق القلب، لم تتق الجوارح، وفي الحديث: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» [رواه البخاري].

ثم ذكر ﷺ بأخوه الدين وهي أقوى الوشائج وأعظمها، ومن هذه المحبة أن لا يظلمه، ولا يترك نصرته، ولا يكذب عليه ولو مازحاً، ولا يهضم حقه، ولا يسخر به، ولا يستهزأ به ولا يعيبه، ولا يستصغر شأنه ويضع من قدره.

قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

وقال ﷺ: «ألا أنبئكم بشراركم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبراء العيب» وهذا التباغض المذموم هو الذي منشأه التنافس في الدنيا واتباع الأهواء، فأما الحب والبغض في الله فهو من أوثق عرى الإيمان.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (ألا من أظهر منكم لنا خيراً ظننا به

خيرًا وأحبنا عليه، ومن أظهر منكم شرًا ظننا به شرًا وأبغضنا عليه، سرائركم بينكم وبين ربكم تعالى).

قوله ﷺ: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم» يعني: يكفيه من الشر احتقاره لأخيه المسلم، فإنه إنما يحقره لتكبره عليه، والكبر من أعظم خصال الشر.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلقنا لعبادته، وأرسل إلينا رسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].
أيها المسلمون:

ختم ﷺ الحديث بحرمة دم المسلم بالقتل أو الجرح أو غيره، وماله من السرقة أو الغش أو غيرها، وعرضه من الغيبة والنميمة والاستهزاء والقذف.

وحذر إلى عدم التعدي على المسلم بقوله ﷺ: «كل المسلم على

المسلم حرام دمه وماله وعرضه».

هذا مما كان النبي ﷺ يخطب به في المجامع العظيمة كما قال في حجة الوداع يوم النحر: «إن دماءكم وموالمكم وأعراضكم عليكم

حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا» [متفق عليه]. وقد قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» [رواه البخاري ومسلم].

وفي الأخذ بهذا الحديث النبوي العظيم تصفو النفوس وتصلح الأحوال وتطيب الحياة.

قال رجل لعمر ابن عبد العزيز: اجعل كبير المسلمين عندك أباً، وصغيرهم ابناً، وأوسطهم أخاً.

وقال بعض السلف: ليكن حظ المؤمن منك ثلاث: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تدمه.

فاحفظوا حق إخوانكم وتقربوا إلى الله بترك ما يؤذيهم وأعينوهم على الخير، وابذلوا لهم النصحية، مع الرفق واللين فالمسلم أخو المسلم.

وفي الحديث: تحريم الحسد والنهي عن التباغض والتدابير.

وفيه: وجوب الأخوة الإيمانية، وأن المسلم على المسلم حرام:

دمه وماله، وعرضه.

وفيه: وجوب نصره المسلم، وتحريم خذلانه.

هذا وصلوا وسلموا...

الخطبة الأولى^(١)

٣٦

الحمد لله وحده؛ ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحمد وإليه ترجعون، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أظهر به دينه على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، وحاسبوا أنفسكم قبل موقف الحساب، فإن عليكم كراماً كاتبين، والله - تعالى - أسرع الحاسبين: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٨].

أيها المسلمون:

هذا حديث عظيم جليل، جامع لأنواع من العلوم والقواعد،

(١) الحديث السادس والثلاثون: «من نفس عن مسلم كربة».

والآداب، والفضائل والفوائد والأحكام، وفيه ذكر لأعمال صالحة ومنازل عالية لمن قام بها، ففيه عظيم فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم أو مال، أو جاه أو نصح، أو دلالة على خير، أو إعانة بنفسه أو وساطته أو شفاعته، أو دعائه له بظهر الغيب. وهذا الحديث موقعه عظيم، لما فيه من البشارة والندارة التي تدفع المؤمن للعمل في سبيل وإعانة وخدمة الناس، ومجالسة أهل العلم والقرآن، وذم من يتكئون على الأنساب ويهملون الأعمال.

روى مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».

في هذا الحديث فضل إعانة المسلمين، وتفريج كربهم وتسهيل أمورهم، ونفعهم بما ييسر من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة أو غير ذلك.

وفي الحديث الآخر: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»

[رواه البخاري].

عباد الله: حث النبي ﷺ في وصيته على مكارم الأخلاق، ورتب عليها الأجر العظيم من الله ﷻ، ومن كريم الأخلاق تنفيس كربة المكروب.

قال ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة» **«من كرب الدنيا»** أي، بعض كربها، وقال: «من كرب الدنيا» للإيذان بتعظيم شأن التنفيس.

«نفس الله عنه» أي فرج الله عنه **«كربة من كرب يوم القيامة»** والكربة: هي الشدة العظيمة، التي توقع صاحبها في الكرب والضيق والضنك، وتنفيسها أن يخفف عنه منها فتزيل همه وغمه، ويرفع ما نزل به من ضائقة، والتنفيس للكربة يكون بتخفيفها أو إبعادها.

قوله ﷺ: **«كربه من كرب يوم القيامة»** هذا في تنفيس الكرب.

قال ﷺ: **«نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»** فإن الله يزيل كربيه وشدائده في ذلك اليوم العظيم، فإن في القيامة كربًا وشدائد وأهوالًا عظيمة. ولم يقل من كرب الدنيا والآخرة كما قيل في التيسير والستر.

قال النووي: (ويدخل في كشف الكربة وتفريجها من أزالها بماله أو جاهه أو مساعدته، والظاهر أنه يدخل فيه من أزالها بإشارته ورأيه ودلالته).

وقال ابن رجب: (قوله **كربة من كرب يوم القيامة**) ولم يقل من كرب الدنيا والآخرة كما قيل في التيسير والستر، قيل في مناسبة ذلك: أن الكرب هي الشدائد العظيمة، وليس كل أحد يحصل له ذلك في الدنيا، بخلاف الإعسار والعورات المحتاجة إلى الستر، فإن أحداً لا يكاد يخلو في الدنيا من ذلك، ولو بتعسر بعض الحاجات المهمة. وقيل: لأن كرب الدنيا بالنسبة إلى كرب الآخرة لا شيء، فادخر الله جزاء تنفيس الكرب عنده لينفس به كرب الآخرة.

وهذا يرجع إلى أن الجزاء من جنس العمل، كقوله ﷺ: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء» [رواه البخاري]. وقوله: «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا» [رواه مسلم].

وفي حديث كعب ابن عجرة «ومن فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربته».

والتنفيس: التخفيف، والتفريج: أعظم من ذلك. وقال النبي ﷺ: «أَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا عَلَى جَوْعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَقَى مُؤْمِنًا عَلَى ظَمَأٍ سَقَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ كَسَا مُؤْمِنًا عَلَى عَرِيٍّ كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خَضِرِ الْجَنَّةِ» [رواه الترمذي].

«ومن يسر على معسر» أي؛ سهل عليه وأزال عسرته. والمعسر: من أثقلته الديون وعجز عن وفائها، والتيسير على المعسر يكون باعائه على إزالة عسرته، فإن كان مدينًا أعانه على قضائه، وإن كان الدين له أنظره، أو وضع عنه إن لم يبرئه منه، والإبراء خير، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

قوله ﷺ: «ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة» وفي الحديث الآخر: «من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن المعسر أو يضع عنه» وفي الحديث الآخر أيضًا: «من أنظر معسرًا، أو وضع عنه؛ أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله». ودل الحديث على أن الإعسار قد يحصل في الآخرة، وقد وصف الله تعالى يوم القيامة بأنه يوم عسير وأنه على الكافرين غير يسير، فدل على أنه يسير على غيرهم، قال تعالى: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦] وفي الحديث أن الجزاء من جنس العمل، وهذا موجب الحكمة، وهو سنة الله في جزاء العباد شرعًا وقدرًا، قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ إِلَّا حَسَنٍ إِلَّا إِلَّا حَسَنٌ﴾ [الرحمن: ٦٠].

وفي الحديث قوله ﷺ: «ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة» فيه استحباب ستر عورات المسلمين وزلاتهم. وفي الحديث الآخر: «من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته». «ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة» ومن ستر مسلماً من عيب فيه، وحجبها حتى لا يتبين للناس، ستره الله في الدنيا والآخرة، أي؛ حجب عيوبه عن الناس في الدنيا والآخرة.

والمراد بالحديث عدم إظهار عيوبهم أو ذنوبهم خاصة في المستورين الذين لا يعرفون بشيء من المعاصي، فإذا وقعت منهم زلة أو هفوة فإنه لا يجوز التحدث بها ونشرها وكشفها لأن هذا من الغيبة المحرمة.

قال ابن دقيق العيد: (الستر على المسلم أن يستر زلاته، والمراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس معروفاً بالفساد، وهذا في ستر معصية وقعت وانقضت. أما إذا علم معصية وهو متلبس بها، فيجب المبادرة بالإنكار عليه ومنعه منها، فإن عجز لزمه رفعها إلى ولي الأمر إن لم يترتب على ذلك مفسدة، فالمعروف بذلك لا يستر عليه؛ لأن الستر على هذا يطمعه في الفساد والإيذاء

وانتهاك المحرمات، وجسارة غيره على مثل ذلك، بل يستحب أن يرفعه إلى الإمام إن لم يخف من ذلك مفسدة).

قال بعض السلف: (أدركت قومًا لم يكن لهم عيوب، فذكروا عيوب الناس، فذكر الناس لهم عيوبًا، وأدركت قومًا كانت لهم عيوب، فكفوا عن عيوب الناس فنسيت الناس عيوبهم).

وفي الحديث قوله ﷺ: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه». هذه كلمة جامعة في إعانة المسلم لأخيه المسلم ببدنه وماله وجاهه، وفيه وعد الله للعبد أن ييسر له أموره ويسهل عليه أحواله. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعاهد الأرامل يستقي لهم الماء بالليل. وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما: (ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته) أي فمن أعان أخاه وسعى حسب طاقته في قضاء حاجته، وسواء أكان ذلك بقلبه أو بدنه، أو بهما لدفع المضار أو جلب المنافع إذ لكل عون (كان الله في حاجته) أي أن المكافأة على ذلك بجنسها من الجواد الكريم.

عباد الله:

ولما كان للعلم منزلة عظيمة ومكانة رفيعة، جاء الحديث ليؤكد على فضله وعلو شأنه، فهو سبيل الله الذي ينتهي بصاحبه إلى الجنة،

والمشتغلون به إنما هم مصابيح تنير للأمة طريقه، وهم ورثة الأنبياء، قال ﷺ حاثًا على العلم وطلبه والسعي إليه:

«ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى

الجنة» قال ابن رجب: «سلوك الطريق لالتماس العلم يدخل في سلوك الطريق الحقيقي وهو المشي بالأقدام إلى مجالس العلماء، ويدخل فيه سلوك الطرق المعنوية مثل حفظه ومدارسته ومذاكرته ومطالعة وكتابته والتفهم فيه ونحو ذلك».

وقال ابن دقيق العيد: (وفي الحديث فضل السعي في طلب العلم، والمراد العلم الشرعي).

وقال الحسن: (العلم علمان: علم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم، وعلم في القلب فذاك العلم النافع، وقد قال الله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ أَلَكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ أَلَكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ أَللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ أَللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ أَلسَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ أَلظُّلُمَاتِ إِلَى أَلنُّورِ بِأِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥: ١٦]).

والجزاء على ذلك من الله تسهيل الطريق التي يصل بها طالب العلم إلى الجنة، وذلك يكون بإعانتة على تحصيل ما قصد فيكون بذلك محصلاً للعلم، ويكون أيضاً بإعانتة على العمل بما علمه من أحكام الشريعة، وذلك يفضي به إلى دخول الجنة. وأخرج البزار من حديث رفاعه بن رافع أن النبي ﷺ قال لعمر: «اجمع لي من قومك» يعني قريشاً فجمعهم فقال: «إن أوليائي منكم المتقون، فإن كنتم أولئك فذلك، وإلا فانظروا، يأتي الناس بالأعمال يوم القيامة، وتأتون بالأثقال فيعرض عنكم».

وقوله ﷺ: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله» أي المسجد، فإن بيوت الله هي المساجد، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ [النور: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] فأضافها إلى نفسه الشريفة «يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة» أي السكينة والوقار، والطمأنينة «وغشيتهم الرحمة» أي غطتهم وعمتهم، «وحفتهم الملائكة» أي احاطت بهم ملائكة الرحمة، «وذكرهم الله فيمن عنده» أي؛ اثنى عليهم في المقربين عنده، وكفى شرفاً ذكر الله العبد في الملاء الأعلى.

وهذه الخصال الأربع لكل مجتمعين على ذكر الله تعالى؛ كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «إن لأهل ذكر الله تعالى أربعاً: تنزل عليهم السكينة، وتغشاهم الرحمة، وتحف بهم الملائكة، ويذكرهم الرب فيمن عنده».

وفيه أن تلاوة القرآن وتعليم العلم الشرعي: ذكر لله، لأن من جزائه في هذا الحديث ذكر الله للتالين والمتدارسين.

وفي صحيح البخاري عن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». وكان النبي ﷺ أحياناً يأمر من يقرأ القرآن ليسمع قراءته، قال: «إني أحب أن أسمعه من غيري».

روى يزيد الرقاشي عن أنس قال: (كانوا إذا صلوا الغداة قعدوا حلقة حلقة يقرؤون القرآن، ويتعلمون الفرائض والسنن ويذكرون الله تعالى). وقد قال سبحانه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] وفي الحديث القدسي: «إِنْ ذَكَرْنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتَهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرْنِي فِي مَلَأْ، ذَكَرْتَهُ فِي مَلَأْ خَيْرَ مِنْهُمْ» [رواه البخاري].

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ: «يقول الله أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إِنْ ذَكَرْنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتَهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرْنِي

في ملاً ذكرته في ملاً خير منهم» وقد قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۚ﴾ (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝﴾ (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۖ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ۝﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٤].

ثم قال ﷺ وبين قاعدة عظيمة: «ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» أي؛ من تأخر من أجل عمله السيء، فإن نسبه لا يغنيه ولا يرفعه.

قال النووي: (معناه من كان عمله ناقصاً، لم يلحقه نسبه بمرتبة أصحاب الأعمال، فينبغي أن لا يتكل على شرف النسب وفضيله الآباء، ويقصر في العمل).

قوله ﷺ: «ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» أي: الجزاء على الأعمال لا على الأنساب. قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ [الأنعام: ١٣٢]. وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۚ﴾ (١١٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝﴾ (١١٤) وَالَّذِينَ

إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكُّوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا
لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتُ
تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنَعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾
[آل عمران: ١٣٣: ١٣٦].

وقال ﷺ حين أنزل عليه ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾
[الشعراء: ٢١٤]: «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم
من الله شيئا» فعم وخص حتى قال: «يا فاطمة بنت محمد سليني من
مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا» [متفق عليه].
بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض، وهو الحكيم العليم،
وأشهد أن لا إله إلا الله العلي العظيم، وأشهد أن نبينا محمداً الرسول
الصادق الأمين، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله:

وقوله ﷺ: «ومن بطأ به علمه لم يسرع به نسبه» معناه: من كان
علمه ناقصاً، لم يلحقه بمرتبه أصحاب الأعمال، فينبغي ألا يتكل
على شرف النسب، وفضيلة الآباء، ويُقصر في العمل، لأن من أخره
عمله عن دخول الجنة لم يسرع به نسبه على دخول الجنة، لأن
المعتبر في ذلك الإيمان والتقوى، فالعمل هو الذي يبلغ بالعبد
درجات الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾
[الأنعام: ١٣٢] فإن الله رتب الجزاء على الأعمال لا على الأنساب
كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ
وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

الحديث الذي مرّ بنا موقعه عظيم لما فيه من البشارة والندارة التي تدفع المؤمن للعمل في سبيل خدمة الناس وإعانتهم، ومجالسة أهل العلم والقرآن، وذم من يتكئون على الأنساب ويهملون الأعمال. قال ابن دقيق العيد - رحمه الله تعالى - : (هذا حديث عظيم، جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب، فيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما يتيسر من علم أو مال، أو معاونة، أو إشارة بمصلحة، أو نصيحة، أو غير ذلك).

ثم أجمل ﷺ الحديث فيما بين الإخوة «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» أي؛ أن الله - تعالى - يعين الإنسان على قدر معونته أخيه.

ثم ذكر ﷺ فضل العلم والتعلم العلم الشرعي الذي يرفع به الجاهل عن نفسه وعن غيره، ويدعوا إلى الله على بصيره، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة.

ثم ذكر ﷺ فضل الاجتماع في المساجد يقرأون القرآن ويتدارسونه بينهم إلا كان جزاء ذلك أن نزلت على قلوبهم السكينة؛ وهي الطمأنينة والاستقرار، وغطتهم وشملتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وصارت حولهم، وذكرهم الله فيمن عنده من الملائكة.

قال الحسن: (أفضل الصدقة صدقة العلم).

وفي الحديث: الترغيب في تنفيس الكرب عن المؤمنين، والتيسير على المعسرين، وفك أسر المأسورين.

وفيه: الإشارة إلى يوم القيامة وأنه ذات كرب، وفيه الترغيب في ستر المسلم الذي لا يعرف عنه الفساد، وكذلك الحث على الاهتمام بكتاب الله تعالى، كما أن فيه فضل الجلوس في بيوت الله لمدارسة العلم، وفيه أن الجزاء من جنس العمل.

وفيه: الحث على طلب العلم، كما دل الحديث على أن من ذكر الله ذكره الله في الملاء الأعلى.

وفي الحديث: إشارة إلى طلب المجلس الصالح، وأن النسب لا ينفع إذا لم يكن معه العلم الصالح.

هذا وصلوا وسلموا

الخطبة الأولى^(١)

٣٧

الحمد لله أتم لنا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً، أحمدُه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه ومن والاه.
أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ووحده، واطيعوا أمره، واجتنبوا نهيه، فالسعادة كلها في طاعة الله.

عباد الله:

فضل الله واسع وجوده عظيم، وأفعال الله سبحانه دائرة بين الفضل والعدل، فهو جواد كريم، بر رحيم، وهو سبحانه عدل لا يظلم مثقال ذرة.

روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى، قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ

(١) الحديث السابع والثلاثون: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ».

حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هُمْ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هُمْ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».

هذا الحديث من الأحاديث القدسية، وهو ما أخبر الله به نبيه ﷺ بالإلهام أو رؤيا المنام، أو غير ذلك من كفيات الوحي، فعبر عنه ﷺ بكلامه، وليس له حكم القرآن من حيث الإعجاز والتواتر أو التعبد بقراءته، وغير ذلك.

في الحديث بشارة وفضل من الله تعالى، يدل على أفضال الله تعالى على خلقه، ورأفته بهم، فهو رب كريم، وفضله عظيم يضاعف الحسنات دون السيئات.

قال ابن حجر: (وهذا الحديث حديث شريف عظيم، جامع لأصناف الخير ومقادير الحسنات والسيئات، بَيَّنَّ فيه ﷺ عن ربه ما تفضل الله تعالى به على عبده).

وفي قوله تعالى في الحديث القدسي: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ» أي؛ كتب وقوعها في اللوح المحفوظ، وأما ثوابها فبما دل عليه الشرع، ثم بَيَّنَّ ذلك وفصله ووضحه.

«فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله - تبارك وتعالى - عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة».

وفي الحديث: أن من همّ بحسنة كتبت له حسنة وإن لم يفعلها، لأن العزم والهم بالحسنة سبب إلى عملها وسبب الخير خير، وأن من هم بسيئة ثم رجع عنها لله - تعالى - لا شيء آخر كتبت له حسنة، لأن رجوعه عن العزم عليها خير، فجوزي بمقابله بحسنة، وهذا من فضل الله ورحمته بعباده أن ضاعفها جوداً منه وكرماً.

قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلٍهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا تُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].
وفي قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

فإذا استشعر العبد هذا الفضل، أفاضت على قلبه الطمأنينة والسكينة، والرجاء بالمغفرة، ودفعته إلى الجد في الخير ومتابعة الأعمال الصالحة، والعزم على فعل الخير.

«وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإذا هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة».

فالزيادة في الحسنات من باب الفضل، والمعاملة بالمثل في السيئات من باب العدل.

أما السيئة فهي كما هي عدلاً منه إذا فعلها، أما إذا هم بها ولم يعمل بها طاعة لله ﷻ فتكتب له حسنة واحدة؛ لأنه ترك العمل بالسوء، وهذا عمل صالح يثاب عليه، والله يحب العمل الصالح.

قال ابن القيم: (أجمع العارفون على أن ذنوب الخلوات هي أصل الانتكاسات، وعبادات الخفاء هي أعظم أسباب الثبات).

قال ابن تيمية: (جماع الحسنات العدل، وجماع السيئات الظلم).

قال ابن بطال: (في تغييب خاتمة العمل عن العبد حكمة بالغة وتدبير لطيف؛ لأنه لو علم وكان ناجياً أعجب وكسل، وإن كان هالكاً ازداد عتواً، فحُجب عنه).

فانظروا -عباد الله- إلى عظيم لطف الله تعالى، وتأملوا هذه الألفاظ.

قال النووي: (أشار بقوله: «عنده») إلى مزيد الاعتناء به، وبقوله:

«كاملة» إلى تعظيم الحسنة وتأکید أمرها. وعكس ذلك في السيئة فلم

يصفها بكاملة بل أكدها بقوله: «واحدة» إشارة إلى تخفيفها بمبالغة

في الفضل والإحسان».

فأكد تقليلها بواحدة ولم يؤكد لها بكاملةٍ فله الحمد والمنة سبحانه لا نحصي ثناء عليه.

عباد الله: هذا حديث شريف عظيم بين فيه النبي ﷺ مقدار ما تفضل الله ﷻ به خلقه: من تضعيف الحسنات وتقليل السيئات، وتضمن هذا الحديث أربعة أنواع:

الأول: «من هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة».

قال أبو الدرداء: من أتى فراشه وهو ينوي أن يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى. والهم بالحسنة إذا لم يعمل المرء الحسنة ينقسم إلى أقسام:

القسم الأول: أن يهم بالحسنة ويسعى في تحصيلها وفعل أسبابها لكنه لا يدركها فإن هذا يكتب له الأجر كاملاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَخَرَّجَ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠].

القسم الثاني: أن يهم بالحسنة فيعزم عليها ثم يتركها تكاسلاً، فهذا يثاب على الهم الأول والعزم الأول، ويعطى حسنة بسبب ذلك، ولكنه لا يثاب على الفعل.

وروي عن سعيد ابن المسيب قال: «من هم بصلاة أو صيام أو حج أو عمرة أو غزوة، فحيل بينه وبين ذلك بلغه الله تعالى ما نوى». وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن النبي ﷺ قال: «إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما، فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم الله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالا فهو صادق النية، فيقول: لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته، فأجرهما سواء. وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علماً، فهو يتخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم الله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل. وعبد لم يرزقه مالا وعلماً، وهو يقول: لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته، فوزرهما سواء» وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥].

قال ابن عباس وغيره: (المفضل عليهم درجة هم القاعدون من أهل الأعدار، والمفضل عليهم درجات هم القاعدون من غير أهل العذر).

النوع الثاني: «من همّ بحسنة فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات

إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة». قال الله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا تُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]. وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]. وقال الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]. وقال النبي ﷺ: «كل عمل ابن آدم له، والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف». قال الله تعالى «إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي».

ومضاعفة الحسنات زيادة على العشر تكون بأسباب متعددة منها: حسن الإسلام، وكمال الإخلاص، وفضائل العمل في نفسه وعظم الحاجة إليه، وفضيلة المكان كما قال ﷺ: «صلاة في مسجدتي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام» [رواه البخاري].

وفرضية العمل كما في قوله تعالى في الحديث القدسي: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه» [رواه البخاري].
وكذلك عظم الزمان وشرفه كما في حديث: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب على الله من هذه الأيام يعني أيام العشر» [رواه أبو داود]، وكذلك فضل العامل كما قال ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدكم ولا نصيفه» [رواه البخاري ومسلم].

القسم الثاني: أن يهتم بالحسنة ويعزم عليها ولكنه يترك تلك الحسنة من أجل حسنة أفضل منها، فإن هذا يثاب ثواب الحسنة العليا التي هي أكمل بلا إشكال، ويثاب على همه الأول بالحسنة الدنيا.

النوع الثالث: أن من هم بسيئة وهو عازم بقلبه على فعلها، ثم يراجع نفسه فيتركها ولم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة؛ يعني إذا لم يعمل السيئة لأجل الله تعالى كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إنما تركها من جرائي» فإن عزم على فعلها وسعى في حصول ذلك فعجز ولم يتمكن عوقب عليها كما قال النبي ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار». قالوا: يا رسول الله: هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه».

وقد قال النبي ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل». قال ابن المبارك: سألت سفيان الثوري: «أيؤخذ العبد بالهم؟ فقال: إذا كانت عزماً أو خذ».

النوع الرابع: «وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة» إشارة إلى أنها غير مضاعفة، كما قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا تُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]. لكن السيئة قد تعظم أحياناً لأسباب خاصة منها: شرف الزمان، وشرف المكان، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] وكذلك نوع السيئة فالكذب على الرسول ﷺ ليس كالكذب على غيره، وغيبة العلماء ليست كغيبة غيرهم، والزنا بحليلة الجار، وزوجة المجاهد أعظم من الزنا في غيرهن، وغير ذلك. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتَلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

قال ابن عباس في كلهن، ثم اختص من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حرماً، وعظم حرمتن، وجعل الذنب فيهن أعظم، والعمل الصالح والأجر أعظم. وقال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وكان جماعة من الصحابة يتقون سكنى الحرم خشية ارتكاب الذنوب فيه، وقد تضاعف السيئات بشرف فاعلها وقوة معرفته بالله كما قال تعالى: ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيُّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ يُضَعَّفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [٣] وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلَ صَالِحًا تُوْتَاهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٠، ٣١]. وقد قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام ثلاثة أيام من كل شهر فقد صام الدهر كله» [رواه الإمام أحمد]. وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الجمعة كفارة لما بينها وبين الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام» وذلك؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

زاد مسلم بعد قوله: «وإن همّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة أو محاسنها، ولا يهلك على الله إلا هالك» أي: بعد هذا الفضل العظيم من الله بمضاعفة الحسنات، والتجاوز عن السيئات لا يهلك عليه إلا من تجرأ على السيئات، ورغب عن الحسنات.

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

قال ابن بطال: (في الحديث بيان فضل الله العظيم على هذه الأمة، لأنه لولا ذلك كاد لا يدخل أحد الجنة، لأن عمل العباد للسيئات أكثر من عملهم الحسنات).

فعلى المسلم أن يتزود للدار الآخرة، ويكثر مما يقر به إلى الله زلفى، ويرفع درجته في الجنة، ويسأله المغفرة والعفو إنه جواد كريم.
بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، أحمده - سبحانه - على هدايته وتوفيقه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا رب لنا سواه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - حق التقوى، فالتقوى جماع الخيرات وبها تحصل البركات، وترفع الدرجات، وتمحو السيئات.

أيها المسلمون:

وفي الحديث أن من مضاعفة الحسنات لا تنتهي عند سبع مئة، بل تضاعف أضعافاً كثيرة لا حد لها، ويشهد ذلك قوله ﷺ: «لو أنفق أحكم مثل أحد ذهباً، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» [رواه البخاري].

وقوله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله تقبلها بيمينه، ثم يريها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل» [رواه البخاري].

وفيه: أن جزاء السيئة دائر بين العدل والعفو لقوله ﷺ في حديث أبي ذر رضي الله عنه: «من جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها، أو أغفر»، ما عدا الشرك الأكبر، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وفي الحديث: بيان سعة علم الله - تعالى - وإطلاعه على السرائر وما تخفي الصدور.

وفي الحديث: التحذير من الذنوب في الخلوات والجلوات، وأن الله ﷻ مطلع على العبد وأعماله ونيته.

عباد الله:

ذكر العلماء الأسباب مانعة من العقوبة بإذن الله وهي:

السبب الأول: التوبة؛ فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والتوبة مقبولة من جميع الذنوب بما في ذلك الشرك قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأَنْفَال: ٣٨].

السبب الثاني: الاستغفار، وهو طلب المغفرة والعفو من الله ﷻ.

السبب الثالث: الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتٍ﴾ [هود: ١١٤]. وفي وصية النبي ﷺ لمعاذ: «يا معاذ اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها».

السبب الرابع: دعاء المؤمنين له، فإن دعاء المؤمنين واستغفارهم للمؤمن، وكذلك صلاتهم على الميت ودعائهم وشفاعتهم له من أسباب المغفرة.

السبب الخامس: دعاء النبي ﷺ واستغفاره في حياته وبعد مماته، كشفاعته يوم القيامة. واستغفاره لأمته في حياته.

السبب السادس: ما يفعل بعد الموت من عمل صالح يُهدى له: مثل أن يُصدق عنه أو يحج عنه، وفي الحديث: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُتفَع به، أو ولد صالح يدعو له» [رواه مسلم].

السبب السابع: المصائب الدنيوية التي يكفر بالله بها الخطايا. في الحديث: «ما يصب المؤمن من وصب ولا نصب ولا غم ولا هم ولا حزن ولا أذى، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها».

السبب الثامن: ما يُبتلى به المؤمن في قبره من الضغطة والروعة وفتنة الملكين.

السبب التاسع: ما يحصل له في الآخرة من كرب وأهوال يوم القيامة.

السبب العاشر: رحمة الله وعفوه ومغفرته بلا سبب من العباد، وهو الغفور الرحيم.

هذا وصلوا وسلموا..

الخطبة الأولى^(١)

٣٨

الحمد لله، شرح بفضله صدور أهل الإيمان بالهدى، وأضل من شاء بحكمته وعدله، فلن تجد له ولياً مرشداً، أحمده - سبحانه - وأشكره، وأتوب إليه واستغفره، أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً فرداً صمداً، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، كرم أصلاً، وطاب محتداً، خصه ربه بالمقام المحمود وسماه محمداً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، هم النجوم بهم يهتدى، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتدى.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله:

حديثنا اليوم عن قوم اصطفاهم الله بمحبته، وآثرهم بفضله

(١) الحديث الثامن والثلاثون: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب».

ورحمته. أولئك الذين اعتصموا بحبله وسارعوا إلى طاعته، فأفاض الله عليهم من أنواره، وجعل لهم مكانة لم يجعلها لغيرهم، وتولاهم بنصرته وتأييده، أولئك هم أولياء الله.

وأهم أمارات وعلامات الولي: محافظته على فرائض الله، واجتهاده في النوافل وهي السنن والمستحبات، ولكل فريضة نافلة، ونحسن الظن بالمؤمنين المتقين، ويكفيها ظاهر الأمر، فلا نقطع لأحد بالولاية بعينه، إلا بخبر من المعصوم عليه السلام، فإن الإخلاص موضعه القلب، والعبرة بالخواتيم.

عباد الله: روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى قال: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِذَّنَّهُ».

أيها المسلمون: هذا الحديث أشرف حديث في ذكر الأولياء، لأنه يبين من هم أولياء الله وأحباؤه في الدنيا والآخرة. قال ابن تيمية: (هذا أشرف حديث في ذكر الأولياء).

واختاره الإمام النووي في الأربعين حديثاً التي عليها مدار الدين.

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه أن الله تعالى قدم

الإعذار إلى كل من عادى ولياً بأنه محاربه بنفس المعادة).

قوله تعالى في الحديث القدسي: «من عادى لي ولياً فقد آذنته

بالحرب».

والمعاداة: إيجاد العداوة بالخصومة أو الإعراض أو بعدم المحبة

أو البغض. وعداوة ولي من أولياء الله سبب لعداوة الله وحربه،

والمعاداة: البغض، وإرادة إلحاق الأذى والضرر، والسعي في ذلك،

فإن كان لدين ولي الله، فهو كفر، وإن كان لغير ذلك، وكان بغير حق

فهو كبيرة، وإن كان بحق فمكروه، كالعداوة الناشئة عن خصومة.

جاء في الحديث: «**من عادى لي ولياً**». يعني صار عدواً لي من

أوليائي، والمعاداة ضد الموالاة.

والمراد: أعلمته بأني محارب له، وعادى: أي أذى وأبغض،

وأغضب بالقول والفعل.

وليّاً: من الولي وهو القرب والتولي، والولي هو القريب من الله،

لتقربه إليه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وهو المؤمن المتقي.

«فقد آذنته بالحرب» أي؛ فقد أعلمته وأعلنت له العداوة. أي؛ مهلكه بأخذه على غرة، وهذا وعيد شديد لمعاندته ومعاداته من أحب الله تعالى.

وأولياء الله هم: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣]. وولي الله تعالى من امثل أمره واجتنب نهيهِ.

والولي: من الولي وهو القرب والدنو، فالولي هو القريب من الله - تعالى - لتقربه إليه باتباع أوامره، واجتناب نواهيه، والإكثار من نوافل العبادات مع كونه لا يفتر عن ذكره، ولا يرى غيره بقلبه توحيداً وتعظيماً. ومن تولى الله بالطاعة والتقوى، فإن الله يتولاه بالحفظ والنصرة.

قال ابن حجر: (المراد بولي الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته).

وقال ابن تيمية: (والولاية ضد العداوة، وأصل الولاية المحبة والقرب وأصل العداوة: البغض والبعد، وقد قيل أن الولي سمي ولياً من موالاته للطاعات؛ أي متابعته).

قال ابن رجب: (فأولياء الله تجب موالاتهم وتحرم معاداتهم، كما أن أعداءه تجب معاداتهم وتحرم موالاتهم، قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المتحنة: ١]).

وولاية الله لا تتحقق ولا تكون إلا بالمجاهدة والقيام بما أمر الله به من الفرائض والنوافل وكثرة الذكر، مع الإخلاص له ﷻ، والمتابعة لرسوله ﷺ.

قال الفاكهاني: (وفي هذا تهديد شديد لأن من حاربه الله أهلكه، وإذا ثبت هذا في جانب المعادة ثبت في جانب الموالاة، فمن والى أولياء الله؛ أكرمه الله).

ثم ذكر ما أعد لهم بقوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥: ٥٦]. وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً، فمن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه» [رواه الترمذي].

وفي قوله: «وما تقرب إليَّ عبدي» إضافته للتشريف المؤذن بمزيد الرفعة والمنزلة.

«أحب إليَّ مما افترضت عليه»؛ لأن الفرائض مقدمة على النوافل، ونتيجة هذه الطاعات والقربات أن الله يحبه، ويتولاه بحفظه وعونه، ونصره وتأيده، فيحفظ سمعه من الحرام، وبصره ويده ورجله، وإن سأل الله ﷻ أعطاه، وإن استعاذه من شر شياطين الإنس والجن أعاده.

قوله تعالى: «وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه». لما ذكر الله تعالى أعداءه ذكر أولياء وقسمهم قسمين: أحدهما من تقرب إليه بأداء الفرائض وترك المحرمات. والثاني: من تقرب إليه بعد الفرائض بالنوافل.

فالقسم الأول: المقتصدون، وهم أصحاب اليمين. والثاني المقربون، وهم السابقون الذين تقربوا إلى الله بعد الفرائض بالاجتهاد في النوافل والطاعات، والانفكاك عن دقائق المكروهات بالورع، وذلك، يوجب للعبد محبة الله تعالى. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ۖ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَلِكَ فَضْلُ

اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾. كان داود عليه السلام يقول في دعائه: «اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب العمل الذي يبلغني حبك. اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي، ومن الماء البارد».

قال ابن رجب: (ومن أعظم ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى من النوافل كثرة تلاوة القرآن وسماعه بتفكير وتدبر وتفهم).
وقال خباب بن الارت لرجل: (تقرب إلى الله تعالى ما استطعت. واعلم أنك لن تتقرب إلى الله بشيء هو أحب إليه من كلامه).
وقال عثمان رضي الله عنه: (لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم).
وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (من أحب القرآن أحب الله ورسوله).

ومما يتقرب به العبد إلى الله تعالى كثرة ذكر الله في كل وقت، وعلى كل حال، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١] الآيات. فضائل الذكر معروفة في القرآن والسنة، وهي أشهر من أن تذكر، وأكثر من أن

تحصر، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّن تَبُورَ ۖ لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

قوله: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها». وفي بعض الروايات: «وقلبه الذي يعقل به، ولسانه الذي ينطق به» هذا مثل قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

قال ابن رجب: (المراد من هذا الكلام أن من اجتهد بالتقرب إلى الله تعالى بالفرائض، ثم بالنوافل قربه إليه، ورقاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان، فيصير يعبد الله على الحضور والمراقبة كأنه يراه فيمتلئ قلبه بمعرفة الله تعالى ومحبه وعظمته وخوفه ومهابته وإجلاله، والأنس به، والشوق إليه حتى يصير هذا الذي في قلبه من المعرفة مشاهدًا له بعين البصيرة، فمتى امتلأ القلب بعظمة الله تعالى محا ذلك القلب كل ما سواه، ولم يبق للعبد شيء من نفسه وهواه، ولا إرادة إلا لما يريد منه مولاه، فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره، ولا يتحرك إلا بأمره، فإن نطق نطق بالله، وإن سمع سمع

به، وإن نظر نظر به، وإن بطش بطش به، فهذا هو المراد بقوله: (كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها).

«وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما فرضته عليه» فيه أن أحب الأعمال إلى الله أداء فرائضه، وأن كثرة النوافل من صلاة وصيام وحج وصدقة توجب محبة الله للعبد وقربه، فيرتقي إلى درجة الإحسان، فيمتلأ قلبه بمعرفة الله - تعالى - وعظمته وخوفه ورجائه.

قال ابن دقيق العيد: (فيه إشارة إلى أنه لا تقدم نافلة على فريضة، وإنما سميت النافلة نافلة إذا قضيت الفريضة وإلا فلا يتناولها اسم النافلة لأن التقرب بالنوافل يكون بتلو أداء الفرائض).

«وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» يعني بعد الفرائض، والفعل «لا يزال» يدل على الاستمرار: يعني: ويستمر. ويكون الحب بالإجتهاد في نوافل الطاعات من صلاة وصيام وزكاة وحج والاشتغال بذكره، وكف النفس عن المكروهات. فالنوافل تقرب إلى الله وهي تكمل الفرائض، فيبتدأ الإنسان بالفرائض ثم يؤدي النوافل حتى ينال محبة الله ﷻ.

وأن من تقرب إلى الله بالنوافل - بعد أداء الفرائض لأنها مقدمة على النوافل - أحبه، ونصره، وحفظه، وأجاب دعاءه، ورقاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان، فلا ينطق بما يسخط الله، ولا تحرك جوارحه في معاصي الله. وإن سأل الله أعطاه، وإن استعاذ مما يخاف أعاده منه وأمنه.

«حتى أحبه فإذا أحببته» ورضيت عليه وأردت به الخير. ومحبة الله تحصل بأداء الفرائض، وتتضاعف بأداء النوافل. ثم ذكر «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به» أي؛ لا يصغي بسمعه إلا إلى ما يرضيني، ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به.

«كنت سمعه الذي يسمع به» أي؛ حافظاً لسمعه وجوارحه من أن يستعملها في غير طاعة لله. وسدده في كل ما يسمع فلا يسمع إلا ما فيه الخير له.

«وبصره الذي يبصر به» أي؛ احفظه عما يحرم النظر إليه من الصور المحرمة.

«ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها» «ويده التي يبطش بها» فلا يعمل بيده إلا ما يرضاه الله عز وجل.

«ورجله التي يمشي بها» فلا يمشى إلا فيما يحل فيكون مسددًا في أقواله وفي أفعاله.

قال الخطابي: «هذه أمثال، والمعنى توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشر بهذه الأعضاء، وتيسير المحبة له فيها بأن يحفظ جوارحه عليه ويعصمه عن مواقع ما يكره الله من الإصغاء إلى اللهو بسمعه، ومن النظر إلى ما نهى الله عنه ببصره، ومن البطش فيما لا يحل له بيده، ومن السعي إلى الباطل برجله».

«وإن سألتني أعطيته وإن استعاذني لأعيذنه» هذا جزاء ونتيجة محبة الله له، فإن سأل شيئًا أعطاه، وإن استعاذ به من شيء أعاده منه، وإن دعاه أجابه، فيصير مجاب الدعوة لكرامته على ربه.

«ولئن سألتني أعطيته» أي، دعاني، أعطيته سألته، وأجبت دعوته. أي: يصير مجاب الدعوة لكرامته على الله.

«ولئن استعاذني لأعيذنه» أي؛ استعاذ، مستعيذًا بحولي وقوتي في الحفظ من كل مؤذ لأعيذنه. وأكد هذه الجملة بالقسم ونون التوكيد اهتمامًا بمضمونها لأنه درء مفسدة وذلك جلب مصلحة، والأول أهم والعناية به أتم.

فذكر السؤال الذي به حصول المطلوب، الاستعاذة التي بها النجاة من المهروب، وأخبر أنه - سبحانه وتعالى - يعطي هذا المتقرب إليه بالنوافل يعطيه ما سأل ويعيذه مما استعاذ.

وفي آخر هذا الحديث: «وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته» وللطبراني: «ولابد له منه»، وقالت عائشة رضي الله عنها: «ما أغبط أحداً يهون الله عليه الموت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: وكان عنده قدح من ماء، فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول: «اللهم أعني على سكرات الموت»، قال: وجعل يقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات».

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن المؤمن إذا حضره الموت بُشر برضوان من الله وكرامة، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، وأحب لقاء الله فأحب الله لقاءه». وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

عباد الله:

قال العلماء: (إن كان المعادي للولي إنما يعاديه من أجله دينه فينطبق عليه هذا الحديث ويكون مستحقاً حرب الله عليه، وإن كان من أمور الدنيا فشرطه إن لا يحمله على البغضاء وإلا يقع عليه هذا الحديث، فالمخاصمة جاءت بين المؤمنين كالصحابة والسلف والعلماء وهذا لا شيء فيه لبعدهم عن حصول البغضاء والكره والمقت).

قال الطوفي: (لما كان ولي الله من تولى الله بالطاعة والتقوى تولاه الله بالحفظ والنصرة، وأجرى الله العادة بأن عدو العدو صديق، وصديق العدو عدو، فعدو ولي الله عدو الله، فمن عاداه كان كمن حاربه، ومن حاربه فكأنما حارب الله).

وقال رحمه الله: (فأولياء الله تجب موالاتهم وتحرم معاداتهم، كما أن أعداءه تجب معاداتهم وتحرم موالاتهم).

عباد الله:

قال ابن رجب: (واعلم أن جميع المعاصي محاربة لله - تعالى -).
وقال الحسن: (ابن آدم هل لك بمحاربة الله من طاقة؟ فإن من عصى الله فقد حاربه، لكن كلما كان الذنب أقبح كانت المحاربة لله أشد، ولهذا سمي الله - تعالى - أكلة الربا وقطاع الطريق محاربين لله

- تعالى - ورسوله لعظم ظلمهم لعباده، وسعيهم بالفساد في بلاده،
وكذلك معاداة أوليائه فإنه - تعالى - يتولى نصره أوليائه ويحبهم
ويؤيدهم، فمن عاداهم فقد عادى الله - تعالى - وحاربه).
وقال الحسن البصري: ابن آدم هل لك بمحاربة الله من طاقة؟
فإن من عصى الله فقد حاربه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا
يَتَّقُونَ ﴿يونس: ٦٢-٦٣﴾.

بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله فضل من شاء من عباده، ورفع في الجنة منازل أحبائه، وبشرهم بجنة عرضها السماوات والأرض وما فيها من الزيادة، أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، المبعوث رحمة للعالمين، وحجة على الناس أجمعين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

عباد الله:

إن من آثار محبة الله للعبد: تسديد الله للعبد، وحفظ جوارحه عن المحارم والفضول، فلا يتصرف العبد بجوارحه إلا وفق الشرع. ومن آثار هذه المحبة الخاصة إجابته دعائه، وإعطائه سؤاله، وإعازته مما استعاذ منه.

وفي الحديث: أن معاداة أولياء الله من كبائر الذنوب لقوله ﷺ: «فقد آذنته بالحرب» أي قد اعلمته بأنني محارب له، فأولياء الله تجب موالاتهم وتحرم معاداتهم، كما أن أعداءه تجب معاداتهم

وتحرم مولاتهم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۖ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥: ٥٦] وقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١].

وهناك فرق بين الولاية والموالات، فالموالات إنما تثبت لأهل الإيمان، وأما كون العبد مولى لله فهذا يشمل المؤمنين والكفار، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [٦١] ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۖ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦١ - ٦٢].

وولاية الله لعبادة على نوعين:

النوع الأول: الولاية العامة، ومنها قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

والنوع الثاني: الولاية الخاصة وهي للمؤمنين المتقين، وهذه الولاية الخاصة للمؤمنين المتقين هي المذكورة في قوله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

والولاية لا تحصل إلا بطاعة الله ﷻ بفعل الواجبات وترك المحرمات، والتقرب بالنوافل، فمن ادعى أن ولاية الله تحصل بغير ذلك فهو كاذب في دعواه.

وفي: الحديث كرامة الله لأوليائه حيث كان الذي يعاديهم قد آذن الله بالحرب.

وفيه الترغيب في كثرة النوافل في قوله ﷺ: «ولا يزال عبدي يتقرب على بالنوافل حتى أحبه».

وفي الحديث: الوعيد الشديد لمن عادى ولياً من أجل طاعته لله ﷻ إما بكرهيتهم أو إيذائهم.
هذا وصلوا وسلموا.

الخطبة الأولى^(١)

٣٩

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۚ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠: ٧١].

(١) الحديث التاسع والثلاثون: «إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان».

أما بعد:

فإن خير الهدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

وأوصيكم ونفسي بتقوى الله فاتقوا الله - عباد الله - وراقبوه، وأطيعوا أمره ولا تعصوه. ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ولا تعصوه ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].
عباد الله:

أمة الإسلام هي خير وأكرم أمة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. وللنبي ﷺ علو قدر عند الله ﷻ وفضل على سائر الأمم. فقد أكرم الله ﷻ نبينا محمداً ﷺ في أمته بأن لا يؤخذ أحداً منهم ارتكب محظوراً أو ترك واجباً خطأ أو نسياناً لا يكون ذلك في حكمه تعالى أثماً.

فإن الله سبحانه وتعالى جعل أمة محمد ﷺ خير أمة أخرجت للناس، قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «جعلت

أمتي خير الأمم» [رواه أحمد] وقال ﷺ: «نكمل يوم القيامة سبعين أمة نحن آخرها وخيرها» [رواه ابن ماجه] وقال ﷺ: «أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها، واکرمها على الله تبارك وتعالى» [رواه أحمد].

وفي الحديث الصحيح أنه ﷺ قال: «أمتي هذه أمة مرحومة» ومن رحمة الله ﷻ بأمة محمد ﷺ هذا الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه».

روى ابن ماجه والبيهقي في السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه».

هذا حديث جليل، قال بعض العلماء ينبغي أن يُعد نصف الإسلام، لأن الفعل إما عن قصد أو اختيار أولاً، الثاني: ما يقع عن خطأ أو نسيان أو إكره، فهذا القسم معفو عنه باتفاق.

قال الطوفي رحمته الله: «هذا الحديث عام النفع، عظيم الموقع، وهو يصلح أن يسمى نصف الشريعة».

وفي هذا الحديث بيان سعة رحمة الله ﷻ ولطفه بعبادة وإن رحمته سبقت غضبه حيث رفع عنهم الإثم فيما ورد في الحديث.

«إن الله» تعالى «تجاوز لي» أي عفا وصفح. وقيل: رفع

المؤاخذه.

«تجاوز لي» لأجلي أي: من أجلي وتعظيم أمري «عن أمتي» أي

أمة الرسول ﷺ، وأمة الرسول أمتان: أمة دعوة، وأمة إجابة، الدعوة هم كل أنسي وجني من حين بعثة الرسول ﷺ إلى قيام الساعة، وأمة الإجابة: هم الذين وفقهم الله وهداهم للدخول في الدين وصاروا مسلمين. «الخطأ» وهو فعل الشيء من غير قصد.

«والنسيان» هو عدم ذكر الشيء لذهول أو غفلة، وهو معفو عنه،

وما سمي الإنسان إنساناً إلا من نسيانه.

أي لا إثم فيه، ولكن رفع الإثم لا ينافي أن يترتب على نسيانه حكم، كما أن من نسي الوضوء وصلى ظاناً أنه متطهر، فلا إثم عليه بذلك، ثم إن تبين له أنه كان قد صلى محدثاً، فإن عليه الإعادة. وهذا من سماحة الدين والرحمة أو عدم التحريم في الشريعة وسعة رحمة الله وأن رحمته سبقت غضبه حيث رفع عنهم الإثم في تلك الحالات.

قال ابن رجب: (والأظهر - والله أعلم - أن الناسي والمخطئ إنما

عُفي عنهما يعني رفع الإثم عنهما، لأن الإثم مرتب على المقاصد والنيات، والناسي والمخطئ لا قصد لهما، فلا إثم عليهما، وأما رفع الأحكام عنهما فليس مراداً من هذه النصوص).

ثم قال ﷺ: «وما استكروه عليه» أي على فعله أو قوله، فلا إثم على من صدر منه ذنب بالقهر والإجبار عليه.

وهذه الثلاثة أعمار شهد لها القرآن الكريم. أما الخطأ والنسيان فقد قال الله ﷻ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقال الله ﷻ: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦].

عباد الله:

والتجاوز الذي في الحديث إنما هو عن الإثم، يعني: كون الإنسان إذا أخطأ لا يَأْثَمُ، وإذا انسى لا يَأْثَمُ، وإذا فعل أشياء أكره عليها فإنه لا يَأْثَمُ، وأما الضمان في المتلفات فإن ذلك لا يسقط مثل: القتل خطأ، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ [النساء: ٩٢]. فالدية لازمة ولو كان ذلك خطأ، بل الدية إنما تكون في الخطأ.

ولما نزل قول الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ

يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ [البقرة: ٢٨٤].
شق ذلك على الصحابة رضي الله عنهم وقالوا: إن هذا شيء لا نطقه.

فقال: أتريدون أن تقولوا كما قالت بني إسرائيل. سمعنا وعصينا؟
قولوا: سمعنا وأطعنا، فلما قالوا وذلت بها ألسنتهم أنزل الله قوله
تعالى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ
ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ
رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ
﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥-٢٨٦]، فنسخت
قوله: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ ﴿٢٨٤﴾
[البقرة: ٢٨٤] ونسخ الله قوله ﴿أَوْ تُخَفُّوْهُ﴾ وسامحهم عما وقع في
النفوس في قوله ﷺ في الحديث: «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت
به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم» فما كان من وساوس الصدر فهو
معفو عنه ما لم يعمل العبد أو يتكلم، لكن إذا استقر في القلب وصار
عملاً يؤاخذ به الإنسان، إذا استقر في قلبه من المنكر، ومن الكبر
والخيلاء أو نفاق أو غير هذا من أعمال القلوب الخبيثة يؤخذ به
الإنسان، أما إذا كان عوارض تخطر في البال، ولا تستقر، فالله لا
يحاسب عليها، بل من فضله وجوده وكرمه يتجاوز عنها، فقوله
سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ

يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴿ هذا بالنسبة إلى المستقر في القلوب، المقيم في القلوب من أعمال القلوب يؤاخذ عليه الإنسان، من نفاق ورياء وكبر وغير هذا من أعمال القلوب، واعتقادات باطلة سواء أظهرها أو أخفاها فهو مؤاخذ بها.

قال شيخ الإسلام: (وإذا ثبت بالكتاب المفسر بالسنة أن الله قد غفر لهذه الأمة الخطأ والنسيان، فهذا عام عمومًا محفوظًا، وليس في الأدلة الشرعية ما يوجب أن الله يعذب من هذه الأمة مخطئًا على خطئه، وإن عذب بالمخطئ من غيره هذه الأمة.

وقال الشيخ ابن عثيمين: (للتكليف موانع منها: الجهل والنسيان والإكراه، لقول النبي ﷺ: «**إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**» [رواه ابن ماجه والبيهقي] وله شواهد من الكتاب والسنة تدل على صحته، فالجهل: عدم العلم، فمتى فعل المكلف محرماً جاهلاً بتحريمه فلا شيء عليه.

والنسيان: زهول القلب عن شيء معلوم، فمتى فعل محرماً ناسياً فلا شيء عليه، كمن أكل في الصيام ناسياً، ومتى ترك واجباً ناسياً فلا شيء عليه حال نسيانه، ولكن عليه فعله إذا ذكره لقول النبي ﷺ: «**من نسي صلاة فليصها إذا ذكرها**».

وهذا كله فيما يتصور فيه الجهل والنسيان، وأما ما لا يتصور فيه ذلك كسب الدين مثلاً فلا يكون عذراً لفاعله، كما أن الجهل الذي يعذر به وكذا النسيان هو الجهل بالحكم الشرعي وأما الجهل بالعقوبة مع العلم بالتحريم فلا يؤثر ولا يكون عذراً.

ثم قال رحمه الله تعالى: (هناك فرق بين الجهل بالحكم وبين الجهل بالعقوبة، فالجهل بالعقوبة لا يعذر به الإنسان، والجهل بالحكم يعذر به الإنسان، ولهذا قال العلماء: (لو شرب مسكراً يظن أنه لا يسكر، أو يظن أنه ليس بحرام فإنه ليس عليه شيء، ولو علم أنه مسكر وأنه حرام، ولكن لا يدري أنه يعاقب عليه، فعليه العقوبة ولا تسقط عنه).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾

[الحج: ٧٨].

بارك الله لي لكم..

الخطبة الثانية

الحمد لله، حمداً طيباً كثيراً، وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً، من ركن إليه كفاه وآواه، واكتنفه وحماه، وكفى بالله وكيلاً، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واذكروا وقوفكم بين يديه، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

عباد الله:

ربنا ﷻ هو الرحمن الرحيم، وهو أرحمن الراحمين، الذي وسعت رحمته كل شيء، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والأنس والبهائم والهوام، فيها يتعاطفون، وبه يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولده، وأخر الله تسعاً وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة».

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي، فإذا امرأة من السبي تبتغي، إذا وجدت صبياً في السبي، أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟» قلنا: لا والله، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها» [متفق عليه].

ومن رحمة الله بعباده إرسال الرسل وإنزال الكتب والشرائع لتستقيم حياتهم على سنن الرشاد والهدى بعيداً عن الضنك والعسر والضيق، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ورحمته تعالى هي التي تدخل عباده المؤمنين الجنة يوم القيامة، ولن يدخل أحد الجنة بعمله كما قال عليه الصلاة والسلام: «لن يدخل أحداً عمله الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «لا، ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمه، فسدوا وقاربوا، ولا يتمنين أحدكم الموت، إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً، وإما مسيئاً فلعله أن يستعذب» [رواه البخاري ومسلم].

وعلى المؤمن أن يبقى على رجاء رحمة الله والخوف من عقابه فهو القائل عليه السلام: ﴿نَبِيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٤٩] وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ [الحجر: ٤٩-٥٠].

وعلى المسلم أن يعلم عظم فضل الله عليه بمضاعفة الحسنات والتجاوز عن الزلات وفيسارع إلى التوبة ويكثر من الاستغفار ونوافل العبادات عسى الله أن يرحمه ويختم له بخير.

وفي الحديث: بيان سعة رحمة الله ولطفه بعباده.

وفيه: أن جميع المحرمات في العبادات وغير العبادات إذا فعلها الإنسان جاهلاً أو ناسياً أو مكرهاً فلا شيء عليه فيما يتعلق بحق الله، أما حق آدمي فلا يعفى عنه من حيث الضمان، وإن كان يُعفى عنه من حيث الإثم.

هذا وصلوا وسلموا...

الخطبة الأولى^(١)

٤٠

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنتهدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، أرسله للناس كافة بشير ونذيراً، صلى الله عليه وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى.
أيها المسلمون:

روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِمَنْكِبِي، وَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ». وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَتَنَظَّرُ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَتَنَظَّرُ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ».

هذا الحديث جامع لمعاني الخير وأشرفه، فيه الحث على التفرغ من هموم الدنيا والاشتغال بأمور الآخرة.

(١) الحديث الأربعون: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل».

قال المناوي: (وهذا الحديث أصل اعظيم في قصر الأمل، وألا يتخذ وطناً وسكناً، بل يكون فيها على جناح سفر مهياً للرحيل، وقد اتفقت على ذلك وصايا الأمم، وفيه حث على الزهد، والإعراض عن الدنيا).

وهذا الحديث أصل جامع لأنواع الخير، وفيه الابتداء بالنصيحة والإرشاد لمن يطلب ذلك، وتحريضه ﷺ إيصال الخير لأمته، فإن هذا الكلام لا يخص ابن عمر وحده.

وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: **(أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي)** يعني أمسك بهما، لأجل أن يسترعي انتباهه ليحفظ ما يقول والمنكب: هو مجمع العضد والكتف.

«فقال» له النبي ﷺ: **«كن في الدنيا»** أي في مدة إقامتك بها، **«كأنك غريب»** أي؛ مُشبهاً به، بألا تركز إليها وتطمئن فيها.

قال ابن هبيرة: (أن رسول الله ﷺ حض على التشبه بالغريب، لأن الغريب إذا دخل بلدة لم ينافس أهلها في مجالسهم، ولا يجزع أن يرى على خلاف عادته في الملبوس، ولا يكون متدابراً معهم).

«أو عابر» أي مسافر **«سبيل»** أي طريق، والمسافر همه قطع المسافة إلى مقصده، لا ينفذ في سفره إلا بقوته وتخفيفه من الأثقال،

غير متشبث بما يمنعه عن قطع سفره، معه زاده وراحلته يبلغانه على ما يعنيه من مقصده، وفي هذا إشارة إلى إثارة الزهد في الدنيا، وأخذ البلغة منها، والكفاف، فكما لا يحتاج المسافر على أكثر مما يبلغه غية سفره، فكذلك المؤمن لا يحتاج في الدنيا إلى أكثر مما يبلغه المحل).
عباد الله:

عندما نتأمل في حقيقة هذه الدنيا، نعلم أنها لم تكن يوماً دار إقامة، أو موطن استقرار، ولئن كان ظاهرها يوحي بنضارتها وجمالها، إلا أن حقيقتها فانية ونعيمها زائل، كالزهرة النضرة التي لا تلبث أن تذبل ويذهب بريقها.

تلك هي الدنيا التي غرت الناس، وألهتهم عن آخرتهم، فاتخذوها وطناً لهم ومحلاً لإقامتهم، لا تصفو فيها سعادة، ولا تدوم فيها راحة، ولا يزال الناس في غمرة الدنيا يركضون، وخلف حطامها يلهثون، حتى إذا جاء أمر الله انكشف لهم حقيقة زيفها، وتبين لهم أنهم في غفلة ساهون، وصدق الله العظيم ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

قال داود الطائي: (إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة، حتى ينتهي ذلك بهم على آخر سفرهم، فإن استطعت أن

تقدم في كل مرحلة زادًا لما بين يديها فافعل، فإن انقطاع السفر عما قريب، والأمر أعجل من ذلك، فتزود لسفرك، واقض ما أنت قاض من أمرك).

عباد الله: أصل حياة المسلم في الدنيا قصر الأمل والاستعداد بحسن العمل، فإن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطنًا ومسكنًا يطمئن فيها فإنها دار ممر، والآخرة هي دار المقر، ولهذا قال ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»؛ لأن الغريب إذا دخل بلدة لم ينافس أهلها، ولا يلج معهم في الخصومات، وكذلك عابر السبيل لا يأخذ معه في سفره ما يثقله ويعوقه عن بلوغ وطنه، بل يكتفي بأقل زاد ومتاع.

وقد بين تعالى حال الدنيا فقال: ﴿يَقَوْمٍ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوةُ ٱلدُّنْيَا مَتَّعْ وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩]. وقال ﷺ: «مالي وللدنيا؛ إنما مثلي ومثل الدنيا كمثلي ركب قال في ظل شجرة في يوم صائف ثم راح وتركها» [رواه أحمد]. فإن المؤمن في الدنيا كالغريب، وهو النازل في غير وطنه، يعد العدة للرحيل والعودة، ولا يعنيه ما يعني أهل الوطن، ولا يبالى بقله من يعرف. قال المسيح عيسى بن مريم؛ لأصحابه: (اعبروها ولا تعمروها).

وكان علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: (إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل).

ودخل رجل على أبي ذر، فجعل يقلب بصره في بيته. فقال يا أبا ذر أين متاعكم؟ فقال: إن لنا بيتاً نتوجه إليه. فقال: إنه لا بد لك من متاع ما دمت هاهنا. فقال: إن صاحب المنزل لا يدعنا ههنا. أيها المسلمون:

قال الحسن: المؤمن كالغريب لا يجزع من ذلها، ولا ينافس في عزها، له شأن وللناس شأن. وقال ابن القيم رحمه الله تعالى:

فحى على جنات عدن فإنها منازل الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبى العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم
وكان عطاء السلمي يقول في دعائه: اللهم ارحم في الدنيا غربتي، وارحم في القبر وحشتي، وارحم موقفي غداً بين يديك.
وقال بعضهم:

ترحل عن الدنيا بزاد من التقى فعمرك أيام وهن
وما أقبح التفريط في زمن الصبا فكيف به والشيب للرأس

قال المروزي: قيل لأبي عبد الله: أي شيء الزهد في الدنيا؟ قال:
(قصر الأمل، ومن إذا أصبح قال لا أمسي).

وقال أبو بكر المزني: (إن استطاع أحدكم أن لا يبيت إلا وعهده
عند رأسه مكتوب فليفعل، فإنه لا يدري لعله أن يبيت في أهل الدنيا
ويصبح في أهل الآخرة).

وقال بعض السلف:

إنَّ لنفـرح بالأيـام نقطـعها وكل يوم مضى يدني من الأجل
فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدًا فإنما الربح والخسران في العمل

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا
أصبحت فلا تنتظر المساء) حظًا منه على أن يجعل الشخص الموت
بين عينيه، فيشتغل بالعمل الصالح، وأن يقصر الأمل، ويترك غرور
الدنيا، ويبادر إلى العمل، لأن المرء لا يدري متى يصل إلى وطنه
صباحًا أو مساءً، فهو إذا أمسى في غربته لا ينتظر الصباح، وإذا أصبح
لا ينتظر المساء، وهذا المعنى لا يدل على ترك الرزق وتحريم
ملذات الدنيا، بدليل فعل النبي ﷺ وصحابة الكرام، لكن المراد
الاستفادة من الأوقات والإيقاظ من الغفلات وترك الملهيـات.

قوله: **(وخذ من صحتك لمرضك)**، يعني: اغتتم الأعمال الصالحة قبل أن يحال بينك وبينها بمرض يمنع من العمل. لأنه لا بد للإنسان من الصحة والمرض، فينتفع أيام صحته، وينفق ساعاته فيها بما يعود عليه نفعه.

«ومن حياتك لموتك» تنبيه على اغتنام أيام حياته لأن من مات انقطع عمله وفات أمله.

وفي صحيح البخاري عن النبي ﷺ قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ».

وفي صحيح الحاكم عن ابن عباس بأن رسول الله ﷺ قال لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ ٥٤ ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بِغَتَّةٍ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ٥٥ ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتُنِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ ٥٦ أَوْ تَقُولَ لَوْ

أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ [الزمر: ٥٤-٥٨].

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون: ٩-١١].

وقد ذم الله الأمل وطوله، قال تعالى: ﴿ذَرَهُمْ يَآكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهُمْ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣].

وقال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (خط النبي ﷺ خطوطاً، فقال: «هذا الإنسان، وهذا الأمل وهذا الأجل، فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب» [رواه البخاري]).

وفي هذا تنبيه على تقصير الأمل واستقصار الأجل خوف بغتته، ومن غيب عنه أجله فهو جدير بتوقعه وانتظاره خشية هجومه عليه في حال غرة وغفلة.

وهذا الحديث لا يدل على ترك السعي في الأرض لطلب الرزق
وتحريم ملذات الدنيا. بل يستعد المسلم للموت بصلاح دينه ودنياه.
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا
لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فسادًا﴾ [القصص: ٨٣].
بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جعل الدنيا مزرعة الآخرة، ووفقنا فيها إلى الهدى والرشاد، وجعلنا من أمة محمد ﷺ. أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

اتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

المؤمن الحق كيس فطن، ذكي زكي، موفق معان، ولذلك يحرص على فعل الخيرات واغتنام فرصة الحياة الدنيا لنيل الحسنات ورفع الدرجات والتقرب إلى رب البريات.

وقد أمرنا ربنا ﷻ بذلك في آيات كثيرة من كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وسئل رجل النبي ﷺ أي الصدقة أعظم أجرا؟ قال: «أن تصدق وانت صحيح صحيح تخش الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم، قلت لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان» [رواه البخاري].

فسارعوا عباد الله إلى التوبة النصوح واستدركوا ما فات من الأوقات فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له من مرض أو شغل أو موت يقطعه عن الدنيا. والسعيد من وعظ بغيره.

عباد الله:

ينبغي للمؤمن أن يتخذ من مرور الليالي والأيام عبرة لنفسه، فإن الليل والنهار يلبيان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويطويان الأعمار، ويشيبان الصغار ويغنيان الكبار، وكان على بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: (إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل).

وقال الحسن: (إن المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله عز وجل،
وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا،
وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير
محاسبة) فاتقوا الله وأصلحوا أحوالكم وتفقدوا أمركم وأسحنوا
على أنفسكم.

وفي الحديث: التزهيد في الدنيا وأن لا يتخذها الإنسان دار إقامة.
وفيه: حسن تعليم النبي ﷺ بضرب الأمثال المقنعة.
وفيه: أنه ينبغي للعاقل مادام باقيًا والصحة متوفرة أن يحرص على
العمل قبل أن يموت فينقطع عمله.
هذا وصلوا.

الخطبة الأولى^(١)

٤١

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه، يليق بجلاله وعظمة سلطانه،
جعل التوحيد دليلاً على مرضاته، وحادياً إلى جناته، فأكرم به
صاحباً للعبد من ولده إلى مماته، ومنجياً له من عذاب القبر
وظلماته، والصلاة والسلام على نبينا محمد رسول الله، خير خلق
الله ودعائه. وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى
يوم القيامة.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - وأصلحوا العمل ﴿فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥].
أيها المسلمون:

جاء في الحديث عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ
تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ» [حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح].

(١) الحديث الحادي والأربعون: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به».

عباد الله: راوي هذا الحديث هو عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه الإمام الحبر العابد، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن صاحبه، كان من فضلاء الصحابة وعبادهم وزهادهم، يصوم النهار ويقوم الليل، توفي في مكة سنة خمس وستين من الهجرة، عن اثنتين وسبعين سنة. وهذا الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو حديث عظيم نافع وجيز، جامع لأفراد الشريعة، لإفادته أن من كان هواه تبعًا لجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فهو المؤمن الكامل، ومن أعرض عن جميع ما جاء صلى الله عليه وسلم ومنه الإيمان فهو كافر.

وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: «**لا يؤمن أحدكم**» أي لا يؤمن الإيمان الكامل، وليس المراد به نفي الإيمان بالكلية. «**حتى يكون هواه**» أي حبه وميله «**تبعًا**» أي تابعًا. «**لما جئت به**» من الشريعة المطهرة، فلا يلتفت إلى غيرها.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وفي هذا الحديث ترسيخ النفوس المؤمنة إلى الإنقياد لأحكام الشرع وتعاليمه، وبيان وجوب الالتزام والإذعان لأحكامه وشرائعه، فإن المؤمن إذا رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً حملته ذلك على أن يحكم الشرع في حياته، فيحل حلاله، ويحرم حرامه، ويحب ما دعا إليه، ويبغض ما نهى عنه، ولا يجد في ذلك ضيقاً ولا تبرماً، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقد ذم الله ﷻ من كره ما أحبه الله، أو أحب ما كرهه الله، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

عباد الله:

محبة الإنسان للخلق تتفاوت، فهناك المحبة الطبيعية كمحبة الإنسان لأولاده وأبويه وهذه المحبة لا يلام عليها، وأن تحب مسلماً لأنه نفعك دينياً أو نفعاً دنيوياً، فتحبه ويميل قلبك إليه لحسن عمله وخلقه، وهذا كله لا ينافي محبة الإيمان. المحبة الثالثة: أن تحب الإنسان لصلاحه ولتقاه ولعبادته واستقامته والتزامه بأمور الله

ﷺ، مع أنه ما نفعتك في دنياك، ولا شفع لك ولا أهدى لك فهذه
محبة دينية، وهي التي يجد بها المرء حلاوة الإيمان. قال معاذ
(الحب في الله أن لا يزيد في حالة البر، ولا ينقص بالجفاء).

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال:

«ثلاث» أي؛ من خصال، أو ثلاث خصال. «من كن فيه» أي؛
وجدن منه تامة واتصف بهن. «وجد بهن حلاوة الإيمان» وجد: أي؛
بسببهن.

قال النووي: (المراد من حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات
وتحمل المشاق في الدين وإيثار ذلك عن أعراض الدنيا، تحصل
بفعل طاعته وترك معصيته، وكذا الرسول).

وقال ابن عثيمين: (حلاوة يجدها الإنسان في قلبه، ولذة
عظيمة لا يساويها شيء، يجد انشراحًا في صدره، رغبة في الخير،
حبًا لأهل الخير، حلاوة لا يعرفها إلا من ذاقها بعد أن حُرّمها).

قال العلماء - رحمهم الله -: (معنى حلاوة الإيمان: استلذاذ
الطاعات، وتحمل المشقات في رضا الله ﷻ ورسوله ﷺ، وإيثار
ذلك على عرض الدنيا، ومحبة العبد ربه - سبحانه وتعالى - بفعل
طاعته، وترك مخالفته، وكذلك محبة الله ﷻ ورسوله ﷺ).

عباد الله:

الأمر الأول الذي يجذب به المرء حلاوة الإيمان كما قال النبي ﷺ: «أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» أي؛ أن يكون الله ورسوله أحب إليه من عداهما. وأن يقدم محبة الله ومحبة رسوله على محبة نفسه وولده وإخوته، وأهله وذويه وماله وأقاربه، وأسرته والناس كلهم، وذلك لأنه يعرف بأن الله - تعالى - هو ربه، وهو مالكة، وهو المتصرف فيه، فيحبه من كل قلبه، ويعرف أن النبي محمد ﷺ هو رسول الله إلى الثقلين، وهو الذي أنقذهم الله به من الضلالة والكفر والعصيان. فيحبه من كل قلبه، فيكون بذلك مقدماً لمحبة الله ومحبة رسوله على محبة كل شيء. فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه، أوجب له ذلك يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكرهه الله ورسوله، ويرضى بما يرضى الله ورسوله، ويسخط ما يسخطه الله ورسوله، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض، فإن عمل بجوارحه شيئاً يخالف ذلك، فإن ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله، أو ترك بعض ما يحبه الله ورسوله، مع وجوبه والقدرة عليه، دل ذلك على نقص محبته الواجبة، فعليه أن يتوب من ذلك، ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة.

وإذا أحب الله - تعالى - أحب عبادته وسارع إليها، أحب الصلاة والصوم والصدقة وغيرها من الطاعات، وتلذذ بها وداوم عليها وأكثر منها.

ومحبة النبي ﷺ اتباع أمره، واجتناب نهيه، ويتخذ أسوة وقدوة، ويدافع عن سنته وينشرها.

الأمر الثاني الذي يجد به المرء حلاوة الإيمان قوله ﷺ: «وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله» المرء هو؛ المسلم المؤمن، لأنه هو الذي يمكن أن يخلص لله في محبته.

قال ابن عثيمين: (تحب المرء لا تحبه إلا لله، ولا تحبه لقربة، ولا لمال ولا لجاه، ولا لشيء من الدنيا، إنما تحبه لله؛ ومحبة القرابة وما عداهم محبة طبيعية لكن إذا كان قريبك من عباد الله الصالحين، فأحبته فوق المحبة الطبيعية فأنت أحبته لله).

والأمر الثالث الذي يجد به حلاوة الإيمان قوله ﷺ: «وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن انقذه الله منه» الإنقاذ أعم من العصمة منه ابتداءً بأن يولد على الفطرة ويستمر، أو بالإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان كما وقع لكثير من الصحابة. فأمن ودخل في الإيمان والتزم بالطاعة وسلك طريقها سائلاً الله الثبات على دينه.

«كما يكره أن يعود في النار» أي؛ يرمى في النار؛ لأنه علم ووجد حلاوة الطاعة ونعيمها وأنسها.

عباد الله:

هذا الحديث أصل في وجوب اتباع ما جاء به الرسول ﷺ موافق لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النسا: ٦٥]. وسبب نزول هذه الآية: «أن الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان بينه وبين رجل من الأنصار خصومة في ماء فتحاكما إلى رسول الله ﷺ فقال: «اسق يا زبير وسرح الماء إلى جارك» - يحضه على المسامحة والتيسير - فقال الأنصاري: يا رسول الله يا رسول الله، أن كان ابن عمك، فتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال «يا زبير احبس الماء حتى يبلغ الجدر ثم سرحه» [رواه البخاري] وذلك أن رسول الله ﷺ كان أشار على الزبير بما فيه مصلحة الأنصاري بما قال: أي أغضبه استوعب للزبير حقه الذي يجب له. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده وأهله والناس أجمعين». وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال يحيى بن معاذ: (ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده).

وقال بعضهم:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه هذا لعمرى في القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

وفيه الفرق بين الهوى واتباع الهوى، فاتباع الهوى: هو الدوران معه، وإن خالف الأمر، فيكون مذموماً، والهوى: هو الرغبة في الشيء ومحبه، فإن وافق الأمر كان محموداً، وإن خالفه، كان مذموماً.

وجميع المعاصي تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله، وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه، قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء، وكذلك المعاصي إنما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ومحبة ما يحبه.

وكذلك حب الأشخاص: الواجب فيه أن يكون تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ، فيجب على المؤمن محبة الله ومحبة من يحبه الله من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ولهذا كان من علامات وجود حلاوة الإيمان أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، ويحرم موالاته أعداء الله، ومن يكرهه الله عموماً، وبهذا يكون الدين كله لله، ومن «أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان» [رواه أبو داود].

والمعروف في استعمال الهوى عند الإطلاق: أنه الميل إلى خلاف الحق كما في قوله ﷺ: «وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» [ص: ٢٦]. وقال: «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ» [النازعات: ٤٠-٤١] وقد يطلق الهوى بمعنى المحبة والميل مطلقاً، فيدخل فيه الميل إلى الحق وغيره، وربما استعمل بمعنى محبة الحق خاصة والانقياد

إليه، وسئل صفوان بن عسال: هل سمعت من النبي ﷺ يذكر الهوى فقال: سأله أعرابي عن الرجل يحب القوم ولم يلحق بهم، فقال: «المرء مع من أحب».

ولما نزل قوله ﷺ: ﴿لَا تَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥١]، قالت عائشة للنبي ﷺ: «ما أرى ربك إلا يسارع في هواك».

وقال عمر في قصة المشاركة في أسارى بدر: فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، وهذا الحديث مما جاء استعمال الهوى فيه.

بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله العظيم في شأنه، والدائم في سلطانه، أحمده - سبحانه - على جزيل برّه وإحسانه، وأشكره على سوابغ كرمه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تبلغ إلى رضوانه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أشاد منار الإسلام وأحكمه في بنيانه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأعوانه، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

والمحبة الصحيحة - عباد الله - تقتضي المتابعة والموافقة في حب المحبوبات وبغض المكروهات، قال ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].
وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال الحسن: قال أصحاب النبي ﷺ: يا رسول الله، إنا نحب ربنا حباً شديداً، فأحب الله أن يجعل لحبه علماً، فأنزل الله هذه الآية.
قال أبو يعقوب التهرجوري: (كل من ادعى محبة الله ﷻ، ولم يوافق الله في أمره فدعواه بطلالة، وكل محب ليس يخاف الله، فهو مغرور).
وقال يحيى بن معاذ: (ليس بصادق من ادعى محبة الله ﷻ ولم يحفظ حدوده).

قال وهيب بن الورد: بلغنا - والله أعلم - أن موسى عليه السلام، قال: يا رب أوصني؟ قال: أوصيك بي، قالها ثلاثاً، حتى قال في الآخرة: أوصيك بي أن لا يعرض لك أمرٌ إلا آثرت فيه محبتي على ما سواها، فمن لم يفعل ذلك لم أزكّه ولم أرحمه.

وفي الحديث من الفوائد: تحذير الإنسان من أن يُقدم على النصوص الشرعية شيئاً فلا يجوز له أن يقدم رغبة وهوى. قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وفيه: وجوب تحكيم الشريعة في كل شيء.

وفيه: أن الإيمان يزيد وينقص كما هو مذهب أهل السنة والجماعة.

هذا وصلوا وسلموا.

الخطبة الأولى^(١)

٤٢

الحمد لله الذي بعث محمدًا بالحق بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

عباد الله:

روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: «يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك، يا ابن آدم! إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لآتيتك بقرابها مغفرة».

(١) الحديث الثاني والأربعون: «يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني».

هذا حديث قدسي وهو مما يرويه الرسول ﷺ عن ربه من قوله،
 فهو من كلام الله، ولكن ليس له حكم القرآن.
 وفي هذا الحديث بيان أن رحمة الله واسعة، وفضله عظيم، وفيه
 بيان لأسباب حصول المغفرة، وفيه فضل التوحيد وعظم شأنه.
 وفي الحديث؛ عن أنس رضي الله عنه قال:
 سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله -تعالى-» هذا من
 الأحاديث القدسية التي يرويها النبي ﷺ عن ربه.
 «يا ابن آدم» المقصود به هنا: المسلم.
 «إنك ما دعوتني» أي؛ بمغفرة ذنوبك. و«ما» مصدرية ظرفية، أي؛
 مدة دعائك.
 «ورجوتني» بأن ظننت تفضلني عليك بإجابة دعائك وقبوله.
 والرجاء: تأميل الخير وقرب وقوعه.
 وفيه: أن الدعاء مع الرجاء موجب لمغفرة الله -تعالى-، لأن العبد
 إذا دعا الله ﷻ مستغفراً لذنبه، ويرجو من الله أن يغفر له، ومستحضراً
 أن فضل الله عظيم، وعظم رجاؤه بالله، وأيقن أن الله ﷻ سيغفر له،
 حصل له مطلوبه؛ لأن في ذلك إحسان الظن في الله وإعظام الرغبة
 بالله ﷻ.

«غفرت لك» أي؛ ذنوبك وسترتها عليك بعدم العقاب عليها في الآخرة. والمغفرة: غفر الشيء؛ بمعنى ستره، فهي ستر الذنب، وستر أثر الذنب في الدنيا والآخرة، ومن أسماء الله الغفور والغافر، ومن أسمائه التواب.

«على ما كان منك» من المعاصي وإن تكررت. «ولا أبالي» أي؛ لا أكثر بذنوبك ولا استكثرها وإن كثرت، إذ لا يتعظمني شيء، لأن الله - سبحانه وتعالى - عند حسن ظن عبده به. «يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء» يعني من كثرتها وتراكمها بلغت عنان السماء، أي؛ السحاب العالي. «ثم استغفرتني» أي؛ ثبت توبة صحيحة.

«غفرت لك ولا أبالي» وإن تكرر الذنب والتوبة في اليوم الواحد، والذنوب وإن تكاثرت وبلغت ما عسى تبلغ فتلاشت عند حلمه وعفوه، فإذا استقال منها العبد باستغفار غفرت، لأن طلب الإقالة من كريم، والكريم محل إقالة العثرات وغفر الزلات. عباد الله:

الدعاء هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له، وهو عبادة عظيمة، والله ﷻ أمرنا بالدعاء ووعدنا بالإجابة ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

والدعاء فيه قطع العلائق عن الخلائق وفيه اعتماد القلب على الله، والاستعانة به، وتفويض الأمور إليه وحده - سبحانه وتعالى -، بل إن الله ﷻ ليغضب حين يترك العبد سؤاله قال ﷺ: «من لم يسأل الله يغضب عليه» والله حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صغراً خائبين» [رواه ابن ماجه].

والدعاء سبب لانسراح الصدر وزوال الغم، وتفريج الهم، قال ﷺ: «من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تُسد فاقته، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله، فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل» والله ﷻ يقول: ﴿أَمَّنْ تُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].

عباد الله:

الدعاء ثمرته حاصلة قال ﷺ: «ما من مسلم يدعو بدعوه ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يُصرف عنه من السوء مثلها» قالوا: إذا نكثنا يا رسول الله! - أى من الدعاء، قال: «الله أكثر» وهذا مشروط بشرط، قال ﷺ: «ما لم يعجل قالوا يا رسول الله: ما عجلته؟ قال: يقول: «دعوت دعوت ولا أراه يستجاب لي».

ومن آداب الدعاء - عباد الله - أن يبدأ بالشثناء على الله، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ، ويتحرى أوقات الإجابة كالثلث الأخير من الليل، وبين الأذان والإقامة وحال السجود، وغيرها، وأن يكون متوضاً مستقبلاً القبلة، هذا كله مع البعد عن المحرمات واطابه المطعم.

ثم جاء في تنمة الحديث:

«يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض أي؛ بملء الأرض خطايا وذنوب. «خطايا» في حال كونك:

«ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً» و«ثم» في قوله «ثم لقيتني» هنا للتراقي في الإخبار، وأن عدم الشرك مطلوب أولي. فإن السبب الأعظم للمغفرة هو التوحيد، فمن فقداه فقد فقدها.

«لأتيتك بقرابها مغفرة» عبر بها للمشاركة، وإلا فمغفرة الله أعظم وأوسع من ذلك. يعني غفرت على عظم ذنوبك وكثرة خطاياك. والمغفرة: ستر الذنب والتجاوز عنه. وقراب الأرض ملؤها أو ما يقارب ملأها. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وفي الحديث: بيان سعة رحمة الله - تعالى - بعباده وإحسانه إليهم.

وفيه: أن الله ﷻ يحب من عباده أن يدعوه ويرجوه ويطلبوا منه المغفرة.

وفيه: أن الإيمان شرط في مغفرة الذنوب كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

وفيه أن التوحيد هو السبب الأعظم لتفريج الكربات في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١] هذه في الآخرة، وفي الدنيا ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

وفيه: إذا تاب العبد من ذنوبه توبة نصوحًا غفرها الله له، ولو كانت ملء الأرض أو بلغت عنان السماء.

وفيه: أن الاستغفار الكامل الذي يثمر المغفرة هو ما قارن عدم الإصرار، لأنه حينئذ توبة نصوح؛ أما مع الإصرار فمجرد دعاء. وفي هذا الحديث أصل في فضل التوحيد والدعاء والاستغفار وفيه بشارة عظيمة، وحلم وكرم عظيم، وما لا يحصى من أنواع الفضل والإحسان والرفقة والرحمة والامتنان.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء». وفي صحيح الحاكم عن جابر: «أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ وهو يقول: واذنوباه مرتين أو ثلاثاً. فقال له النبي: «قل اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي، ورحمتك أرجى عندي من عملي»، فقالها، ثم قال له: «عد» فعاد، ثم قال له: «عد» فعاد، فقال له: «قم قد غفر الله لك».

وقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]. وقال ﷺ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

عباد الله: وللتوبة ثلاثة شروط: الإقلاع عن المعصية، والندم على ما فات، والعزم على أن لا يعود، وإن كانت حق آدمي فليبادر باداء الحق إليه والتحلل منه.

وقال الحسن: (أكثرُوا من الاستغفار في بيوتكم وعلى موائدكم وفي طرقكم وفي أسواقكم وفي مجالسكم وأينما كنتم، فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة).

وعن أبي هريرة مرفوعاً: «بينما رجل مستلق إذ نظر إلى السماء وإلى النجوم فقال: إني لأعلم أن لك رباً خالقاً اللهم اغفر لي فغفر له» [رواه ابن الدنيا].

وعن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبِوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبِوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» [رواه البخاري].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «إِنْ كُنَّا لَنَعْدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الْغَفُورُ» [أَخْرَجَهُ الْأَرْبَعَةُ].

وفي سنن أبي داود عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هِمٍّ فَرْجًا، وَمِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا، وَرِزْقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ».

قال قتادة: «إِنْ هَذَا يَدُلُّكُمْ عَلَى دَائِكُمْ وَدَوَائِكُمْ، فَأَمَّا دَاوُكُم فَالذُّنُوبُ، وَأَمَّا دَوَاءُكُمْ فَالْإِسْتِغْفَارُ».

وفي الدعاء المأثور: «اللهم إني أسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب».

وفي المسند عن شداد بن أوس وعبادة بن الصامت رضي الله عنهما: «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: «ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله» فرفعنا أيدينا ساعة، ثم وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم قال: «الحمد لله. اللهم بعثني بهذه الكلمة، وأمرتني بها، ووعدتني الجنة عليها، وإنك لا تخلف الميعاد»، ثم قال: «أبشروا فإن الله قد غفر لكم».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

بارك الله لي ولكم..

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي بيده مقاليد الأمور، وإليه يرجع الأمر كله، خلقنا ورزقنا، وآوانا وكسانا، وجعلنا في الناس خير أمة، أشهد أن لا إله إلا الله العلي العظيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي الأمين.

أما بعد:

ففي هذا الحديث من الفوائد: أن هناك ثلاثة أسباب يحصل بها العبد مغفرة الذنوب:

أحدها: الدعاء مع الرجاء، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

الثاني: أن من أسباب مغفرة الذنوب: الاستغفار، ولو عظمت الذنوب وبلغت من كثرتها عنان السماء وهو السحاب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

ويشترط في الاستغفار حضور القلب، مع الندم على ما مضى، والعزم على عدم العودة إلى الذنب.

السبب الثالث: من أسباب مغفرة الذنوب: إفراد الله بالعبادة، وهو التوحيد وعدم صرف شيء من العبادات لغير الله، ومن فقد التوحيد فإنه يفقد مغفرة الذنوب، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

عباد الله:

ومن أدعية نبينا ﷺ التي تعين في تفريج الكربات، وتقضى الحوائج ما رواه الترمذي عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له» وروى الشيخان عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض، ورب العرش الكريم» وروى الإمام أحمد عن علي بن أبي طالب قال: عملني رسول الله ﷺ إذا نزل بي كرب أن أقول: «لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين».

وروى أبو داود عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكني على نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله الا إليه إلا أنت».

وروى الترمذي عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ إذا كربه أمر قال: «يا حي يا قيوم برحمتك استغيث».

وفي الحديث: بيان شرف بني آدم.

وفيه: أن من دعاء الله ورجاه فإن الله تعالى يغفر له.

وفيه: أن الله تعالى يغفر الذنوب جميعاً مهما عظمت.

وفيه: فضيلة التوحيد وأنه سبب لمغفرة الذنوب.

هذا وصلوا وسلموا.

الخطبة الأولى^(١)

٤٣

الحمد لله أهل التقوى وأهل المغفرة، أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، أحمدُه - سبحانه - وأشكره، وأتوب إليه واستغفره؛ نعمه لا تحصى، وآلؤه ليس لها منتهى، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أخشى الناس لربه وأتقى، دل على سبيل الهدى وحذر من طريق الردى، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، معالم الهدى ومصابيح الدجى، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتفى إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم - ونفسي - بتقوى الله، فتقوى الله جماع الخيرات، وحصون البركات، أكثر خصال المدح ذكراً في كتاب الله، ما من خير عاجل ولا آجل، ولا ظاهر ولا باطن إلا والتقوى موصلة إليه،

(١) الحديث الثالث والأربعون: «ألحقوا الفرائض بأهلها».

ووسيلة له، ودليل عليه، وما من شر عاجل ولا آجل، ولا ظاهر ولا باطن إلا والتقوى حرز منه حصين ودرع منه مكين.
عباد الله:

المال قوام الحياة، وهو من زينة الدنيا التي ذكرها الله ﷻ في قوله: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]. وذكر ﷻ أنه مرغوب محبوب للإنسان في قوله ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨].

وهو من نعم الله التي ساقها إلينا ويسرها لنا قال ﷻ: «ما كسب الرجل كسباً أطيب من عمل يده» [رواه ابن ماجه]. ولأهميته ومكانته حذر ﷻ من إضاعته والعبث به وصرفه في غير وجهه الصحيح ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ [النساء: ٥].
عباد الله:

هذا الحديث أصل في قسمة الموارث، ولعظم أمرها وخوف التنازع والشقاق تولى سبحانه وتعالى قسمة الفرائض بنفسه في آيات كريمات، لا دخل للعباد فيها، فتولاها سبحانه بكل رحمة وعدالة وحكمة، فتولي العباد لهذه القسمة سيدخل فيها الظلم والهوى والمصالح الشخصية وحظوظ النفس وغيرها.

وهذا الحديث هو أول الأحاديث الثمانية التي زادها ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ،
فاكمل العدد خمسين على ما جمعه النووي في الأحاديث الأربعين.

روى البخاري ومسلم عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ
قَالَ: «الْحَقُّوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا أَبَقَتِ الْفَرَائِضُ فَلِأَوَّلَى رَجُلٍ ذَكَرَ».

والفرائض: جمع فريضة مفروضة، أي مقدرة، وسميت بذلك
لأن فيها تقدير لنصيب الورثة. ويسمى هذا العلم أيضًا المواريث
ومفرده ميراث، ومعناه لغة الانتقال، وشرعًا: هو انتقال المال
والحقوق من الميت إلى ورثته.

ويسمى أيضًا علم التركات وهي مأخوذة من الترك، لأن الميت
يترك ماله وحقوقه لورثته من بعده.

عباد الله:

أسبغ الله علينا نعمه ظاهرة وباطنه، فهدانا للإسلام وأتم علينا
النعمة، ووهبنا من الأموال والخيرات ما تقوم به حياتنا ومعاشنا
لينظر كيف نصنع به.

في الحديث «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع»
وذكر منها «وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه.» [رواه أحمد].

وبعد ممات الإنسان حفظ الله له المال بأن تولى قسمته بنفسه على أولى الناس به، فحدد الموارث وقسمها، وقال: ﴿أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١]. وأخبر أن هذه حدوده جل وعلا، وحذر من تعديها وتجاوزها فقال: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

وقال ﷺ: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث» [رواه أبوداود].

وهذا الحديث مشتمل على أحكام الموارث وجامع لها، والمراد بالفرائض هنا: الفروض المقدرة في كتاب الله. وقد ذكر الله ﷻ أحكام الموارث في ثلاث آيات من كتابه الكريم.

قوله ﷻ: «**أَلْحَقُوا الْفَرَايضَ بِأَهْلِهَا**». وفي رواية «اقسموا المال بين أهل الفرائض على كتاب الله» يشير إلى قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]. الآيتين. وقوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْوَالَهُمْ هَلَكٌ لِّسَنَ لَهُمْ وَلَهُمْ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ [النساء: ١٧٦]،

فاشتملت الآيات على ميراث الأولاد والوالدين والأزواج
والزوجات والإخوة والأخوات، فقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي
أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ
أُنثَيَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلَاثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾
[النساء: ١١] يشمل ميراث الأولاد ذكوراً كانوا أو إناثاً، ويدل على
ميراث الأب والأم قوله تعالى: ﴿وَلِلْأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا
الْسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ
أَبَوَاهُ فَلِلْأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِلْأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِنْ بَعْدِ
وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَأَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ
أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾
[النساء: ١١].

ثم بين ميراث الرجل من امرأته فقال: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ
أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ
فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ
دَيْنٍ﴾ [النساء: ١٢].

ثم بين ميراث المرأة من زوجها فقال: ﴿وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا
تَرَكَتُمْ إِنْ لَّمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ

الْثَّمَنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴿النساء: ١٢﴾.

ثم بين ميراث الإخوة من الأم فقال: ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٢].

ثم تواعد تعالى من تجاوز هذه الفرائض المقدرة فقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٣، ١٤].

وبين ميراث الإخوة من الأب في آخر السورة فقال: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَلَةِ إِنْ امْرَأَةٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦].

قوله ﷺ: «فما أبقت الفرائض فلاولى رجل ذكر»: أي: أقرب رجل من العصبه وهم البنوة، ثم بنوهم وإن سفلوا، ثم الأب ثم الجد وإن علا، ثم الأخ الشقيق، ثم الأخ من الأب، ثم بنوهم كذلك وإن سفلوا، ثم الأعمام، ثم بنوهم كذلك وإن سفلوا، ثم الأعمام، ثم بنوهم كذلك، ثم المولى المعتقد، ثم عصابته.

وفي الحديث: اشترك الرجال والنساء في الميراث، قال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧] خلافاً للجاهلية الأولى الذين يُخصّصون بالميراث الكبار من الرجال دون النساء والصغار وخلافاً لبعض القوانين المعاصرة التي تخص بالميراث الأكبر من الأولاد، أو تبيح للموروث التصرف في ماله كيف شاء.

عباد الله:

غمر الإسلام المرأة برحمته وفضله وحفظ لها حقوقها وحذر من ظلمها وأخذ حقها، ونرى ذلك واضحاً جلياً في قسمة الميراث فإن تفوق الرجل على المرأة في الميراث ليس في كل الأحوال، ففي بعض الأحوال تساويه، وفي بعض الأحيان تتفوق المرأة على الرجل في الميراث، وقد ترث الأنثى والذكر لا يرث.

وهناك عشر حالات ترث المرأة مثل الرجل، وعشر حالات أخرى ترث المرأة فيها أكثر من الرجل، وعشر حالات تحجب المرأة فيها الرجل وتأخذ الإرث كاملاً، وأربع حالات فقط وهي التي يكون فيها للذكر مثل حظ الأنثيين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَقُومُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].
بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي حكم فعدل، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، المصطفى الأمين، وإمام الموحدين وقائد المتوكلين، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فالموا التقوى فإنها حصن حصين، بها تنال السعادة في الدنيا، والفوز يوم العرض المبين.

أيها المسلمون:

حذر الشرع من الجور في الوصية، وعلى الموصي إن لا تزيد وصيته عن الثلث إلا باجازه الورثة لقول النبي ﷺ: «الثلث والثلث كثير» [رواه مسلم] وقال ﷺ لسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس».

عباد الله:

الظلم أمره عظيم، والله ﷻ حكم عدل، لا يرضى لعبادة الظلم؛ ومن أنواع الظلم تطليق الزوجة في حالة المرض أو قبله حتى لا

ترث، وكذلك ظلم البنات بحرمانهم من الميراث بأشكال وحيل متنوعة منها، جعل الأراضي والعقارات باسم الأولاد، أو جعل أعماله في شركة لكل ابن نصيب فيها دون البنات، أو عدم إعطاء النساء حقهن من الميراث أو التضييق عليهن ليتنازلن عن مال أو أرض أو غير ذلك مما هو حق لهن.

ومنها الوصية لوارث قال ﷺ في خطبة الوداع: «إن الله قد أعطى لكل ذي حق حقه فلا وصية لوارث». إلى غير ذلك من أوجه الحرمان المخالفة لما أمر الله ﷻ به

والجور في الوصية من علامات سوء الخاتمة لأن الإنسان يظلم في آخر أيام الدنيا ويقبل على الله بمعصية عظيمة وهي حرمان أهل الحقوق من حقوقهم التي قدرها الله ﷻ قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد: «إن الرجل ليعمل بطاعة الله سبعين سنة ثم يحضره الموت فيضار في الوصية فتجب له النار».

ويستحب لمن رأى موصياً يحيف في وصيته أن ينهاه لنهي النبي ﷺ عن الزيادة في الثلث. قال بعض أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا﴾

عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿ [النساء: ٩] هو أن يرى المريض يحيف على ولده فيقول له: اتق الله ولا توصي بمالك كله. وقد أوصى أبوبكر الصديق رضي الله عنه بالخمس، وقال: «رضيت مما رضي الله به لنفسه» يعني قول الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ [الأنفال: ٤١].

وعن الشعبي قال: (كان الخمس أحب إليهم من الثلث). وفي الحديث عن عامر بن سعد عن أبيه قال: (مرضت مرضاً أشفيت منه على الموت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني فقلت: يا رسول الله لي مال كثير وليس يرثني إلا ابنتي أفأوصي بالثلث؟) قال: «الثلث والثلث كثير، إنك إن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس» [متفق عليه]. وليجعل المسلم وصيته في الأقربين وواجه البر والخير حسب حاجة المسلمين. فاتقوا الله عباد الله وأدوا الحقوق إلى أهلها، وقدموا لأنفسكم. هذا وصلوا..

الخطبة الأولى^(١)

٤٤

الحمد لله، شرح بفضله صدور أهل الإيمان بالهدى، وأضل من شاء بحكمته وعدله، فلن تجد له ولياً مرشداً، أحمده - سبحانه - وأشكره، وأتوب إليه واستغفره، أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً فرداً صمداً، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، كرم أصلاً، وطاب محتداً، خصه ربه بالمقام المحمود وسماه محمداً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، هم النجوم بهم يهتدى، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتدى.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس - ونفسي - بتقوى الله تعالى، اتقوا الله، وأصلحوا قلوبكم وسرائركم تسعدوا. ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

(١) الحديث الرابع والأربعون: «الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة».

أيها المسلمون: راوية حديث الخطبة هي أم المؤمنين، الصديقة ابنة الصديق ابوبكر رضي الله عنه، حظيت بمكانة خاصة عند النبي صلى الله عليه وسلم، لم تحظ بها غيرها من أزواجه فكانت أحب نساءه إليه، كانت بحرًا زاخرًا، علمًا ودينا تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاة خديجة رضي الله عنها، وذلك قبل الهجرة ببعضه عشر شهرًا، وقيل بعامين ودخل بها في شوال سنة اثنتين، فروت عنه علمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وكانت أعلم الناس وأفقه الناس، وأحسن الناس رأيًا، قال الزهري: (لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل. توفيت سنة سبع وخمسين للهجرة وقيل سنة ثمان وخمسين ودفنت بالبقيع ليلاً بعد صلاة الوتر.

عباد الله:

أولادنا ثمرات قلوبنا، وفلذات أكبادنا، وزينة حياتنا، والأثر الصالح الذي نُذكر به إذا كانوا صالحين، وهم كسبنا، ودعائهم لنا من العمل الذي لا ينقطع بعد موتنا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» [رواه مسلم].

أيها الآباء: أوجب الله ﷻ على الآباء رعاية أولادهم والعناية بهم، ومن أعظم أسباب السعادة والخير في تربيتهم اختيار الزوجة الصالحة التقية النقية التي تعين وتقوم على رعايتهم، وقد أوصى النبي ﷺ بها فقال: «فاظفر بذات الدين تربت يداك» [رواه البخاري].

وفي الحديث الآخر قوله ﷺ: «تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم» [رواه ابن ماجه].

ومن حقوق الأولاد عباد الله الرضاعة الطبيعية، قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] قال ابن كثير: «هذا إرشاد من الله تعالى للوالدات أن يرضعن أولادهن كمال الرضاعة وهي سنتان، فلا اعتبار بالرضاعة بعد ذلك، ولهذا قال: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ وذهب أكثر الأئمة إلى أنه لا يحرم من الرضاعة إلا ما كان دون الحولين».

التحريم بالرضاع في أي سن؛ وعليه فإن رضاع الكبير يُحرّم، ولكن قيد إطلاق هذا الحديث بأحاديث صحيحة تدل على أنه لا يحرم من الرضاع إلا ما كان في الحولين، وما كان قبل الفطام؛ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنَ الْمَجَاعَةِ» [رواه البخاري ومسلم]، وقال عليه

الصلاة والسلام: «لَا يُحَرَّمُ مِنَ الرَّضَاعِ إِلَّا مَا فَتَقَّ الْأَمْعَاءُ، وَكَانَ قَبْلَ الْفِطَامِ» [رواه الترمذي] وفي حديث ابن عباس: «لَا رَضَاعَ إِلَّا فِي الْحَوْلَيْنِ» [رواه الدارقطني].

وقال القرطبي: (يرضعن خبر معناه الأمر على الوجوب، فواجب على الأم أن ترضع ولدها ما لم يكن ثمة مانع يمنعها) ومتى لم يتهيا ذلك للأم يبحث عن مرضعة ترضعه، ولا ينبغي للأمهات حرمان أطفالهن من الرضاع الطبيعي.

وعاتب الله ﷻ الأم في عدم إرضاعها لولدها حال الشقاق والفراق فقال: ﴿وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسَرِّضُوهُ لِهُوَ أُخْرَى﴾ [الطلاق: ٦]. ومن تعذر عليه الإرضاع من والدته لوفاها أو مرضها أو غير ذلك، فليختر له مرضعة طيبة.

وقد كره العلماء استرضاع الكافرة والفاسقة وسيئة الخلق، أو من بها مرضى معدٍ لأنه يسري إلى الولد، واستحبوا أن يختار المرضعة الحسنة الخلق والخلق فإن الرضاع يغير الطباع.

عباد الله:

والرضاع لغة: مص الثدي لاستخراج اللبن منه، وفي الشرع: إيصال اللبن على الطفل سواء عن طريق الثدي أو عن طريق الأبنوب، أو عن طريق الإناء العادي نحو ذلك.

والرضاع من رحمة الله تعالى، فالطفل في بطن أمه يتغذى بالدم عن طريق حبل السرة، ثم إذا انفصل عنه فإنه لا يستطيع أن يأكل ولا يشرب، فجعل الله له وعاءين مُعلقين في صدر الأم، واختار الله ﷻ أن يكون في الصدر لأن ذلك أقرب إلى القلب، ولأنه أقرب على كون الأم تحتضن الولد، وترق له وتحن عليه.

ولأهمية الرضاع وأثره الكبير في الطفل المرتضع، استحق الرضاع أن يختص ببعض الأحكام التي أوجبها الشرع في حقه، فالرضاع يشارك النسب في بعض الأمور والأحكام، فالرضاع حكمه حكم النسب في النكاح والخلوة، والمحرمة وجواز النظر.

روى البخاري ومسلم **عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الرَّضَاعَةُ تُحَرِّمُ مَا تُحَرِّمُ الْوَلَادَةُ».**

هذا الحديث من جوامع الكلم. وفي رواية: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب».

وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ۚ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ

الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِّنَ الرِّضْعَةِ وَأُمَّهتُ نِسَائِكُمْ
وَرَبَائِبُكُمُ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمُ
بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمُ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِّنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ
الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٢﴾
[النساء: ٢٢، ٢٣]. فكل هؤلاء يحرم من الرضاع كما يحرم من
النسب. قوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ أي: ما مضى في الجاهلية فهو
معفو عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِّنْ أَصْلَابِكُمْ﴾
احتراز من الأدعياء الذين كانوا يتبنونهم في الجاهلية كما قال تعالى:
﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ
وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧]. فتحرم على الرجل
حلائل أبنائه وأبناء أبنائه وإن سفلوا من الرضاع والنسب، وكذلك
حلائل أبيه وأجداده وإن علوا.

وينبغي أن يعلم أنه يترتب على التحريم عدد من المسائل، من ذلك
مثلاً ما يتعلق بمسائل الحجاب، فإن التحريم في النكاح على نوعين:

الأول: تحريم دائم: يجعل المرء محرماً للمرأة، ويجيز للمرأة أن تكشف لذلك الرجل.

والثاني: تحريم مؤقت: كتحريم أخت الزوجة، فمثل هذا لا يثبت أحكام المحرمية فليس الزوج محرماً لأخت زوجته، ولا يحل لها أن تكشف أمامه.

عباد الله: لا يترتب على الرضاعة قرابة، فليس بين الرضيعين رحم، سئل الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله تعالى -: هل تجب صلة الأقارب من الرضاع؟ قال: لا». ويبقى الإحسان وحسن الخلق وطيب العشرة معهم.

وكذلك لا يرث الأخوة والأخوات من الرضاع وكذلك الأم الراضع لا يرثون المتوفي.

قال النووي: (أجمعت الأمة على ثبوت حرمة الرضاع بين الرضيع والمرضعة، وأنه يصير ابنها، يحرم عليه نكاحها أبداً، ويحل له النظر إليها والخلوة بها والسفر بها).

ثم قال رحمه الله: (ولا يترتب عليه أحكام الأمومة من كل وجه، فلا يتوارثان، ولا يجب على كل واحد منهما نفقة الآخر، ولا يعتق عليه بالعتق، ولا ترد شهادته لها، ولا يعقل عنها، ولا يسقط عنها القصاص بقتله، فهما كالأجنبيين في هذه الأحكام).

وإذا كان هذا بالنسبة للأم من الرضاع فمن باب أولى الأخوة والأخوات.

ومن فوائد هذا الحديث: إن الإرضاع في التحريم كالنسب فيما يتعلق بتحريم التناكح وتوابعه، والجمع بين الأختين ونحوه وتنزيلهم منزلة الأقارب في حل النظر والخلوة والسفر، لا باقي الأحكام كالتوارث والولاية والإنفاق ونحو ذلك.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَكَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمَ فَسَرِّضُوا لَهُنَّ آخَرَىٰ﴾ [الطلاق: ٦].
بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حكم فعدل، واعطى فأجزل، ووهب فأكرم، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

قال الله ﷻ ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٢٢) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَأَرْضَعَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ^{٢٣} إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا

[النساء: ٢٢، ٢٣].

وعلى ذلك: فالمحرّمات من النسب سبع بنص القرآن، ومثلهنّ
المحرّمات من الرضاع؛ لهذا الحديث وغيره، وقد نصّ في الآية على
الأمّ والأخت من المحرّمات من الرضاع.
وأما المحرّمات بالمصاهرة، فأربعٌ مذكورة في الآيتين.
عباد الله:

إنّ المطلق الرضاعة يحرم ولو رضة واحدة، وقد اختلف الناس
في مقدار الرضاع المحرم؛ ولهم في ذلك ثلاثة أقوال:
أحدها: أنه يحرم الرضة الواحدة؛ للإطلاق في حديث ابن
عبّاس: «يُحْرَمُ مِنَ الرَّضَاعِ، مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ» [متفق عليه]، وحديث
عائشة لهذا، وللإطلاق في الآية، في قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي
أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضْعَةِ﴾ [النساء: ٢٣].
الثاني: لا يحرم إلا ثلاث رضعات؛ لحديث: «لا تحرم الرضة أو
الرضعتان، أو المصة أو المصتان» [رواه مسلم].

الثالث: لا يحرم إلا خمس رضعات؛ لحديث عائشة رضي الله عنها: «كَانَ فِيْمَا
أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ: عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَّعْلُومَاتٍ يُحْرَمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمْسٍ
مَّعْلُومَاتٍ» [رواه مسلم]؛ وهذا قول كثير من أهل العلم؛ وهو الصواب.
وقد اختلفت العلماء في المراد بالرضعة:

ف قيل : المَصَّةُ .

وقيل : الإِمْلاجةُ ، وهي : أن يَرْتَضِعَ فيقَطَعَ للتنفُّس .

وقيل : أن يَرْتَضِعَ حتَّى يَتْرُكَهُ باختيارِهِ مِنْ غيرِ عارض .

وقيل : هي الرِّضْعَةُ المُشْبَعَةُ ؛ بمنزلةِ الوجبةِ من الطعام ؛ وهذا أقربُ

الأقوالِ وأحوطُها في ثبوتِ التحريمِ والمَحْرَمِيَّةِ ، وما دُونَ ذلك ، فهو

شُبْهَةٌ ينبغي الاعتمادُ عليها في تحريمِ النكاحِ ، دُونَ ثبوتِ المَحْرَمِيَّةِ ،

احتياطًا للتحريمِ مِنَ الجانبَيْنِ ؛ فَمَنْ رَضَعَ خَمْسَ رَضَعَاتٍ

مُشْبَعَاتٍ ، فقد ثَبَتَ بهذا الرضاعِ تحريمُ النكاحِ ، وثبوتُ المَحْرَمِيَّةِ .

هذا وصلوا وسلموا .

الخطبة الأولى^(١)

٤٥

الحمد لله وحده؛ ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، أظهر به دينه على الدين كله ولو كره المشركون، تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله -، وحاسبوا أنفسكم قبل موقف الحساب، فإن عليكم كرامًا كاتبين، والله - تعالى - أسرع الحاسبين: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

(١) - الحديث الخامس والأربعون: «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر».

عباد الله:

إن من صفات النبي ﷺ في الكتب السابقة وعلى السنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أنه الذي يحل الطيبات ويحرم الخبائث، وهذا تشريع عام في المآكل والمشارب، والملابس وغير ذلك. وهذا قاعدة كبيرة تحافظ على كل طيب، وتنفي كل خبيث، كما أنها معتمد لكل ما جدد وطراً ليقاس بمقياسها الصحيح وهذا من كمال الشريعة، ومن عناصر البقاء والخلود فيها، فإنها جاءت بشرائع وأحكام لتحقيق مقاصد عظمى بعد توحيد الله وعبادته، فالتشريع دائر على حفظ الدين، وعلى حفظ العقل، وعلى حفظ المال، وعلى حفظ العرض، فالشريعة جاءت بمنع كل ما يفسد الأديان، ويهلك النفس، ويعطل العقول، ويهتك الأعراض، ويتلف الأموال، فكل ما كان سبباً لنقص في شيء من هذه الأمور الخمسة: الدين، النفس، والعقل، والعرض، والمال، فإن الشريعة نهت عنه. وكل ما يقوى ويعزز هذه الأصول الخمسة فجاءت الشريعة أمر به وحائثه عليه، ومشرفة له. وقد جاءت نصوص كثيرة تبين أن المحرمات معدودة ومحصورة، وأما المباحات فمسكوت عنها رحمة بنا، ولكثرتها. ومن هذه النصوص هذا الحديث:

روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو بمكة يقول: «إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ فَإِنَّهَا يُطْلَى بِهَا السُّفْنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ، وَيَسْتَصْبَحُ بِهَا النَّاسُ؟ فَقَالَ: لَا، هُوَ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عِنْدَ ذَلِكَ: قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمُ الشُّحُومَ، فَأَجْمَلُوهُ، ثُمَّ بَاعُوهُ، فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ».

عباد الله:

هذا الحديث أصل في النهي عن بيع المحرمات، وأكل ثمنها. وهذا من كمال الشريعة فإنها حرمت كل ما يضر بالإنسان في دينه وعقله ونفسه وماله.

وفي الحديث أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه (سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح)، هو فتح مكة وكان في السنة الثامنة من الهجرة في شهر رمضان. يقول: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ) قال القرطبي: (إنه صلى الله عليه وسلم تأدب فلم يجمع بينه وبين اسم الله في ضمير الاثنين). (والميتة والخنزير والأصنام).

ومما ورد في الحديث هذه الأشياء الأربعة المعدودة. الأولى: (الخمير): وهي كل ما أسكر وخامر العقل، وهي أم

الخبائث التي بها تزول عن الإنسان نعمة العقل التي كرمه الله بها، ويأتي في حال سكره ولهوه بأنواع المنكرات والعظائم، وإشاعة العداوة والبغضاء بين المسلمين والصد عن الخير وعن ذكر الله، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

وقد ورد في الحديث عنه ﷺ أنه قال: «لعن الله الخمر وبائعها ومشتريها، وشاربها وساقها، وعاصرها ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه، وأكل ثمنها» [رواه الترمذي].

وعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى حرم الخمر، فمن أدركته هذه الآية وعنده منها شيء فلا يشرب، ولا يبع» [رواه مسلم].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كل مسكر حرام، وما أسكر الفرق فملاء الكف منه حرام» [رواه أبو داود والترمذي].
ومع وضوح ضررها الديني والدنيوي إلا أن الفاسدين يزينون للجاهلين شرب الخمر ويسمونها بغير إسمها، فيسمونها مشروبات روحية وقد قال صلى الله عليه وسلم: «ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها» [رواه البخاري].

الثانية: **(الميتة)** التي لم تمت - غالباً - إلا بعد أن تسممت بالأمراض والأوبئة، أو احتقن دمها في لحمها فأفسده، فأكلها مضرة على البدن، وهدم للصحة. ومع هذا فهي جيفة خبيثة نتنة بخسه، تعافها النفوس وتكرهها.

الثالث: **(الخنزير)** وهو أخبث الحيوانات وأكرهها وأبشعها، وهو قدر نجس. وقد وردت جملة من الآيات في تحريم الخنزير ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ [المائدة: ٣] وغيرها من الآيات.

الرابع: **(الأصنام)** وهي أساس ضلال الإنسان ومنتنته، ومفاسده عظمى، وهي التي بها حورب الله تعالى وأشركت في عبادته وحقه على خلقه، وكان من دعا إبراهيم عليه السلام: «واجنبنني وبني أن نعبد

الأصنام» وما أرسلت الرسل وأنزلت الكتب إلا لمحاربتها وإنقاذ الناس من شرها.

فهذه الخبائث التي وردت في الحديث هي عناوين المفسد والمضار التي تعود على العقل والبدن والدين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: (اشتملت هذه الكلمات الجوامع على تحريم ثلاثة أجناس: مشارب تفسد العقول، ومطاعم تفسد الطباع، وتغذي غذاء خبيثًا، وأعيان تفسد الأديان وتعدو إلى الفتنة والشرك).

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: وقد صح حديث أنس «إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر الأهلية».

قوله: «أرأيت شحوم الميتة» أي؛ اخبرني عن حكم بيع شحوم الميتة وهي التي ماتت حتف أنفها فهل يحل مع وجود هذه المنافع فيها، «فإنه يطلي بها السفن» أي يدهن.

«ويدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس» أي، يستضيئون به، حين يجعلونه في المصابيح وهي السرج.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا، فهو حرام» أي البيع.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: بلغ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ فُلَانًا بَاعَ خَمْرًا؛

فقال: «قاتل الله فلاناً، ألم يعلم أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله اليهود حرّمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها» [متفق عليه]. زاد أبو داود: «وإن الله إذا حرّم أكل شيء حرم ثمنه».

ثم قال رسول الله ﷺ: عند ذلك «قاتل الله اليهود» لعنهم الله، لما ارتكبه من هذه الحيلة الباطلة قال ﷺ: «إن الله حرم عليهم الشحوم فأجملوه».

قوله: (فأجملوه) أي: أذابوه واستخرجوا دهنه، وفي الحديث إبطال الحيل والوسائل إلى المحرم. والأصنام: جمع صنم، وهو ما كان مصوراً. والوثن: ما له جثة، فبينهما عموم وخصوص وجهي، فإن كان مصوراً فهو وثن وصنم.

(ثم باعوه فأكلوا ثمنه)

قال الحافظ ابن حجر: «والظاهر أن النهي عن بيعها للمبالغة في التنفير عنها ويلتحق بها في الحكم الصلبان التي تعظمها النصارى، ويحرم نحت جميع ذلك وصنعه».

قال ابن رجب عند قوله ﷺ: «إن الله إذا حرّم شيئاً حرم ثمنه» وهذه كلمة عامة جامعة تطرد في كل ما كان المقصود من الانتفاع به حراماً، وهو قسمان:

أحدهما: ما كان الانتفاع به حاصلاً مع بقاء عينه كالاصنام، فإن منفعنها المقصودة منها الشرك بالله، وهو أعظم المعاصي على الإطلاق، ويلتحق بذلك ما كانت منفعته محرمة ككتب الشرك والسحر والبدع والضلال، وكذلك الصور المحرمة، وآلات الملاهي المحرمة كالطنبور، وكذلك شراء الجواري للغناء.

والقسم الثاني: ما لا ينتفع به مع اتلاف عينه، فإذا كان المقصود الأعظم منه محرماً فإنه يحرم بيعه كما يحرم بيع الخنزير والخمر والميتة مع أن في بعضها منافع غير محرمة كأكل الميتة للمضطر، ودفع الغصة بالخمر، وإطفاء الحريق به، ولكن لما كانت هذه المنافع غير مقصودة لم يعاب بها وحرم البيع ولكن المقصود الأعظم من الخنزير والميتة أكلها، ومن الخمر شربها ولم يلتفت إلى ما عدا ذلك، وقد أشار ﷺ إلى هذا المعنى لما قيل له: أرأيت شحوم الميتة فإنها يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس؟ فقال: «لا، هو حرام».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة: ٤].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله، أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، أحمده - سبحانه - وأشكره على فضله وإحسانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، بعثه للعالمين رحمة، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه خير الأمة، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله وراقبوه، واستعدوا ليوم عظيم وموقف عصيب ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢].

عباد الله:

في هذا الحديث من الفوائد: تحريم الخمر وعمله وما يعينها عليه، وشربه، أو التداوي به، ويدخل في مسمى الخمر كل مسكر «وكل ما أسكر قليله فكثيره حرام» ومنه الحشيش والأفيون فكلها خبائث محرمة لما فيها من المضار الكبيرة والمفاسد العظيمة على

العقل والدين والبدن والمال، وما تجره من الشرور والعداوات والجنيات إلى غير ذلك من مفاسد لا تخفى.

ومن فوائد الحديث: تحريم الميتة، لحمها وشحمها، ودمها وعصبها، وحرمت لما فيها من المضرة على البدن، ولما فيها من الخبث والقذارة والنجاسة.

وحرّم كذلك بيع الخنزير وأكله وملامسته وقربه، فهو من الخبائث التي هي مفسدة محضة، لا مصلحة فيها.

وفي الحديث من الفوائد أيضًا: تحريم بيع الأصنام، لما تجره من شر كبير ومن ذلك الصليب الذي هو شعار النصارى والتماثيل التي تصنع للزعماء والرؤساء وغيرهم.

وفي الحديث: أن التحايل على محارم الله سبب لغضبه ولعنه، فإن من يأتي الأمر عالمًا بتحريمه أخف ممن يأتيه متذرعًا إليه بالحيل، لأن الأول معترف بالإعتداء على حدود الله ويرجى له الرجوع والاستغفار، وأما الثاني؛ فهو مخادع لله تعالى، وبحيلته هذه سيصر على آثامه، فلا يتوب، فيكون محجوبًا عن الله تعالى.

وفي الحديث: أن الحيل هي سنة اليهود المغضوب عليهم، وأن حبهم للمادة قديم حملهم على الحيل ونقض العهود وغشيان الحرمات.

هذا وصلوا وسلموا.

الخطبة الأولى^(١)

٤٦

الحمد لله، يُحمد بنعمته، وتُنال كرامته برحمته، ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠]، أحل لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فوصية الله للأولين والآخرين تقواه: ﴿وَصَيَّنَّا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].
أيها المسلمون:

خلق الله الخلق لعبادته وحده، والدخول تحت أمره ونهيه، قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ

(١) الحديث السادس والأربعون: «كل مسكر حرام».

مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ [البقرة: ٢١] وما أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وقام سوق الجنة والنار إلا لأجل هذه الحقيقة العظيمة، ولإخراج العباد من داعية أهوائهم؛ إلى عبادة خالقهم ومولاهم.

وقد بعث الله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق بشيراً ونذيراً، يأمركم بالمعروف وينهاكم عن المنكر، ويحل لكم الطيبات ويحرم عليكم الخبائث، قال تعالى في وصف ما جاء به النبي ﷺ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ ۖ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

عباد الله:

جاءت الشريعة بحفظ العقل، ولهذا حرمت كل ما يؤدي إلى زواله، وأعظم ذلك المسكرات والمخدرات، ووضعت قاعدة عامة لكل ما حرم من المسكرات والمفترات، وهو أن ما أسكر كثيرة فقليله حرام من أي شيء كان، وعلى أي لون كان، وكيفما كان.

روى البخاري عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْرَبَةٍ تُصْنَعُ بِهَا، فَقَالَ:
 وَمَا هِيَ؟ قَالَ: الْبَتُّ وَالْمَزْرُ، فَقِيلَ لِأَبِي بُرْدَةَ: مَا الْبَتُّ؟ قَالَ: نَبِيذُ
 الْعَسَلِ، وَالْمَزْرُ نَبِيذُ الشَّعِيرِ، فَقَالَ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ».

راوى هذا الحديث هو الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ واسمه عبد الله بن قيس بن سليم، أسلم بمكة، وهاجر إلى
 أرض الحبشة، ثم قدم مع أهل السفينتين ورسول الله ﷺ بخيبر،
 وأرسله ﷺ مع معاذ بن جبل إلى اليمن، وله فضائل جمة، قال له
 النبي ﷺ: «يا أبا موسى لقد أوتيت مزاراً من مزامير آل داود» توفي
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالكوفة في خلافة معاوية، سنة اثنتين وأربعين للهجرة، ودفن
 بالثوية على بعد ميلين من الكوفة.

عباد الله:

هذا الحديث أصل في تحريم جميع المسكرات المغطية للعقل
 وفيه شاهد لما خُص به النبي ﷺ جوامع الكلم. فإن هذا الجواب
 جامع يدخل فيه المسؤول عنه وغير المسؤول عنه.
 وفي الصحيحين عن ابن عمر قال: قام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على المنبر فقال:
 (أما بعد: نزل تحريم الخمر وهي من خمس: العنب والتمر
 والعسل والحنطة والشعير، والخمر ما خامر العقل). وعن عائشة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «كل مسكر حرام، وما أسكر الفرق فملاً الكف منه حرام» [رواه أبو داود].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ أَلْعَادَۃً وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿المائدة: ٩٠-٩١﴾.

وقد ورد في آية التحريم جملة أمور:

الأول: أن الله قرن الخمر والقمار بالأوثان وعبادة: الأصنام، وهي عين الشرك ولهذا جاء في الحديث «من مات وهو يشرب الخمر مات كعابد وثن».

الثاني: جعل الله الخمر والقمار رجساً، والرجس ما يستقذر عقلاً وشرعاً وذلك ليشمئز المؤمن ويبتعد عنها.

ثالثاً: أنهما من عمل الشيطان، والشيطان لا يأتي منه إلا الشر.

رابعاً: أن الله جعل اجتنابهما سبيلاً للفلاح فقال: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

خامساً: أنهما يؤديان إلى وقوع العداوة والبغضاء بين المسلمين.

سادسًا: أنهما يصدان عن ذكر الله وعن الصلاة، والصلاة هي عماد الدين.
عباد الله:

جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «الخمرة أم الفواحش وأكبر الكبائر، من شربها وقع على أمه وخالته وعمته» [حسنه الألباني].
وفي الحديث الآخر: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن..» [رواه البخاري].

قال أبو هريرة رضي الله عنه: (من زنى أو شرب الخمر، نزع الله منه الإيمان، كما يخلع الإنسان القميص من رأسه. إن شاء رده إليه وإن شاء سلبه إياه).

في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر ولا مكذب بالقدر» [رواه أحمد].

قال ابن رجب: (واعلم أن المسكر المزيل للعقل نوعان:
الأول: ما كان فيه لذة وطرب، فهذا هو الخمر المحرم شربه،
وادخلوا في ذلك الحشيشة التي تعمل من ورق العنب وغيرها مما
يؤكل لأجل لذته وسكره.

وفي سنن أبي داود من حديث شهر بن حوشب عن أم سلمة قالت: «نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر» والمفتر هو المخدر للجسد، وإن لم ينته إلى حد الإسكار.

والثاني: ما يزيل العقل ويسكره لا للذة فيه ولا طرب كالبنج ونحوه. فقال أصحابنا: إن تناوله لحاجة التداوي أم الخبائث به وكان الغالب منه السلامة (جاز).

قال ابن عثيمين: (كل ما أسكر فهو خمر سواء كان من العنب أو من التمر أو من الشعير أو من البر أو من غير ذلك كل ما أسكر فهو خمر، قال النبي ﷺ: «كل مسكر خمر» والإسكار هو تغطيته العقل على وجه اللذة والطرب ليس مجرد تغطيه العقل، ولهذا البنج ليس مسكراً وإن كان يغطي العقل، والمبنج لا يدري ماذا يحصل له، لكن الخمر -نسأل الله العافية- يجد الإنسان من السكر لذة وطرباً ونشوى حتى يتصور أنه ملك من الملوك وأنه فوق الثريا وما أشبه ذلك».

عباد الله:

وأما «التبأك» الذي افتتن الناس به في هذه الأزمنة فقد اختلف العلماء فيه؛ فمنهم من حرمه، ومنهم من كرهه، والراجح تحريمه؛ لأنه يزيل العقل في بعض الأحيان، وهو مضر بالجسد، مضيع للمال،

خبث الرائحة. وأما قياسه على قهوة البن فهو قياس فاسد؛ فإن البن من الطيبات، والتبناك ونحوه من الخبائث. وقد قال الله تعالى: ﴿وَحُلْ لَهُمُ الطَّيِّبَتِ وَتُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. وكثير ممن يشربون التبناك لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى، وقد قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [١]. إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ أَلْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءِ فِي الْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

والمسكر المحرم يدخل فيه المسكر المائع، ويدخل فيه المسكر الجامد، ويدخل فيه المسكر المطعوم، والمسكر المشروب، سواء كان من حب أو تمر أو مادة غير ذلك. وتشمل الأحاديث كذلك المخدرات كالحشيش والأفيون لأن الأحاديث الواردة بتحريم المسكر تعمها وتشملها. في الحديث عن أم سلمة ل قالت: «نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر» [رواه أحمد].

وعن أبي الدرداء روى قال: «أوصاني خليلي... ولا تشرب الخمر، فإنها مفتاح كل شر» [رواه ابن ماجه].

عباد الله:

كم أفسدت هذه المخدرات بأنواعها من بيوت، وكم هدمت من أسر، وكم مزقت من علاقات، وكم أفقرت بعد غنى، وأذلت بعد عز، وأضعفت بعد قوة، جاء في المعجم الكبير عنه صلى الله عليه وسلم: «من شربها وقع على أمه، وخالته، وعمته».

وقد ظهرت مآسي وأمور عظيمة تجعل العاقل حيراناً من شرها وفتكها في المجتمعات حتى استعملها الاعداء سلاحاً لإضعاف الأمة وصرفها عن قيمها وأخلاقها ودينها.

وقد ذكر ابن القيم: (آفات الخمر فقال: إنها تغتال العقل، ويكثر اللغو على شربها وتستنزف المال وتصدع الرأس، وهي كريهة المذاق، وهي رجس من عمل الشيطان، توقع العداوة والبغضاء بين الناس، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وتدعو إلى الزنا، وتذهب الغيرة، وتورث الخزي والفضيحة وتلحق شاربها بالمجانين، وتسلبه أحسن السمات وتكسوه أقبح الأسماء الصفات، وتسهل فتك النفس وإفشاء السر، ومؤاخاة الشياطين في التبذير، وتهتك الأستار وتظهر الأسرار، وتدل على العورات، وتهون ارتكاب القبائح، وتخرج من القلب تعظيم المحارم، ومدمنها كعابد وثن، وكم

أفقرت من غني، وذلت من عزيز، ووضعت من شريف، وسلبت من
نعمة، وجلبت من نقمة ونسجت عداوة، وفرقت بين رجل وزوجته
وكم أوقعت في بلية، وعجلت من منية، وجرت على شاربها من
محنة، فهي جماع الإثم ومفتاح الشر.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ
وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ
فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلقنا لعبادته وتوحيده، ومنّ علينا وتفضل بتسييحه
وتحميده، أحمد - سبحانه - وأشكره، وعد الشاكرين بمزيده،
وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده
ورسوله، أفضل رسله وأكرم عبيده، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى
آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله الذي خلقكم
واستعينوا على طاعته بما رزقكم، فربكم جلت حكمته لم يخلقكم
هملاً، ولم يترك أمركم في هذه الحياة مهملاً، بل خلق الموت والحياة
ليبلوكم إيكماً أحسن عملاً.

عباد الله:

شرب الخمر والمسكر كبيرة من الكبائر، وذنب عظيم، وقد ورد
الوعيد الشديد الذي توعد به شاربه في الدنيا والآخرة، ومن ذلك ما
ثبت في صحيح مسلم وغيره أن النبي ﷺ قال: «إن على الله عهداً

لمن شرب السكر أن يسقيه من طينة الخبال»، قالوا: وما طينة الخبال؟ قال: «عرق أهل النار، أو عصارة أهل النار».

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام، ومن مات وهو يشرب الخمر يدمنها لم يشربها في الآخرة». ومن العقوبات الشرعية أن يجلد شارب الخمر، فعن أنس رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ جلد في الخمر بالجريد والنعال، وجلد أبوبكر أربعين» [رواه مسلم] فإن تكرر منه فقد قال النبي ﷺ: «من شرب الخمر فاجلدوه، وإن عاد في الرابعة فاقتلوه» [رواه الترمذي].

عباد الله:

في هذه الأحاديث بيان أن كل مسكر حرام مهما تغيرت الأسماء ومهما تغيرت الأشكال والألوان ما بقيت العلة وهي الإسكار، عن أبي مالك الأشعري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها» [رواه أبوداود].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليستحلن طائفة من أمتي الخمر بأسماء يسمونها إياه» [رواه ابن ماجه].

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: (اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل فيمن خلا قبلكم بتعبد ويعتزل الناس فعلقته امرأة غوية،

فأرسلت إليه جاريته أن تدعوه لشهادة فدخل معها فطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وآنية خمر، فقالت: إني والله ما دعوتك لشهادة، ولكن دعوتك لتقع علي أو تقتل هذا الغلام أو تشرب الخمر، فسقته الخمر، فقال: زيدوني، فلم يبرح حتى وقع عليها، وقتل النفس؛ فاجتنبوا الخمر فإنه لا تجتمع هي والإيمان أبداً إلا أوشك أحدهما أن يُخرج صاحبه) [رواه البيهقي].

اللهم جنبنا ما يغضب وجهك الكريم، واصرف عنا السوء
برحمتك يا أرحم الراحمين.
هذا وصلوا وسلموا..

الخطبة الأولى^(١)

٤٧

الحمد لله الذي كفانا وآوانا، وأطعمنا وسقانا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أرسله إلى الناس كافة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله حق التقوى، فالله عز وجل يحب المتقين.
﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله:

جاءت الشريعة الإسلامية لتحافظ على الضرورات الخمس، وإن النفس واحدة من هذه الضروريات وقد جاء في أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ما يحفظ النفس من القتل أو الإيذاء أو الضرر أو المرض، وفي هذا الحديث الطبي النبوي جاء ليعالج ويحافظ على

(١) الحديث السابع والأربعون: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن».

جسم الإنسان وصحته حتى لا يهلك أو يضعف، لأن الله خلق الإنسان لعبادته وطاعته وشكره، ولا يتأت هذا على الوجه الصحيح إلا بتمام الصحة والعافية والهمة والنشاط، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١].

روى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما **عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدٍ** **يَكْرِبَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مَلَأَ آدَمِيَّ وَعَاءٌ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتٍ يُقْمَنَ صُلْبُهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثَ لَطْعَامِهِ، وَثُلُثَ لَشْرَابِهِ، وَثُلُثَ لِنَفْسِهِ».**

هذا حديث جامع لأصول الطب كلها، فقد قال ابن ماسوية الطيب: «لو استعمل الناس هذه الكلمات لسلموا من الأمراض والأسقام، ولتعطلت المارستانات ودكاكين الصيادلة». وقال طيب العرب الحارث بن كلدة: «المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء».

وفي هذا الحديث النبوي الكريم ذكر لما ينبغي أن يكون عليه الإنسان في أكله وشربه، فقد قال ﷺ:

«ما ملأ آدمي وعاء» أي ظرفاً «شراً من بطنه» وملء الأوعية لا يخلو من طمع أو حرص على الدنيا، وكلاهما شر على الفاعل.

قيل: البطن خُلِقَ لأن يتقوم به الصلب بالطعام، وامتلاؤه يفضي إلى الفساد في الدين والدنيا، فيكون شرًّا منها.

ثم بين صلى الله عليه وسلم القدر المناسب والجيد فقال:

«بحسب ابن آدم أكالات» أي؛ كافية، لقم تسد جوعه، وتسد رmqه وإمساك القوة.

«يقمن صلبه» أي؛ ظهره. كناية عن أنه لا يتجاوز ما يحفظه من السقوط ويتقوى به على الطاعة. «فإن كان لا محالة» أي؛ لا بدّ من التجاوز. عما ذكر، فلتكن أثلاثًا.

«فثلث» أي يجعله «لطعامه» فالثلث للطعام والمأكول. «وثلث» يجعله «لشرابه» أي، والثلث الثاني لمشروبه.

«وثلث» يدعه «لنفسه» أي؛ يدع ويترك الثلث الأخير لراحة نفسه. فيحصل له نوع صفاء ورقة، وهذا غاية ما أختير للأكل، ويحرم الأكل فوق الشبع.

فإن كثرة الطعام تسبب الخمول، وتفسد الصحة، وتجلب النوم، وقلة الغذاء توجب رقة القلب، وقوة الفهم وانكسار النفس؛ وضعف الهوى والغضب.

قال الطيبي: (أي الحق الواجب أن لا يتجاوز عما يقام به صلبه ليتقوى به على طاعة الله، فإن أراد البتة التجاوز فلا يتجاوز عن القسم المذكور).

وقال ابن القيم: (مراتب الغذاء ثلاثة: أحدها مرتبة الحاجة، والثانية مرتبة الكفاية، والثالث مرتبة الفضيلة، فأخبر ﷺ أنه يكفي لقيمات يقمن صلبه فلا تسقط قوته ولا تضعف، فإن تجاوزها فليأكل بثلاث بطنه، وهذا من أنفع ما للبدن ولما للقلب، فإن القلب إذا امتلأ من الطعام ضاق عن الشراب، فإذا أورد عليه الشراب ضاق عن النفس، وعرض عليه الكرب والتعب).

وقيل أن كسرى سأل طبيباً: (ما الداء الذي لا دواء له؟ قال: إدخال الطعام على الطعام).

وسأله عن الحمية؟ قال: الاقتصاد في كل شيء، فإذا أكل فوق المقدار ضيق على الروح).

وفي الحديث: استحباب التقلل من الأكل والاكتفاء ببعض الطعام. فإن هذا الحديث أصل في الاقتصاد في الطعام والشراب. وفي الحديث: كمال الشريعة حيث اشتملت على مصالح الإنسان في دينه ودنياه.

عباد الله:

وهذا الحديث له سبب، وهو ما روي من حديث عبد الرحمن ابن المرقع قال: فتح رسول الله ﷺ خير وهي مخضرة من الفواكه، فوقع الناس في الفاكهة فغشيتهم الحمى، فشكوا إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «إنما الحمى رائد الموت، وسجن الله في الأرض، وهي قطعة من النار، فإذا أخذتكم فبردوا الماء في الشتان، فصبوها عليكم بين الصلاتين» يعني: المغرب والعشاء. قال: ففعلوا ذلك فذهبت عنهم. فقال رسول الله ﷺ: «لم يخلق الله وعاء إذا ملئ شرًا من بطن، فإذا كان لا بد فاجعلوه ثلثًا للطعام، وثلثًا للشراب، وثلثًا للريح»، وهذا الحديث أصل جامع لأصول الطب كلها.

قال عمر رضي الله عنه: (أيها الناس، إياكم والبطنة من الطعام، فإنها مكسلة عن الصلاة، مفسدة للجسد، ومورثة للسقم).

وقال الحسن رحمه الله تعالى: (يابن آدم كل في ثلث بطنك، واشرب في ثلث، ودع ثلث بطنك يتنفس ويتفكر).

وقال محمد بن واسع: (من قل طعامه فهم وأفهم، وصفا ورق، وإن كثرة الطعام ليثقل صاحبه عن كثير مما يريد).

وعن مالك بن دينار قال: (لا ينبغي للمؤمن أن يكون بطنه أكبر همه، وأن تكون شهوته هي الغالبة).

وعن عثمان بن زائدة قال: (كتب إلى سفيان الثوري إن أردت أن يصح جسمك، ويقل نومك، فأقل من الأكل).

جاء في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الثلاثة، وطعام الثلاثة يكفي الأربعة».

وفي مسند البزار وغيره عن فاطمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «شرار أمتي الذين عدوا بالنعيم يأكلون ألوان الطعام، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشدقون في الكلام».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشهوات التي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى» [رواه الإمام أحمد]. وقد قال تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ۝٥١ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۝٥٢ جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ۝٥٣ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝٥٤ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ۝﴾ [مريم: ٥٩-٦٣].

جاء في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «إن بعدكم قومًا يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن».

عباد الله:

ومن مفسدات القلوب: الطعام، والمفسد له من ذلك نوعان: أحدهما: ما يفسده لعينه وذاته كالمحرمات وهي نوعان: محرمات لحق الله، كالميتة والدم ولحم الخنزير، وذو الناب من السباع، والمخلب من الطير، ومحرمات لحق العباد كالمسروق والمغصوب والمنهوب، وما أخذ بغير رضى صاحبه. إما قهراً وإما حياء وتذمماً.

والثاني: ما يفسده بقدرهن وتعدى حده، كالاسراف في الحلال والشبع المفرط فإنه يثقله عن الطاعات ويشغله بمزاولة مؤنة البطنة ومحاولتها حتى يظفر بها، فإذا ظفر بها شغله بمزاولة تصرفها ووقاية ضررها، والتأذي بثقلها، وقوى عليه مواد الشهوة طرق مجاري الشيطان ووسعها فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فالصوم يضيق مجاريه ويسد عليه طرفها، والشبع يطرقتها ويوسعها؛ ومن أكل كثيراً شرب كثيراً فنام كثيراً فخر كثيراً.

عباد الله:

أورد ابن القيم شذرات من هدي النبي ﷺ في الأكل والشرب فقال - رحمه الله تعالى - : كان ﷺ يأكل ما جرت عادة أهل بلدة بأكله، ولم يكن يحبس نفسه عن نوع واحد من الأغذية، وإذا كان في أحد الطعامين تحتاج إلى كسر وتعديل، كسرها وعدلها بضدها، كتعديل حرارة الرطب بالبطيخ، وإذا عافت نفسه الطعام لم يأكله. كما ذكر ذلك أبو هريرة رضي الله عنه : « ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه ولم يأكل منه، وكان يحب اللحم والحلواء والعسل، وكان يأكل الخبز مَادُومًا ما وجد إيدامًا... ».

ومن آداب الطعام عباد الله: غسل اليدين قبل الطعام لتخليصهما من الغبار والأوساخ المؤذية المسببة للأمراض، وكذلك التسمية قبل الأكل «ومن نسي أن يذكر الله في أول طعامه فليقل حين يذكر: بسم الله في أوله وآخره» [رواه ابن حبان].

ويجب الأكل باليمين إلا لعذر، ومن الآداب أن يأكل المرء مما يليه، ويندب الجلوس للأكل ويكره الاتكاء، ويتنظر حتى يبرد الطعام،

ويسن لعق الأصابع وصحفة الطعام، ويسن أن يحمد الله ﷻ بعد
الانتهاء من الطعام، ويدعو ويغسل يديه ويتمضمض، ويحمد الله
ويشكره على ما رزق، وإن كان مدعوًا فليدعو للمضيف بالبركة.
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥].

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،
وأشهد أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه الغير الميامين.

عباد الله:

أن الأكل من حيث الحكم على أقسام:

واجب: وهو ما به تحفظ الحياة، ويؤدي تركه إلى ضرر.

وجائز: وهو ما زاد على قدر الواجب، ولا يخش ضرره.

ومكروه: وهو ما يخش ضرره.

ومحرم: وهو ما يُعلم ما يستعان به على عبادة الله وطاعته.

وقد أُجمل ذلك في الحديث في ثلاث مراتب.

الأول: ملء البطن.

والثاني: اكالات أو لقيمات يقمن صلبه.

والثالث: قوله: «فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه» هذ

كله إذا كان جنس المأكول حلالاً.

عباد الله:

ندب النبي ﷺ إلى التقليل من الأكل في قوله: «حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه».

وفي الصحيحين عنه ﷺ قال: «المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء» [وراه البخاري] والمراد أن المؤمن يأكل بأدب الشرع، فيأكل في معي واحد، والكافر يأكل بمقتضى الشهوة والشره والنهم، فيأكل في سبعة أمعاء.

وندب النبي ﷺ مع التقليل من الأكل والاكتفاء ببعض الطعام إلى الإيثار الباقي منه، فقال: «طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الثلاثة، وطعام الثلاثة يكفي الأربعة» [رواه أحمد].

وعن أبي برزة عن النبي ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم، ومضلات الفتن» [رواه أحمد].

عباد الله:

ديننا يذم الشره، والإكثار من الأكل، ويحث على الاكتفاء من الطعام بالقليل، فإن ذلك أفضل للمؤمن، وأليق به، لأن القناعة باليسير وبما يحضر من أمور الدنيا هي حال المؤمن.

مع ما مر بنا من توجيه النبي ﷺ في التقلل من الطعام، وما ينتج عن امتلاء البطن من أمراض للجسد والقلب، وما يحرمه الإنسان من الخيرات، فإن ذلك لا يمنع الإنسان من أن يشبع أحياناً كما في حديث جابر رضي الله عنه قال: «فلم يزل يكسر الخبز ونعرف حتى شبعوا، وبقي بقية قال: «كلي هذا، وأهدي فإن الناس أصبتهم مجاعة» [رواه البخاري].

هذا وصلوا وسلموا.

الخطبة الأولى^(١)

٤٨

الحمد لله الذي خلق الجنة وجعل مفتاحها لا إله إلا الله، أحمدته - سبحانه - وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة مخلص فيها، موقن بها، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، جدد ما اندرس من معالمها، ومع ذلك قال له ربه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] فصعد بها ونادى، ووالى عليها وعادى، وقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها».

دعا إلى هذه الكلمة عشر سنين ولم يدع قبلها إلى زكاة ولا صيام، ولا حج ولا عمرة إلى بيت الله الحرام، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه، الذين جاهدوا من امتنع من قولها، أو صد عنها، أو نقضها.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - حق التقوى، وأخلصوا العبادة لربكم تسعدوا وتنجوا.

(١) الحديث الثامن والأربعون: «أربع من كن فيه كان منافقاً».

أيها المسلمون:

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا، وَإِنْ كَانَتْ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ فِيهِ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ».

راوي الحديث؛ هو الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي القرشي، أسلم قبل أبيه، وكان من عباد الصحابة وعلمائهم، كان يكتب في الجاهلية، فاستأذن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أن يكتب ما يسمع فأذن له، وكان يشهد الغزوات ويضرب بسيفين، حمل راية أبيه يوم اليرموك، توفي سنة خمس وستين للهجرة. عباد الله: ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث أربع خصال من خصال المنافقين.

والنفاق: هو إظهار الخير وإسرار الشر، وهو نوعان: اعتقادي، وعملي. فالاعتقادي: هو النفاق الأكبر، وصاحبه مع الكفار مخلد معهم في النار قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥]. والنفاق العملي: هو النفاق الأصغر، وهو من كبائر الذنوب.

والمنافق: هو من يضم الكفر ويتظاهر بالإسلام، وهو سيء الباطن حسن الظاهر.

قال ابن رجب: «والذي فسر به أهل العلم المعتبرون أن النفاق في اللغة: هو من جنس الخداع والمكر، وإظهار الخير وإبطان خلافه». وقال رحمه الله: «الذي فسر به أهل العلم المعتبرون أن النفاق في الشرع ينقسم إلى قسمين: أحدهما النفاق الأكبر، وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ، ونزل القرآن بدم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار.

والثاني: النفاق الأصغر: وهو نفاق العمل: وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحه، ويبطن ما يخالف ذلك. وحاصل الأمر: أن النفاق الأصغر كله يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية، كما قاله الحسن. والنفاق الأصغر: وسيلة إلى النفاق الأكبر، كما أن المعاصي بريد الكفر، وكما يخشى على من أصر على المعصية أن يسلب الإيمان عند الموت، كذلك يخشى على من أصر على خصال النفاق أن يسلب الإيمان فيصير منافقًا خالصًا».

وقد ذكر النبي ﷺ في هذا الحديث أربع خصال، أو صفات متأصلة من كانت فيه كان منافقاً خالصاً.

قال ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً» قال ابن بطال: «أي؛ في الخصال المذكورة».

«ومن كانت فيه خصلة منهن» أي؛ خلة وصفة.

«كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها» أي؛ يتركها ويتوب إلى الله منها.

«من إذا حدث كذب» وهو من أقبح الذنوب التي يرتكبها بنو آدم وهو أساس النفاق الذي بني عليه الكذب. والمعنى إذا حدث حدث بخلاف الواقع، فإن الكاذب يصور المعدوم موجوداً، والموجود معدوماً، والحق باطلاً، والباطل حقاً، والخير شراً، والشر خيراً، فيفسد على الإنسان تصويره وعلمه.

«إذا وعد أخلف» أي: من غير عذر. وفي مراسيل الحسن عن

النبي ﷺ قال: «العدة هبة»، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ ١٤٥ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيماً ﴿[النساء: ١٤٥: ١٤٦].

«وإذا عاهد غدر» أي؛ إذا تعاهد وتوآثق مع إنسان على أمر غدر به وفعل خلاف ما عهد إليه أن يفعله. قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١].

والمراد بقوله إذا عاهد غدر: أي: لم يف بعهده. قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]. عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزيهم ولهم عذاب أليم، رجل على فضل ماء بالفلاة يمنع من ابن السبيل، ورجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر، فحلف بالله لأخذها بكذا فصدقه وهو على غير ذلك، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا للدنيا، فإن أعطاه منها وفى، وإلا لم يف». ويدخل في هذا العهود والمبايعات والأنكحة، فهذه يجب الوفاء بها، وإذا احتوت على شروط وجب الوفاء بهذه الشروط.

«وإذا خاصم فجر» أي؛ مال عن الحق وقال الباطل، وبالع في الخصومة. والفجور في الخصومة على نوعين: أحدهما: أن يدعي ما ليس به. والثاني: أن ينكر ما يجب عليه.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤]. وفي الصحيحين عن النبي ﷺ: «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم». وقال ﷺ: «إنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له بنحو مما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه بشيء، وإنما أقطع له قطعة من النار» [متفق عليه]. وقال ﷺ: «من خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع».

والفجور في الخصومة: هو تعمد الميل عن الحق، ومن أعظمه الكذب في اليمين عند التخاصم.

«إذا أوّتمن خان» قال ابن عثيمين: (المعنى إذا ائتمنه الناس على أموالهم أو على أسرارهم، أو على أولادهم، أو على أي شيء من هذه الأشياء فإنه يكون والعياذ بالله يخون، فهذه أيضًا من علامة النفاق).

الخامس: الخيانة في الأمانة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]. قال النبي ﷺ: «أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك». وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

قال ابن عباس: (لا تخونوا الله بترك فرائضه، والرسول بترك سنته، وتخونوا أماناتكم هي ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله، والأعمال التي أوّتمن العباد عليها).

قال قتادة: (اعلموا أن دين الله أمانة، فأدوا إلى الله ﷻ ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده، ومن كانت عليه أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (والأمانة في الصلاة والأمانة في الصوم، والأمانة في الحديث، وأشد من ذلك الودائع). وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣].

وفيه وجوب الوفاء بالعهد، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل: ٩١] وهو يشمل العهد الذي بين العبد وربّه، وبينه وبين الناس. ويلتحق بالعهد جميع العقود اللازمة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

وقد ذكر النبي ﷺ في حديث سابق أن للمنافق ثلاث خصال، وفي هذا الحديث أربع؛ ولا منافاة بينهما لأن مفهوم العدد لا يفيد الحصر وليس حجة.

قال الطيبي: «العلامات مرة يذكر بعضها ومرة جميعها أو أكثرها».

قال ابن عثيمين: «فيه أيضًا على أن الإنسان قد يجتمع فيه خصال إيمان وخصال نفاق، لقوله: «كان فيه خصلة من النفاق» هذا مذهب أهل السنة والجماعة؛ أن الإنسان يكون فيه خصلة نفاق وخصلة فسوق، وخصلة عدالة، وخصلة عداوة، وخصلة ولاية، يعني أن الإنسان ليس بالضرورة أن يكون كافرًا خالصًا، أو مؤمنًا خالصًا، بل قد يكون فيه خصال من الكفر وهو مؤمن، وخصال من الإيمان».

قال ابن عثيمين: «وهذه الخصال الأربع إذا اجتمعت في المرء كان منافقًا خالصًا؛ لأنه استوفى خصال النفاق والعياذ بالله، وإذا كان فيه واحدة، منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها».

وفي الحديث: التحذير من الكذب والخيانة والغدر، والفجور في الخصومة.

عباد الله:

ذم الله النفاق والمنافقين في آيات كثيرة، وحذر منهم في سورة البقرة

وغيرها، وذكر أوصاف المنافقين وأفعالهم في سبعة وثلاثين موضعاً من القرآن، وسمى سورة كاملة في القرآن باسمهم (سورة المنافقون) وأفاضت السنة المطهرة في ذكر أوصافهم وهتك أستارهم. سئل الإمام أحمد: ما تقول فيمن لا يخاف على نفسه النفاق؟ قال: «ومن يأمن على نفسه النفاق». قال الحسن: «لو كان للمنافقين أذنان لما استطعنا أن نمشي في الطرقات».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾
[التوبة: ١١٩].

بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

عباد الله:

لقد كان الصحابة الكرام - رضي الله عنهم وأرضاهم - وهم أفضل هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ، وهم الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه يخافون على أنفسهم من النفاق ويشد قلقهم وجزعهم منه. يقول ابن أبي مليكة رَحِمَهُ اللهُ: (أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل) [رواه البيهقي].

وعن جبير بن نصير قال: (دخلت على أبي الدرداء في منزله بحمص، فإذا هو قائم يصلي في مسجده، فلما جلس يتشهد جعل يتعوذ بالله من النفاق، فلما انصرف قلت: غفر الله لك يا أبا الدرداء إما أنت والنفاق؟ قال: «اللهم غفرا - ثلاث - من يأمن البلاء؟ من يأمن البلاء؟ والله إن الرجل ليفتن في ساعة فينقلب عن دينه) [رواه البيهقي].

أيها المسلمون:

من علامات النفاق الأخرى التي لم ترد في هذا الحديث:
التهاون في أداء الصلوات، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
تُخَدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا
كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝
مُذَبَذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلْ
اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٠-١٤٢].

وفي الصحيحين: «ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر
والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لاتوهما ولو حبوا...».

ومن صفاتهم والعياذ بالله: قلة ذكر الله تعالى: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ
اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

ومن صفاتهم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف قال تعالى:
﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ
بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا
اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

من صفات المنافقين البخل والشح، قال تعالى: في وصفهم
﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

وقد حذر الله ﷻ من عاقبة النفاق وأنه سبيل إلى الحسرة والندامة، والهلاك والعذاب، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انْظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَانُكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَانُكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٣ - ١٥].

وقال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٥ - ١٤٦].

اللهم جنبنا النفاق وأهله، واحشرونا مع عبادك الصالحين الصادقين.
هذا وصلوا.

الخطبة الأولى^(١)

٤٩

الحمد لله، حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار
على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.
أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله-، واعلموا أن التوحيد أصل الدين وأساسه
وأول أركانه، وهو جماع الخير، ولا تقبل حسنة إلا به، والعمل
القليل معه مضاعف، وبدونه الأعمال الصالحة حابطة وإن كانت
أمثال الجبال.

وهو أغلى ما يملك المسلم، ومنة من الله عظيمة، يهبها لمن
يشاء من عباده. ومن هداه الله إليه؛ فليعض عليه بالنواجذ، وليصنه
مما يناقضه أو يقدح فيه، أو ينقصه.
وعلى المسلم أن يسعى لتحقيقه في نفسه وذريته والأقربين من
أهله، ومن جميع الناس.

(١) الحديث التاسع والأربعون: «لو أنكم توكلون على الله حق توكله».

عباد الله:

روى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ
 لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا».
 معناه تذهب أول النهار خِمَاصًا: أي ضامرة البُطونِ مِنَ الْجُوعِ،
 وترجع آخر النهار بِطَانًا: أي مُمْتَلئة البُطونِ.

هذا الحديث أصل عظيم في التوكل على الله في طلب الرزق،
 والله ﷻ هو الرزاق للإنسان والحيوان والطير، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ
 دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]. وقد قال الله تعالى:
 ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا
 يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۚ
 قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢-٣]. ومعنى قوله:
 حسبه؛ أي كفيه.

والمعنى توكلوا على الله في ذهابكم ومجيئكم وتصرفكم
 وسعيكم، فإذا فعلتم ذلك لرأيتم الخير، وسهل الله لكم الرزق
 وأسبابه، وعدتم سالمين غانمين، ولكن البعض يعتمد على قوته
 وجلده ويغش ويكذب وهذا خلاف التوكل على الله.

وحقيقة التوكل هو اعتقاد القلب على الله ﷻ في استجلاب المصالح، ودفع المضار. قال سعيد بن جبير: (التوكل جمع الإيمان). وفي حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «من سرّه أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله». وفي الدعاء المأثور: «اللهم إني أسألك صدق التوكل عليك. اللهم اجعلني ممن توكل عليك فكفيته».

قال ابن القيم: (التوكل نصف الدين، والنصف الآخر الإنابة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠]. فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة).

وقد وردت جملة من الآيات العظيمة في التوكل، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان: ٥٨] وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١] وقال سبحانه: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩] وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

والتوكل خلق الرسل جميعاً فقد جاء على لسان الرسل جميعاً في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢]. وقال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام والذين معه: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤].

قال شيخ الإسلام: (ما علق العبد رجاءه وتوكله بغير الله إلا خاب من تلك الجهة، ولا استنصر بغير الله إلا خذل). وقال تعالى عن نبينا محمد ﷺ وعن أصحابه رضي الله عنهم: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [١٧٣] فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤].

قال السعدي: (التوكل على الله من أعظم واجبات التوحيد والإيمان، وبحسب قوة توكل العبد على الله يقوى إيمانه، ويتم توحيده، والعبد مضطر إلى التوكل على الله والاستعانة به، في كل ما يريد فعله أو تركه من أمور دينه أو دنياه).

«والوكيل» من اسماء الله ﷻ، فهو الذي يتولى باحسانه شؤون عباده كلها، فلا يضيعها.

والله تعالى يحب المتوكلين: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

عباد الله:

التوكل أمره عظيم وهو عبادة قلبية، وهو صدق الاعتماد واللجوء إلى الله ﷻ ورؤية الخير بيده ومن عنده. وهو دليل الإيمان والثقة واليقين بالله ﷻ، والنبى ﷺ يحث أمته على التوكل على الله ﷻ، ويضرب لهم مثلاً بالطير.

ولو أننا توكلنا على الله حق توكله في أرزاقنا، لرزقنا كما يرزق الطير وهي التي لا حول لها ولا قوة، تغدو صباحاً خماصاً ضامرة البطن من الجوع، وتعود آخر النهار ملأى البطون شبعاً. وقد جمعت بين التوكل والسعي في طلب الرزق.

قال ابن رجب: (وهذا الحديث أصل في التوكل، وأنه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق).

ومعنى الحديث: أن الناس لو حققوا التوكل على الله بقلوبهم واعتمدوا عليه اعتماداً كلياً في جلب ما ينفعهم، ودفع ما يضرهم،

وأخذوا بالأسباب المفيدة؛ لساق الله ﷻ إليهم أرزاقهم مع أدنى سبب، كما يسوق إلى الطير أرزاقها بمجرد الغدو والرواح، وهو نوع من الطلب ولكنه سعي يسير، وتحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب بالجوارح طاعة، والتوكل بالقلب عليه إيمان به، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١] فجعل التوكل مع التقوى التي هي القيام بالأسباب المأمور بها، والتوكل بدون القيام بالأسباب المأمور بها عجز محض وإن كان مشوباً بنوع من التوكل، فلا ينبغي للعبد أن يجعل توكله عجزاً ولا عجزه توكلًا، بل يجعل توكله من جملة الأسباب التي لا يتم المقصود إلا بها كلها.

وفي قوله ﷻ: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما

يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا».

قال الطيبي: (أي؛ بأن تعلم يقينًا أن لا فاعل إلا الله، وأن كل موجود؛ من خلق ورزق، وعطاء ومنع، وحياة وموت، وغنى وفقر، وغير ذلك مما ينطلق عليه اسم الوجود من الله - تعالى -، ثم تسعى في الطلب على الوجه الجميل، يشهد لذلك تشبيهه بالطير؛ فإنها تغدو خماصًا، ثم تسرح في طلب القوت، فتروح بطانًا).

أيها المسلمون:

والرزق مقسوم ومقدر، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦] ومما يظهر من عدم التوكل على الله تحديد النسل بحجة قلة ذات اليد، وهذا خلاف أن كل مولود يأتي معه رزقه. قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١].

وحقيقة التوكل وصحته تبنى على أمور منها: معرفة الرب وقدرته وكفايته لخلقه، وصفاته وكماله.

والتوكل؛ إخلاص التوحيد لله، فلا يستقيم عبد حتى يصح توحيد، ويسلم من الشك والشرك، فمتى داخل القلب شرك أو شك فتوكله معلول.

ومنها: حسن الظن بالله ﷻ والثقة به.

والتوكل لا ينافي السعي في الأشياء وبذل الأسباب، فإن الطير تغدوا في طلب رزقها، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦].

وكان الأنبياء يعملون مع عظم توكلهم على الله ﷻ، قال يوسف بن أسباط: كان يقال: اعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله، وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كتب له.

وفي حديث ثوبان عن النبي ﷺ قال: «إن العبد ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه» [رواه أحمد].

وفي حديث جابر عن النبي ﷺ: «لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله واجملوا في الطلب، خذوا ما حلّ، ودعوا ما حرم» [رواه الطبراني].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

قال ابن حجر رحمه الله والمراد بالتوكل، اعتقاد ما دلت عليه هذه الآية: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود: ٦]. وليس المراد به ترك التسبب، والاعتماد على ما يأتي من المخلوقين، لأن ذلك قد يجر إلى صدماء يراه من التوكل».

وقال معاوية بن قرة: لقي عمر بن الخطاب ناسًا من أهل اليمن. فقال من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون. قال: بل أنتم المتأكلون، إنما المتوكل الذي يلقي حبه ويتوكل على الله، وقد قال النبي ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» [رواه مسلم].

وفيه الترغيب في تحقيق التوكل على الله في طلب الرزق، وهو صدق الاعتماد عليه سبحانه، وتفويض الأمر إليه في جلب المنافع، ودفع المضار، مع الأخذ بالأسباب وترك التعلق بها. ومن ثمرات التوكل: الرضا بالقضاء، ومن كل أموره إلى الله بما يرتضيه له ربه ويختاره، ومن كان كذلك فقد حقق التوكل.

قال بعض السلف: (من سره أن يكون أقوى الناس، فليتوكل على الله، ومن توكل على الله واعتمد عليه وأحسن الصلة به، حفظه الله ورعاه، فإن لم يكن في الدنيا، كان في الآخرة خير وأبقى).

وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال - يعني إذا خرج من بيته - : «بسم الله توكلنا على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: هديت ووقيت وكفيت، فيقول الشيطان لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدي وكفي ووقي» [رواه أبو داود].

وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا الله أنت تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والانس والجن يموتون» [رواه مسلم].

وفي الصحيحين: في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب من هذه الأمة، وصفوا بأنهم: «هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون» [رواه البخاري].

قال ابن القيم: (وأعظم أنواع التوكل: التوكل في الهداية، وتجريد التوحيد، ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وجهاد أهل الباطل؛ فهذا توكل الرسل، وخاصة أتباعهم).

ثم قال رحمته الله: (والناس بعد ذلك في التوكل على حسب همهم ومقاصدهم، فمن متوكل على الله في حصول الملك، ومن متوكل

على الله في حصول رغيف، ومن صدق توكله على الله في حصول شيء ناله، فإن كان محبوباً لله مرضياً، كانت له فيه العاقبة المحمودة، وإن كان مسخوطاً مبغوضاً، كان ما حصل له بتوكله وضرره عليه، وإن كان مباحاً، حصلت له مصلحة التوكل دون مصلحة ما توكل فيه، إن لم يستعين به على طاعته).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

التوكل: هو انطرح القلب بين يدي الله، وهو عبادة من العبادات القلبية المحضة العظيمة، فهو عبادة بالقلب، والقلب فيها منقطع عن الأسباب، وأما الجوارح فتأخذ بالأسباب والمتوكل على الله حقاً يعلم أن الله كافل رزقه وجميع شؤون حياته، فيكن له وحده سبحانه وتعالى ولا يتوكل على سواه، ويثق أنه لا معطي ولا مانع، ولا ضار ولا نافع، ولا قابض ولا باسط ولا رافع ولا خافض، ولا معز ولا مذل إلا الله تبارك وتعالى وحده لا شريك له.

وعلى المسلم تحقيق التوكل بتفريغ القلب من الالتفات إلى غير الله تعالى، وتحقيق التوحيد، وكذلك الثقة بالله وحسن الظن به، ومن ثم التفويض له، والإيمان الراسخ بالقضاء والقدر، وكذلك قراءة القرآن وتدبر معانيه.

ومن ثمرات التوكل على الله ﷻ: أنه يبعث الصبر على التزام حدود الله تعالى ومجانبة الحرام، وفيه طمأنينة النفس، وارتياح القلب وطردهم، وبه ما يحصل من كفاية الله ﷻ للمتوكل عليه في أموره كلها، وأن التوكل من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار، وأنه يورث محبة الله ﷻ للعبد، وأنه يورث قوة القلب وشجاعته وثباته، وأنه يورث الصبر والتحمل، وأنه يقي العبد بإذن الله من تسلط الشيطان. وأن التوكل على الله من أسباب تحصيل الرزق، وأنه يورث الرضا بالقضاء، وهذا من أعظم ثمرات التوكل. هذا وصلوا.

الخطبة الأولى^(١)

٥٠

الحمد لله حمد الشاكرين، حمداً حمداً، وشكراً شكراً، أسبغ علينا النعم وكفانا شر النقم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده. صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

أيها المسلمون:

ذكر الله ﷻ عبادة من أجل العبادات وأحبها إليه سبحانه، فلم يزل يأمر به عباده ويحثهم عليه، تزكية لنفوسهم وتقوية لإيمانهم وزيادة في يقينهم، فإن الملازم لذكر الله في كل أحواله، لا تراه إلا سباقاً إلى طاعة الله، وقافاً عند حدود، قائماً بأمره، مُدبراً عن الدنيا،

(١) الحديث الخمسون: «لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله عز وجل».

مقبلاً على الآخرة، وقد أمر الله ﷻ بالاكثار من ذكره فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢] واخبرنا جل وعلا أن ذكره سبب لطمأنينة القلوب، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

جاء في الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ قَالَ: «أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيْنَا، فَبَابٌ نَتَمَسَّكُ بِهِ جَامِعٌ؟ قَالَ: لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ».

وفي هذا الحديث؛ الحث على الذكر وبيان فضله. عن عبد الله بن بسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا - قِيلَ أَنَّهُ أَعْرَابِي - قَالَ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ) سواء من واجب أو مندوب شرعه الله ﷻ لعباده من الأحكام.

(فَبَابٌ نَتَمَسَّكُ بِهِ جَامِعٌ) أي فأخبرني بشيء أتشبث به واتعلق ليكون مغنياً لي عن النوافل التي كثرت علي فعجزت عن استقصائها.
قال رسول الله ﷺ موجهًا ومعلمًا له:

«لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ» كناية عن كثرة الذكر ومداومته باللسان، وهو خبر معناه الأمر. وفيه كثرة أنواع العبادات،

وأبواب الخير، وأن من عظيم فضل الله تيسير أسباب الأجر، وفيه تفاضل العباد في نصيبهم من أبواب البر والخير.

قال الطيبي: (رطوبة اللسان عبارة عن سهولة جريانه، كما أن ييسه عبارة عن ضده، ثم أن جريان اللسان حينئذ عبارة عن مداومة الذكر، فكأنه قال: داوم الذكر).

وقيل: رطوبة اللسان عبارة عن مداومته، وهذا الحديث موافق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿آل عمران: ١٩٠-١٩١﴾.

«لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله» من قراءة القرآن، ومن التهليل والتسبيح، والتكبير وغيرها.

قال ابن القيم: (الذكر هو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته).

وقال الحسن: (أحب عباد الله إلى الله، أكثرهم له ذكراً، وأتقاهم قلباً).

وقال ابن تيمية: (ملازمة ذكر الله أفضل ما شغل العبد به نفسه في الجملة). ولهذا قال ابن القيم: (أشد العقوبة أن يمسك الله لسانك عن ذكره).

عباد الله:

إن كثرة ذكر الله باللسان تسبيحًا وتحميدًا، وتهليلًا وتكبيرًا، وغير ذلك، مع مواطأة القلب: يقوم مقام كثير من نوافل الطاعات؛ ومما يدل على ذلك قوله ﷺ: «لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس» [رواه مسلم]، وقوله ﷺ: «كلمتان، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» [رواه البخاري ومسلم].

وقوله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، عشر مرات، كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل» [رواه مسلم].

وقوله ﷺ: «من قال: سبحان الله وبحمده، في يوم مئة مرة، حطت خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر» [رواه البخاري ومسلم].

وقوله ﷺ: «من قال: لا إله إلا وحده لا شريك له، له الملك، وله

الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مئة مرة: كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مئة حسنة، ومحيت عنه مئة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه» [رواه البخاري ومسلم].

عباد الله: هذا الحديث موافق لقوله تعالى: ﴿إِنِّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَحْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿ [آل عمران: ١٩٠-١٩٤].

وفي صحيح ابن حبان وغيره من حديث معاذ بن جبل قال: آخر ما فارقت عليه رسول الله ﷺ أن قلت له: أي الأعمال خير وأقرب إلى الله؟ قال: «أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله». وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١: ٤٢].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «استكثروا من الباقيات الصالحات»، قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: «التكبير، والتسبيح، والتهليل، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله» [رواه أحمد].
وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه».

ومن خصال الإيمان الإكثار من ذكر الله بخلاف المنافقين فإنهم يذكرون الله لكنهم لا يكثرون من ذكره، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال أبو الدرداء: «الذين لا تزال ألسنتهم رطبة من ذكر الله يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك».

وقال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].
قال: «أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر».

قال الحسن: (أحب عباد الله إلى الله أكثرهم له ذكراً وأتقاهم قلباً).
وقال كعب: (من أكثر ذكر الله برئ من النفاق). وقد قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨، ٢٩].

وقال عيسى عليه السلام: (يا معشر الحواريين كلموا الله كثيراً، وكلموا الناس قليلاً. قالوا: كيف نكلم الله كثيراً؟ قال: اخلوا بمناجاته، واخلوا بدعائه).

وقيل لمحمد بن النضر: (ألا تستوحش وحدك؟ قال: كيف أستوحش وهو يقول: «أنا جليس من ذكرني»).

وفي صحيح البخاري عن عبادة عن النبي ﷺ قال: «من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: رب اغفر لي، أو قال: ثم دعا استجيب له، فإن عزم فتوضاً ثم صلى قبلت صلاته».

وعن ابن عمر مرفوعاً: «من دخل سوقاً يصاح فيه ويبيع فيه فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت

وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة» [رواه أحمد].

وكان النبي ﷺ يحب جوامع الكلم في الذكر والدعاء، وكان أكثر دعائه: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار». وكان يقول: «سبحان الله وبحمده عدد خلقه، وزنة عرشه، ورضا نفسه، ومداد كلماته، ومنتهى رحمته، والحمد لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، والله أكبر مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك».

وهذه الآية جامعة لمعنى ما تقدم من الأحاديث وشرحها. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله عدد ما ذكره الذاكرون، وسبحه المسبحون، واستغفروه
المستغفرون، والصلاة والسلام على خير من ذكره ورجاه ودعاه،
وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد:

ذكر الله تعالى هو الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، والفرح
بعد الغم والهم، وهو تفريج الكربات، وتيسير الأمور، وتحقيق الراحة
والسعادة في الدنيا والآخرة، وما عولج كرب ولا أزيلت شدة بمثل
ذكر الله تبارك وتعالى.

عباد الله:

إن أزكى الأعمال، وخير الخصال، وأحبها إلى الله ذي الجلال
ذكر الله تعالى، روى الترمذي وغيره عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال
رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم
وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير
لكم من أن تلقوا عدوكم فيضربوا أعناقكم وتضربوا أعناقهم؟»
قالوا: بلي يا رسول الله قال: «ذكر الله».

والذاكرون الله تعالى هم السباقون في ميدان السير إلى الله والدار الآخرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سبق المفردون» قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات». وهؤلاء هم الذين أعد لهم الله المنزلة الكريمة والثواب العظيم ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وهم المفلحون كما وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

وفي الحديث: فضل الذكر والمداومة والحث عليه. وفيه: سعة فضل الله - تعالى - فيعطي الثواب الجزيل على العمل القليل.

وفيه: عجز الإنسان عن استقصاء الطاعات لكثرتها، فإذا أراد أن يعوض عن استقصائها ثواباً؛ فليكن لسانه مع قلبه مشغولين بذكر الله - تعالى - وتسبيحه؛ وهذا سهل يسير على الإنسان.

وأحد السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، «رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه».

ومن فوائد الذكر: أنه يطرد الشيطان، ويرضي الرحمن، ويزيل الهم والغم عن القلب، وأنه يقوي القلب والبدن، وينور الوجه

والقلب، ويجلب الرزق، وأنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة، وأنه يورث المراقبة حتى يدخله باب الإحسان، وأنه يورث الإنابة لله ﷻ وأنه يورثه ذكر الله - تعالى - له؛ كما قال سبحانه ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] إلى غير ذلك من الفوائد العظيمة.

وفي الحديث: أن الذكر طاعة سهلة ميسرة لكنها ثقيلة في الميزان؛ لذلك ندب النبي ﷺ على الاشتغال بالذكر.

وفي الحديث: فضل الذكر والمداومة والحث عليه.

وفيه: سعة فضل الله - تعالى - فيعطي الثواب الجزيل على

العمل القليل.

هذا وصلوا وسلموا.

فهرس

الصفحة	الحديث	رقم
٥	المقدمة.....	-
٧	إنما الأعمال بالنيات.....	١
٢٢	مجيء جبريل ليعلم المسلمين أمر دينهم.....	٢
٣٥	بني الإسلام على خمس.....	٣
٤٥	إن أحدكم يجمع في بطن أمه.....	٤
٥٨	من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد.....	٥
٧٠	إن الحلال بين وإن الحرام بين.....	٦
٨٢	الدين النصيحة.....	٧
٩٤	أمرت أن أقاتل الناس.....	٨
١٠٤	ما نهيتكم عنه فاجتنبوه.....	٩
١١٥	إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.....	١٠
١٢٧	دع ما يريبك إلى ما لا يريبك.....	١١
١٣٧	من حسن إسلام المرء.....	١٢
١٤٧	لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.....	١٣
١٥٩	لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث.....	١٤
١٧٣	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً.....	١٥

الصفحة	الحديث	رقم
١٨٧	لا تغضب.....	١٦
٢٠٠	إن الله كتب الإحسان على كل شيء.....	١٧
٢١٢	اتق الله حيثما كنت.....	١٨
٢٢٤	احفظ الله يحفظك.....	١٩
٢٤١	إذا لم تستح فاصنع ما شئت.....	٢٠
٢٥٣	قل آمنت بالله ثم استقم.....	٢١
٢٦٥	أرأيت إذا صليت المكتوبات وصمت رمضان.....	٢٢
٢٧٥	الطهور شطر الإيمان.....	٢٣
٢٨٩	يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي.....	٢٤
٣٠٥	ذهب أهل الدثور بالأجور.....	٢٥
٣١٨	كل سلامى من الناس عليه صدقة.....	٢٦
٣٣٢	البر حسن الخلق.....	٢٧
٣٤٦	وجوب لزوم السنة وتقوى الله.....	٢٨
٣٥٧	تعبد الله لا تشرك به شيئاً.....	٢٩
٣٧٠	إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها.....	٣٠
٣٨١	ازهد في الدنيا يحبك الله.....	٣١
٣٩٥	لا ضرر ولا ضرار.....	٣٢
٤٠٦	البينة على المدعي واليمين على من أنكر.....	٣٣

الصفحة	الحديث	رقم
٤١٨	من رأى منكم منكراً فليغيره بيده.....	٣٤
٤٣١	لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا.....	٣٥
٤٤٥	من نفس عن مسلم كربة.....	٣٦
٤٦٠	إن الله كتب الحسنات والسيئات.....	٣٧
٤٧٤	من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب.....	٣٨
٤٩١	إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان.....	٣٩
٥٠٢	كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل.....	٤٠
٥١٤	لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به.....	٤١
٥٢٦	يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني.....	٤٢
٥٣٨	ألحقوا الفرائض بأهلها.....	٤٣
٥٤٩	الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة.....	٤٤
٥٦٠	إن الله ورسوله حرم بيع الخمر.....	٤٥
٥٧٠	كل مسكر حرام.....	٤٦
٥٨٢	ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن.....	٤٧
٥٩٤	أربع من كان فيه كان منافقاً.....	٤٨
٦٠٦	لو أنكم توكلون على الله حق توكله.....	٤٩
٦١٩	لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله ﷻ.....	٥٠
٦٣٠	الفهرس.....	-